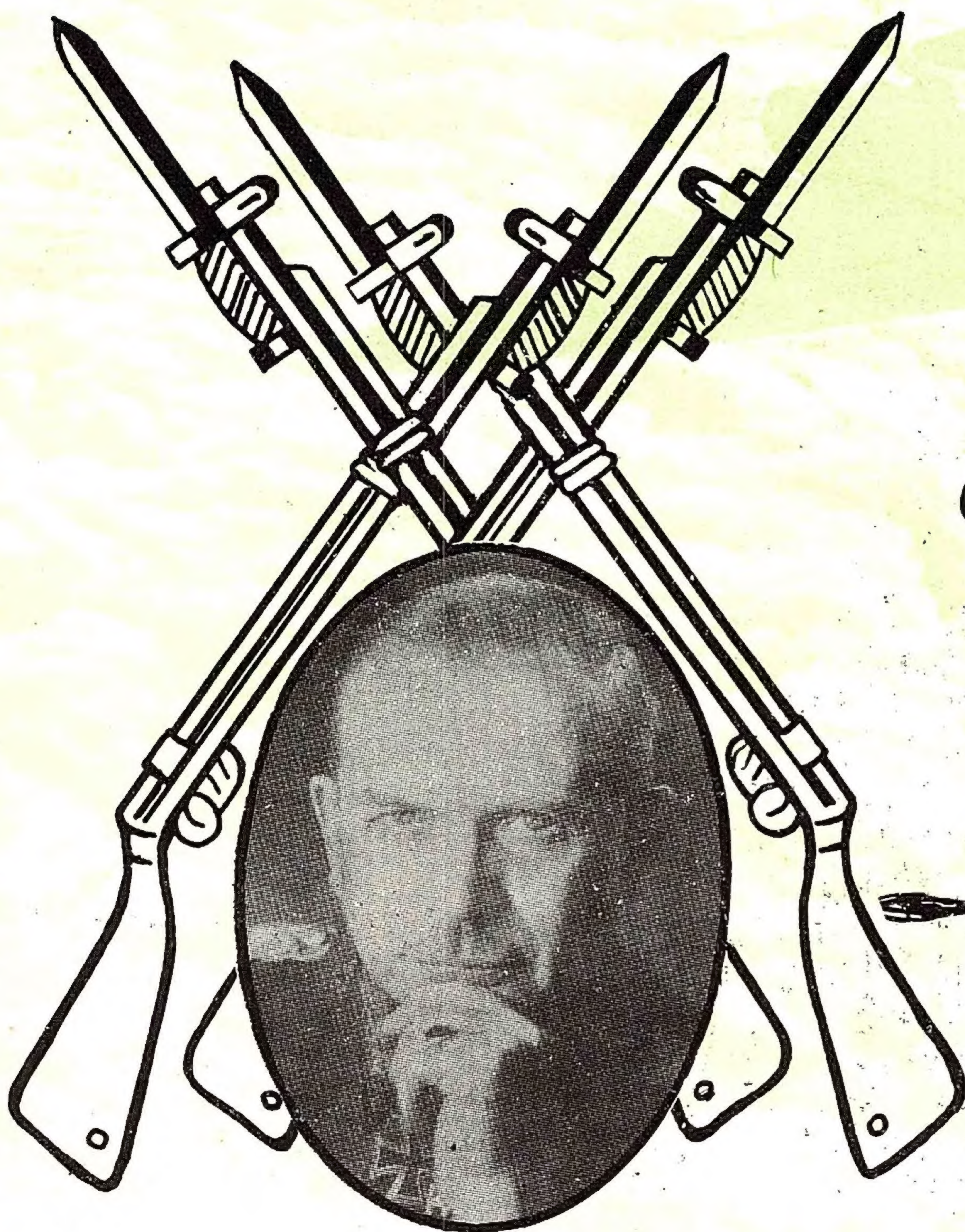


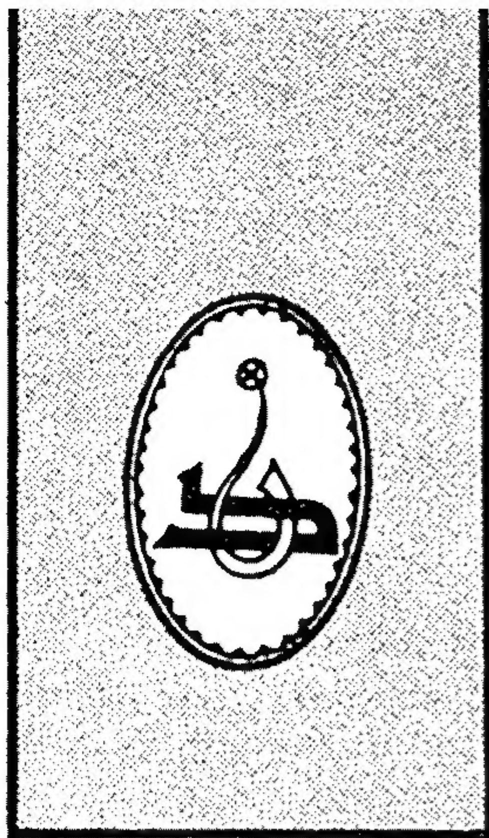
مشاهير قادة
الحرب العالمية الثانية
٢

غودريان

بسّام العسليّ



دار النفائس



هانز غودريان

GUDRIAN- HEINZ

بسم الله الرحمن الرحيم



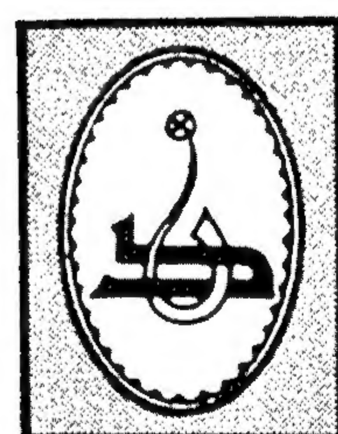
مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية



غودريان

بسّام العسَليّ

دار النفائس



دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص.ب ١٤/٥١٥٢
برقياً: دانفايسكو - ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

المقدمة

عاش جندياً ، ومات جندياً ، فعرف في حياته متاعب الحياة العسكرية ومشكلاتها في عصر أخذت فيه التقنيات في التطور تطوراً متسارعاً ومذهلاً . وقد صدم غودريان وهو في مطلع شبابه للهزيمة التي نزلت ببلاده في الحرب العالمية الأولى ، شأنه في ذلك شأن معظم القادة الألمان الذين عاشوا مرارة الخذلان ، وذل الانكسار ، هذا مع ما بذلته ألمانيا من جهد وما قدمته من تضحيات ، وما أبرزته من كفاءات . فمضى غودريان لدراسة أسباب الهزيمة ومعالجتها بموضوعية وبصورة جادة إلى أن أثمرت أبحاثه ودراساته وتجاربه في تطوير السلاح المدرع .

لقد خرجت ألمانيا من الحرب العالمية الأولى وقد أثقلتها الهزيمة . وكان الجمود الذي سيطر على الجبهات هو العامل الأساسي والحاسم الذي أدى في النهاية إلى خسارة الحرب . فقد تمكنت القدرة النارية للأسلحة من فرض سيطرتها على ميادين القتال ، ولم تتمكن قوة الفرسان العارية من مقاومة نار الأسلحة الآلية ـ الأوتوماتيكية ـ ونار المدفعية . كما وقفت صفوف المشاة

وارتالها وهي عاجزة عن اقتحام السدود النارية . ولم يكن باستطاعة الجنود مقاومة النيران إلا بالاختفاء في باطن الأرض ، فكان الرَفش والمعول هما سلاح الجندي وعدته للاتقاء من النار المنهمرة . وسيطر الجمود على الجبهات ، فتحولت الحرب إلى حرب استنزاف ، ولقد صمدت ألمانيا في وجه حرب الاستنزاف طويلاً ، غير أنها عجزت عن حسم الصراع المسلح لمصلحتها .

وظهرت الدبابة في نهاية الحرب ، واشتركت في معركة السوم بأعداد قليلة ، فتمكنت من إزالة بعض الجمود الذي سيطر على الجبهات ، وانتهت الحرب وهي تحمل في جوفها بذور التحولات الحاسمة . فقد كانت الدبابة والطائرة رغم بدائية صناعتهما ، ورغم نقاط ضعفهما ، هما المولودين المأمولين لإحداث الثورة الصناعية في مجال العمل العسكري .

لقد خرجت ألمانيا من الحرب وهي محرومة من الوسائط القتالية ، وجاءت معاهدة الصلح (فرساي) لتفرض على ألمانيا قيوداً ثقيلة تقيد من حرية انتاجها الحربي . غير أن حرمان ألمانيا من العتاد قد أفسح المجال الرحب أمام بناء صناعة جديدة غير مرتبطة بتقنيات سابقة أو بأفكار محددة . وانطلقت العقول المبدعة لتضع التصاميم المتوافقة مع ما يطلبه العسكريون لحرب المستقبل . فجاءت الدبابات الألمانية والمركبات المدرعة ووسائط النقل العسكرية وهي متقدمة في صناعاتها وتقنياتها .

غير أن المشكلة بالنسبة لألمانيا لم تكن مشكلة الابداع لإنتاج وسائط قتالية جديدة بقدر ما كانت مشكلة الاستخدام الأفضل والأمثل لهذه الوسائط .

وهنا يظهر دور غودريان المبدع الذي كان يتابع ما يقال عن الوسائط الجديدة في دوائر الغرب . فعكف على دراسة نظرية ليدل هارت ـ الكاتب العسكري الانكليزي الشهير ـ في مجال (حرب الحركة) . كما درس كتابات ديغول عن المدرعات ودورها في الحرب القادمة . وانصرف لمعالجة تنظيم القوات المدرعة ووسائطها وطرائق عملها .

وشهدت ميادين التدريب في ألمانيا ، وحقول المناورات ، نشاطاً مذهلاً لتجربة الاساليب التعبوية ـ التكتيكية ـ الجديدة ، واختبار قدرة القوات المدرعة للعمل بمجموعات ضخمة .

وتولى غودريان قيادة تشكيلات البانزر الجديدة . فأتيحت له فرصة تطبيق النظرية على أرض الواقع ، مع وضع العوامل الجغرافية (الطبوغرافية) موضع الاعتبار . فاستطاع غودريان بذلك تحقيق انتصاراته الضخمة عندما اندلعت نيران الحرب . . وبرهن غودريان عملياً وبصورة واقعية على صحة النظرية القائلة : « بأن التدريب الجيد في السلم هو الوسيلة لتوفير الدم في الحرب » .

وفي الحقيقة، فإن ما حققه غودريان من انتصارات في اجتياحه للغرب ـ بلجيكا وفرنسا ـ لا يتناسب أبداً مع ما وقع في صفوف القوات المدرعة الألمانية من خسارة في الأرواح والمعدات ، ولا يتناسب أيضاً مع ما وقع في صفوف الحلفاء ـ الانكليز والفرنسيين والبلجيكيين من خسائر . وقد كان لهذا العامل دوره في تألق نجم غودريان الذي أصبح نموذجاً لحرب الحركة الجديدة (قوات البانزر المدرعة) .

لقد أمضى غودريان بدايات حياته العسكرية في وحدات

الإشارة ، فعرف أهمية الارتباط بين القوات ، وعرف أهمية تنسيق التعاون بين الأسلحة والقوى المشتركة .

وهكذا كانت التقنية ، أو العمل الفني ، هو سبيل غودريان لتقويم الأساليب التعبوية ـ أو التكتيكية ـ وإدراك دورها الحاسم في ميدان المعركة وعلى مستوى العمليات .

وكذلك فقد أدرك غودريان أهمية الانتصار في ميدان المعركة لبلوغ الهدف الاستراتيجي . فتجمعت في ذهن غودريان وعقله الجزئيات الصغرى المكونة لمتطلبات المعركة الناجحة ، واندمجت جميعها في إطار لوحة متكاملة ، تمثل صورة الحرب الشاملة . ولم يكن باستطاعة غودريان تشكيل مثل هذه الصورة بسهولة وبساطة . فقد عمل غودريان سنوات بعد سنوات ، يصل الليل بالنهار ، وبذل من الجهد والعناء ما يتجاوز حدود الوصف حتى أمكن بلوغ الهدف .

بدأت الحرب العالمية الثانية باجتياح بولونيا ، وقد تمكن غودريان من تحقيق هذا الاجتياح في مدة لم تتجاوز الأسابيع الثلاثة ، ثم قامت دبابات غودريان ـ البانزر ـ باجتياح فرنسا خلال فترة لم تتجاوز الأسابيع الستة . وكان ذلك مذهلاً ، أثار العالم . وقد أمكن تحقيق هذه الأهداف الاستراتيجية الكبيرة بفضل التطورات التقنية الحديثة وبتحقيق التكامل بين النار والحركة . وبكلمة أخرى فقد بدأت التطورات التقنية بممارسة دور أساسي وحاسم لتحقيق الهدف الاستراتيجي ، وقد جاء ذلك في أعمال غودريان . فلا غرابة ان اعتبر هذا القائد نموذجاً للحرب الحديثة .

وغودريان . هذا القائد الكبير ، قد تميز بمجموعة من

الفضائل الحربية التقليدية ، والتي رسمت بميسمها القادة الألمان الذين مارسوا دوراً قيادياً في الحربين العالميتين الأولى والثانية . ولقد بقيت هذه الفضائل الحربية وثيقة الصلة بتكوين الرجل الألماني ذاته . فالقائد غودريان إنسان قبل كل شيء ، يحاول قدر استطاعته التخفيف من ويلات الحرب ونكباتها ؛ يشارك جنده حياتهم ، ويقاسمهم متاعبهم ومعاناتهم . ويرى في الفضائل الحربية لأعدائه صورة عن فضائله هو ذاته ، فيحترم شجاعتهم ويقدر اخلاصهم ويحترم آراءهم ومشاعرهم .

إنها أخلاق الفروسية التي عاشت في عصر ما قبل ظهور الأسلحة النارية ، ثم امتدت استطالاتها في فضائل رجال من أمثال غودريان ، وكانت هذه الظاهرة المثيرة برهاناً على امكان التوفيق بين العلم والأخلاق ، بين التقنية والفضيلة . وهذا في جملة ما يمكن تعلمه من تجربة غودريان ، القائد الألماني .

بسام العسلي

الوجيز في حياة غودريان

١٨٨٨ ولد هانز غودريان في بلدة كولم بألمانيا .

١٩٠٨ تخرج برتبة ملازم من مدرسة ميتز الحربية .

١٩٠٩ تعيينه في كتيبة اللاسلكي .

١٩١٣ نقله إلى كلية برلين الحربية .

١٩١٤ ترفيعه إلى رتبة ملازم أول وتعيينه ضابط إشارة في هيئة أركان الجيش الرابع .

١٩١٥ ترفيعه إلى رتبة نقيب ، ونقله ضابط إشارة إلى هيئة أركان الجيش الخامس .

١٩١٧ تعيينه في هيئة أركان الجيش (ج) بعد تنقله ضابطاً للإشارة في عدد من الفرق . .

١٩١٨ إرساله لاتباع دورة ضباط أركان في مدينة سيدان ، ثم نقله إلى القيادة العامة .

١٩١٩ قائداً عاماً لحرس الحدود الجنوبي (برسلو) ثم حرس الحدود الشمالي (بارتنستين) .

١٩٢٢ نقل إلى ميونيخ ـ حيث مجموعة النقل بالعربات السابعة (بافارية) .

١٩٢٧	ترفيع غودريان إلى قائد كتيبة ثم نقله إلى وزارة الرايخ الحربية .
١٩٢٨	تعيينه مُدرباً للتكتيك في هيئة أركان تدريب النقل بالعربات (في برلين) .
١٩٣٠	تعيينه قائداً لمجموعة النقل بالعربات الثالثة (في برلين) .
١٩٣١	ترفيعه إلى رتبة مقدم ، ونقله إلى وزارة الرايخ الحربية ، ليعمل رئيساً لهيئة أركان تفتيش وحدات النقل بالعربات .
١٩٣٣	ترفيعه إلى رتبة عقيد . وتعيينه رئيساً لهيئة أركان قيادة الوحدات المدرعة .
١٩٣٥	تعيينه قائداً لفرقة البانزر الثانية في ورزبورغ .
١٩٣٦	ترفيع غودريان إلى رتبة جنرال قائد لواء .
١٩٣٨	ترفيعه إلى رتبة جنرال قائد فرقة ، وتسليمه قيادة الفيلق ١٦ .
١٩٣٩	تعيينه قائداً للفيلق ١٩ واشتراكه في حملة بولونيا .
١٩٤٠	اشتراكه في الحملة الغربية ـ قائداً لمجموعة البانزر ـ ثم ترفيعه إلى رتبة جنرال جيش . ثم قائداً لمجموعة البانزر الثانية .
١٩٤١	تعيين غودريان قائداً للجيش المدرع الثاني ، ثم نقله إلى احتياطات القيادة العليا للجيش البري .
١٩٤٣	تعيينه مفتشاً عاماً للوحدات المدرعة .
١٩٤٤	تعيينه رئيساً لهيئة أركان القوات البرية .

١٩٤٥ إنهاء خدمة غودريان بانتهاء الحرب ، وانصرافه للكتابة - حيث صدر له مؤلفه (مذكرات جندي) الذي يعتبر ترجمة أمينة وصادقة لدور غودريان في تطوير السلاح المدرع وفي حرب الحركة .

١٩٥٤ وفاة غودريان (يوم ١٤ أيار - مايو) .

* * *

« إن زج الفرق المدرعة باستمرار في واجبات دفاعية هو هدر للقوى . وهو يؤخر إعادة تنظيم هذه الفرق ويضعف قدرتها الهجومية » .

غودريان

الفَصْل الأوَّل

١ ـ جيل الهزائم .
٢ ـ السلاح المدرَّع .
٣ ـ التجربة الأولى في الحرب .
٤ ـ اجتياح الغرب .

١ - جيل الهزائم

كان من قدره أن يعيش حياة جيل الهزائم ؛ فقد منيت بـلاده بالهزيمة مرتين خلال ربع قرن من عمر الزمن . وللهـزيمة قسـوتها ، ولها طعمها المر كالعلقم ، وتهـتز الأمة كلهـا ؛ والشعب جميعه لـوقع الهزيمة ؛ غير أن هذه الهزيمة تنال بقوة أكبر ، وبقسوة أشـد ؛ أولئك الـرجال الـذين اختاروا مهنـة الحـرب حـرفـة لهم ؛ وجعلوا من فن استخدام السلاح وقعقعته رفيقاً لحياتهم ووسيلة لاثبات وجـودهم . فكيف إذا كان هؤلاء الرجال من القادة الذين يحملون على كـاهلهم مسؤولية الإعداد للحرب وقيادة أعمـالها القتـالية ؟ إن شعـور هؤلاء بالهزيمة يبقى أكبر ، ومسؤولياتهم تجاه شعوبهم وتجاه أنفسهم تبقى هي الأقوى .

ولقد كان هانز غودريان من جيل هؤلاء القادة ؛ وعـاش حياة هزيمة بلاده ـ ألمانيا ـ بكل قسوتها ومرارتها وإحبـاطها . وصحيـح أنه كـان يحمل رتبـة صغيـرة خـلال الحـرب العـالميـة الأولى ؛ فكـانت مسؤولياته بالتالي محدودة لا تتجاوز ثقل رتبته ـ رائد أو ميجر ـ إلا أن الأعمـال التي اضطلع بهـا خلال الحـرب ـ في هيئـات أركـان فـرقـة الاحتيـاط (٥٢) وفي هيئـة أركـان فيلق الحـرس وفي هيئـة أركـان الجيش (ج) ثم في هيئة الأركان العامة ـ قد جعلته أكثر قدرة عـلى فهم مشكلات القوات ومسؤوليات القادة في إدارة الحرب .

وهكذا ؛ وانطلاقـاً من هذا الفهم ؛ سـار غودريـان مدفـوعاً

بقوة حافز الهزيمة ؛ وهو يطمح لبلوغ النصر ؛ وللانتقام من الهزيمة والثأر لها . وليس من الصعب تصور ما عاناه هانز غودريان ما بين نهاية الحرب سنة ١٩١٨ والأول من نيسان ـ أبريل ـ ١٩٢٢ عندما تم نقله إلى (برلين) للعمل في هيئة أركان فرع النقل بالسيارات ، فكان عليه دراسة عمل رحبات السيارات ، وصهاريج الوقود والأبنية التابعة للرحبات والأعمال الفنية وقضايا الطرق والمرور . ولم تكن لدى غودريان فكرة واضحة عن هذا العمل الجديد ، فأفاد من خبرة الموظفين القدماء في الوزارة ، بقدر ما أفاد من التجارب العملية والاختبارات التي أجراها لنقل الوحدات .

ولقد قدمت تجربة الحرب العالمية الأولى نماذج كثيرة عن تنقل الوحدات العسكرية بالسيارات ؛ غير أن هذه التنقلات كانت تجري دائماً وراء جبهة ثابتة ، ولم تتم أبداً في حرب جبهتها كثيرة الحركة وبتماس مباشر بالعدو .

وتساءل غودريان : لقد خرجت ألمانيا مهزومة من الحرب العالمية الأولى . وليس من المعقول أن يبدأ الصراع المقبل بمعارك محدودة وراء جبهات ثابتة ؛ فما هو العمل ؟ إن علينا الاعتماد على دفاع متحرك ؛ ولا بد عند معالجة مسألة نقل الوحدات الآلية في حرب الحركة من التعرض لقضية أمن القوات أثناء التنقل . وليس بالمستطاع ضمان الأمن إلا باستخدام العربات المدرعة التي تستطيع وحدها تأمين حماية القوات بنجاح .

وانفتحت أمام غودريان آفاق واسعة ، فأخذ في تطوير أبحاثه عبر التجارب القليلة التي قامت بها وحدات الدبابات الألمانية والتجارب الكثيرة التي قامت بها وحدات دبابات فرنسية وانكليزية .

وأفـاد غودريـان بخـاصـة من الكتـابـات والنـظريـات التي وضعهـا المنظِّرون البريطانيون من أمثال جون فوللر وليدل هـارت ومارتـل ، والذين أثاروا الانتباه إلى ضرورة استخدام الدبـابات في مجـال تكون فيه أكثر من مجرد سلاح مرافق للمشاة .

لم يلبث (غودريان) أن اكتسب بسرعة اسم (الاختصاصي) وذلـك بفضـل عـدد من المقـالات التي كتبهـا ونشـرهـا في (مجلة الجيش) . وكلف في شتاء ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ بتنظيم مناورة لاستخدام الـوحدات الآليـة بالتعـاون مع الـطيران ، وقـد رشحه نجـاحـه في مشروع المناورة لتعيينه مدرباً للتكتيك والتاريخ العسكـري . فتابـع عمله ووضـع مجموعـة من التمارين والمنـاورات عـلى الخـرائط كـان هـدفها دراسـة استخدام الآليـات المـدرعـة لا سيـما أثنـاء عمليـات الاستطلاع بالتعاون مع الفرسان .

وشغـل (غودريـان) وقته بكـامله في إعـداد مـواده التي كـان يدرِّسها لطلاب هيئة الأركان في مدينة (ستيتن) . وكان من الممتع لـه إثارة المنـاقشات بـين طلابـه بشأن استخـدام الوحـدات الآلية ـ الميكـانيكية ـ . وأفـاد هو من ذلـك ؛ إذ أخذت أفكـاره في التـطور لاستثمــار القـدرة الحركيـة للقـوات عـلى المستـويـين التكتيكي والعملياتي .

بقي (غودريان) هو المبشر والداعية لتطوير (حرب الحركة) وأتيحت له الفرص لعرض أفكاره ونظرياته عبر المؤتمـرات والتمارين التعبوية ـ التكتيكية ـ .

وبعد ثلاث سنـوات من التعليم ، نقل مـرة أخرى إلى وزارة الدفاع ـ فرع النقل المرتبط بفرع العمليـات ـ . وكان تصـور القيادة

عن عمل هذا الفرع هو تأمين نقل الوحدات بالسيارات من النوع التجاري . وكان من الضروري تبعاً لهذا التصور زيادة عدد الآليات بنسب غير معقولة من أجل نقل فرق بكاملها مع جميع خيولها ومدافعها ووسائطها القتالية وتجهيزاتها ، مما أثار مناقشات حادة .

وقام (غودريان) في خريف عام ١٩٢٨ ؛ بتدريب طلابه على تكتيك المدرعات ، وتم استخدام دبابات هيكلية ؛ وتطورت الدبابات فباتت تصنع بصفائح حديدية ، بعد أن كانت تغطى بقماش ويقوم بدفعها الرجال . وجرى خلال هذه المناورات دراسة إستخدام الدبابة باعتبارها آلية مستقلة ضمن الفصيلة والسرية والكتيبة .

وتصادف في تلك الفترة أن أتيحت لغودريان فرصة زيارة السويد ؛ حيث استضافه القادة السويديون بالودّ لمدة أربعة أسابيع ، اطلع خلالها على استخدام الدبابة (ل . ك ـ ٢) من دبابات الحرب العالمية الأولى ؛ وقام بقيادتها .

وتشكلت لدى غودريان (سنة ١٩٢٩) قناعة تامة بأنه لن تكون للدبابة أية أهمية حاسمة إذا ما استخدمت استخداماً مستقلاً ، أو إذا استخدمت مع المشاة . وأنه لا بد لتأمين المردود الأقصى للدبابات من زيادة سرعة حركة بقية الأسلحة وضمان قدرتها على العمل في جميع الأراضي التي سوف تعمل معها ويجب على الدبابات أن تقوم بالدور الرئيسي في تشكيل مختلف صنوف الأسلحة ؛ وأنه لزاماً على بقية صنوف الأسلحة أن تتكيف مع عمل الدبابات .

وهكذا ؛ وبدلاً من إضاعة الدبابات في فرق المشاة ؛ فإنه

من الأفضل إحداث فرق مدرعة تضم سائر صنوف الأسلحة التي تحتاجها الدبابات لخوض القتال بكفاءة عالية .

وعلى هذا بدأ غودريان دراسته الجديدة في موضوع (الفرقة المدرعة) . وكان لا بد له من الاصطدام بالمقاومة التي كانت تعترض سبيله ؛ والتي كانت تجد في فكرة (الفرقة المدرعة) ضرباً من الخيال الذي لا يمكن تحقيقه . ومقابل ذلك ؛ لقي تشجيعاً من بعض الأوساط القيادية ذات العقلية المتفتحة ؛ من أمثال مفتش الآليات (الجنرال أوتو فون ستلبناجل) الذي أحيل على التقاعد سنة ١٩٣١ ؛ والذي قال لغودريان وهو يودعه ويشجعه :

« أنت قائد نشيط . وسوف لا نعيش طويلاً لنرى سير الدبابات الألمانية . صدقني إذا قلت ذلك » .

كان العلماء الألمان والاختصاصيون في العتاد المدرع قد عملوا بتوجيه من القيادة الألمانية ، فأقاموا مركزاً للتجارب في (قازان) في الاتحاد السوفييتي . واستطاع هذا المركز الاستجابة لطلبات القيادة الألمانية فقدم لها نموذجين من الدبابات المتوسطة ؛ وثلاثة نماذج من الدبابات الخفيفة التي أنتجتها المصانع المختلفة والتي أقيمت منذ سنة ١٩٢٦[١]. وسلحت الدبابات المتوسطة بمدافع من عيار

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن ذلك قد تم وفقاً لتخطيط محكّم حدده رئيس هيئة الأركان الألماني في تلك الفترة ـ فون سيكت ـ بقوله : « ليس من مصلحة جيوش المستقبل أن تكدس المخزون من العتاد ؛ بل يكفي صنع ـ نماذج ـ والإعداد لصناعتها بالجملة ، وذلك بتنظيم عملية انتقال المعامل من نظام السلم إلى نظام الحرب . يجب أن يتم هذا العمل بفضل التعاون الوثيق بين العسكريين والمهندسين . ولا شك أن هذا يتطلب مساعدات من الدولة لصيانة الآلات ـ المصانع ـ وشراء المواد =

(٧٥ مم) والـدبابـات الخفيفـة بمـدافـع من عيـار (٣٧ مم) . ولم تصنـع النمـاذج من الفـولاذ الخـاص بـالـدروع ؛ بـل صنعت من الفونت . وكانت سرعة جميع هذه الأنواع تقارب العشـرين كيلومتراً في السـاعة ، و٣٥ ـ ٤٠ كم / سـاعة في الأراضي المنبسـطة كأقصى سـرعة . وقـد جاءت هـذه النماذج مـطابقـة لمختلف المتـطلبـات : محكمة السد ضد الغازات ؛ قدرة فائقة على عبور المخاضات ؛ رمي المـدفع ورشـاش البـرج في جميـع الاتجـاهـات ؛ إرتكـاز جيـد عـلى الأرض ، إمكان إجراء المناورات والتحركات بسهولة . إلا أنه ظهر بـأن لهذه النمـاذج عيوبهـا : فقد كـان مكان قـائد الـدبـابـة بجـوار السائق ؛ مما كان يحرمه من قدرة النـظر إلى الخلف ؛ كما أن اهتـزاز السـلاسل وعمق المقعـد كـانـا لا يتيحـان لـه سـوى رؤيـة جـانبيـة محدودة ؛ ولم تكن الدبابة قد جهزت بـاللاسلكي ؛ وكـان لا بد من صنـع نمـاذج جـديـدة . وكـان عـلى الـدبـابـة أن لا يتجـاوز وزنها ٢٤ طنـاً ؛ وهـو الحـد الـذي كـان مقـرراً لقـدرة احتمـال الجسـور الألمانية .

وحـدث خلاف بـين غودريـان وبين رئيس الفـرع المسؤول في التسليح ومفتش المدفعية بالنسبة لعيار المدافع في الـدبابـات . وكان من الصعب في تلك الفتـرة الوصـول إلى حل نهائي لهـذا الخلاف . كـما حدث خـلاف ممـاثـل بـين (غـودريـان) وبـين أنصـار سـلاح الفـرسان . غـير أن (غـودريـان) استـطاع هنـا تحقيق الانتصـار ،

= الأولية . إلا أن هذا النظام بالحساب الإجمالي ، يـظل أقل كلفـة من صنع وتخزين كميـات كبيرة من العتـاد الـذي تنحـدر قيمتـه سـريعـاً » .

(تاريخ الجيش الألماني ـ ص ٣٥١)

فانتصر المدفع على السيف ، وانتصرت الآلة على الحصان . وقد أمكن تحقيق هذا الانتصار عبر الجهود المستمرة لأنصار التجديد ؛ وعبر التجارب والمناورات المتتالية والتي كان من أبرزها مناورة سنة ١٩٣٢ ، والتي كانت آخر مناورة حضرها مستشار ألمانيا ـ الماريشال فون هندنبورغ ـ . فقد سمّي هتلر قائداً عاماً سنة ١٩٣٣ ، فانقلبت سياسة الرايخ ـ داخلياً وخارجياً ـ رأساً على عقب . وتبع ذلك تعيين (فون بلومبرغ)[1] وزيراً للدفاع ، وتعيين (فون ريشنو) وزيراً للقوات البرية .

وكان لهذه التعيينات أثر واسع في تطوير أعمال غودريان ؛ وأصبحت متطلبات السلاح المدرع تلقى تفهماً تاماً . كما أظهر هتلر اهتمامه الشخصي بالمسائل المتعلقة في تطوير آليات الوحدات المدرعة. وقدم لغودريان البرهان الأول ، أثناء عرض العتاد الجديد الذي تم في (كومرسدورف) . وخصص في هذا العرض لغودريان نصف ساعة فقط لتقديم عناصر وحدة النقل في القتال . فقام غودريان بعرض فصيلة من الرماة راكبي الدراجات النارية ، وفصيلة من العناصر المضادة للدرع وجماعة مدرعات ؛ ونموذجاً قيد

---

(١) فون بلومبرغ : (Von Blomberg - Werner) جنرال ألماني (١٨٧٨ ـ ١٩٤٦) أصبح وزيراً للحرب (١٩٣٣ ـ ١٩٣٨) ، وقد دعم هتلر للوصول إلى السلطة وأيده بحماسة يوم وفاة المشير ـ الرئيس هندنبورغ ـ في ٢ ـ آب ـ أغسطس ـ ١٩٣٤ . ورغم ما بذله بلومبرغ من جهد لوضع كل سلطات ألمانيا في قبضة هتلر ، فقد كافأه هتلر بعزله يوم ٤ شباط ـ فبراير ـ ١٩٣٨ ، وتولى هو صلاحياته ، وأدانه بتهمة الزواج من عاهرة . وكان من القادة الألمان الموثوق بكفاءتهم .

التجربة ؛ وجماعة من عناصر الآليات الثقيلة المجهزة أيضاً بالرشاشات . بالإضافة إلى جماعة أخرى من عناصر الآليات الخفيفة المسلحة بدورها بالرشاشات . وتأثر هتلر بتحركات وحدات غودريان ودقتها ، حتى أنه صرخ عدة مرات : « **هذا ما يلزمنا ! هذا ما أريده !** » .

حضر غودريان بعد ذلك افتتاح يوم الجيش في كنيسة الثكنة في مدينة (بوتسدام) يوم ٢١ آذار ـ مارس ـ ١٩٣٣ . وجلس في المنصة وراء المقعد الخالي للامبراطورة ، وراقب المشهد التذكاري الذي كان يجري أمام قبر فريدريك الكبير . وبعد أن انتهى ذلك الاحتفال المهيب ، أعلن عن المرسوم الشهير المتعلق بجميع السلطات ، وذلك بمساعي (الجبهة الوطنية) . ومنح المرسوم الجديد القائد الأعلى سلطة ديكتاتورية مطلقة . وقليل هم السياسيون الذين أدركوا مدى تأثيره على المستقبل ؛ وما يترتب عليه من نتائج خطيرة ومسؤوليات كبرى . فلا غرابة إذن إذا ما انساق غودريان مع التيار ؛ متأثراً بحماسة (روح الجماعة) .

استمر غودريان في بذل الجهد خلال سنة ١٩٣٣ لتشكيل الوحدات المدرعة ؛ وأظهرت له المناورات التجريبية والتدريبية ـ بعتاد مزيف ـ المعطيات الواضحة عن تعاون مختلف صنوف الأسلحة . وازداد اعتقاده رسوخاً بخطورة هذا السلاح الجديد وأهميته ؛ وأنه سيكون للدبابات مردود عظيم إذا ما استخدمت سلاحاً رئيساً في الحرب ، وإذا ما تم تشكيل فرق كاملة منها تضم ما تحتاجه من أسلحة دعم مختلفة على أن تكون جميعها آلية ـ ميكانيكية ـ .

عين الجنرال (فون فريتش)[1] قائداً للقوات المسلحة البرية الألمانية في خريف سنة ١٩٣٣ ، ولقي منه (غودريان) كل دعم وتشجيع ؛ وبات لزاماً عليه وضع أنظمة خدمة الوحدات المدرعة لمواجهة تشكيل الفرق المدرعة . فقد طالب غودريان بتشكيل ثلاث فرق مدرعة ؛ إلا أنه كلف بتشكيل فرقتين فقط ؛ ووافق على ذلك ؛ واندفع بحماسة لانجاز هذا التحول .

وتم في ربيع سنة ١٩٣٤ تشكيل قيادة الوحدات الآلية ، وأسندت قيادتها إلى الجنرال (لوتز) في حين أسند إلى (غودريان) منصب رئيس هيئة أركان هذه الوحدات . وبينما كان (غودريان) منصرفاً لانجاز عمله ، شعر بأن كارثة حلت بألمانيا بوفاة الفيلد مارشال (فون هندنبورغ)[2] يوم ٢ آب - أغسطس - سنة ١٩٣٤ . وترك شعبه في مرحلة (ثورة داخلية) ذات نتائج غير

---

(١) فون فريتش : (VON FRITSCH . BARON WERNER) جنرال ألماني . (١٨٨٠ - ١٩٣٩) عين رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش الألماني سنة ١٩٣٣ . اشترك في المؤامرة لعزل بلومبرغ ؛ على أمل أن يخلفه في منصبه ، غير أن هتلر عزله بحجة (الشذوذ الجنسي - اللواط) يوم ٤ شباط - فبراير - ١٩٣٨ ؛ وعين مكانه (فون براوختش) . وقتل بعد ذلك ، وقيل أنه مات منتحراً . وكان من القادة الذين يثق بهم الضباط الألمان عامة .

(٢) هندنبورغ :- (HINDENBURG, PAUL LUDWIG VON BENECKEN - DORFF) ماريشال ألماني ورئيس ألمانيا (١٨٤٧ - ١٩٣٤) خاض الحرب على الجبهة البروسية - النمساوية وعلى الجبهة البروسية - الفرنسية (١٨٧٠ - ١٨٧١ م) ثم تقاعد سنة ١٩١١ . واستدعي للخدمة في شهر آب - أغسطس - ١٩١٤ لقيادة الجبهة الشرقية . وكان الماريشال لودندورف رئيساً لهيئة أركان حربه .وحقق عدداً من الانتصارات أهمها معركة تانبرغ . ثم أسندت إليه قيادة الجبهة الغربية (١٩١٦) . وعمل لودندورف أيضاً رئيساً لهيئة أركان حربه . وتقاعد سنة ١٩١٩ =

متوقعة . وكتب غودريان لزوجته في ذلك اليوم رسالة جاء فيها :

« توفي قائدنا العجوز ؛ وهذه الخسارة التي لا يمكن تعويضها قد أحزنتنا . كان في الحقيقة أباً لهذا البلد ؛ ولا سيما لجيشنا ؛ والفراغ الكبير الذي يتركه غيابه في نفوس شعبنا ؛ لا يمكن املاؤه ، وسنلقى صعوبات كبيرة في التعويض عنه . إن وجوده فقط كان ثميناً جداً في نظر الأجنبي أكثر من المعاهدات المكتوبة والكلمات الطيبة . لقد وثق العالم به . ونحن الذين أحببناه ومجدناه ؛ نفتقده الآن كثيراً . وغداً سنقوم بأداء القسم أمام هتلر . ونتيجة القسم خطيرة ، فأدعو أن يتقيد به الطرفان لصالح ألمانيا . فقد تعوّد الجيش على التمسك بقسمه ؛ وأرجو أن يتقيد بشرفه . إن على الناطقين باسم المنظمات الإفادة من هذه المناسبة للتخلي عن كل تكبر والتخلي عن خطبهم . ويكفي الوفاء بالواجب ؛ والعمل بصمت » .

دفن الجنود الألمان المارشال قائد الرايخ يوم ٧ آب ـ أغسطس ـ في النصب التذكاري لمعركة (تننبرغ) ووقف غودريان يستمع إلى هتلر وهو يلقي كلمته التأبينية : « والآن ادخل الى الفردوس أيها القائد الحربي الراحل » .

وأصبح أدولف هتلر القائد الأعلى للرايخ والقائد العام للقوات المسلحة في آن واحد . واحتفظ لنفسه بجميع السلطات .

= وأصبح رئيساً للدولة الألمانية (١٩٢٥ ـ ١٩٣٤) . وكان مرغماً على اسناد منصب مستشار ألمانيا إلى هتلر سنة ١٩٣٣ (أنسكلوبيديا الحرب الحديثة ـ روجر باركينسون ـ بالادان ـ ص ١٥٧) .

وقامت منذ هذا التاريخ ديكتاتورية لا حدود لها .

(أمضى (غودريان) شتاء سنة ١٩٣٥ في عمل شاق وفي جهد مستمر . وجرى في شهر آذار ـ مارس ـ عرض عسكري اشتركت فيه الوحدات المدرعة للمرة الأولى .

وفي يوم ١٦ آذار ـ مارس ـ ١٩٣٥ وبينما كان (غودريان) يمضي سهرة لدى الملحق العسكري البريطاني ، أعلنت الإذاعة الألمانية بياناً حكومياً بإعادة الخدمة العسكرية الإجبارية الألمانية . ولم يتمكن (غودريان) من إخفاء فرحته بهذا الحدث الذي أعاد لألمانيا كرامتها وحرية عملها العسكري .

وبدأت عجلة الأحداث بالتسارع . وانطلقت العربة العسكرية للتطور بسرعة ؛ وظهر ذلك في مناورات الصيف والتي اشتركت فيها الدبابات بالتعاون مع سائر صنوف الأسلحة . وكانت نتائج هذه المناورات التدريبية والمناورات مشجعة للغاية . وعندما ألقي المنطاد الكروي الأصغر وهو إشارة نهاية المناورات ، قال الجنرال فريتش مازحاً : « **لم يبق سوى الكتابة على المنطاد : دبابات غودريان هي الأحسن** » .

وبتاريخ ١٥ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٣٥ ، تحققت رغبة غودريان بأن تم الانتهاء من تشكيل ثلاث فرق مدرعة . وأسندت إليه قيادة الفرقة الثانية منها (في وورسبورغ) .

وكان (غودريان) يأمل ؛ وهو يمضي لقيادة فرقته ؛ أن يستمر العمل لتشكيل فرق مدرعة جديدة . غير أن التطورات سارت على اتجاه مغاير . فقد مارست قيادة المشاة وقيادة الفرسان ضغطاً شديداً

على القيادة ، مما أدى إلى تشكيل الألوية المدرعة المخصصة للتعاون مع المشاة فقط . كما شكلت ثلاث فرق خفيفة ـ من الفرسان ـ ضمت كل فرقة منها لوائي رماة آلية ولواء استطلاع ولواء مدفعية ومجموعة دبابات وعناصر أخرى من أسلحة مختلفة . وشكلت أيضاً أربع فرق مشاة آلية وذلك بوضع فرق مشاة عادية على المركبات وتطلب ذلك عدداً هائلاً من الآليات . وأدى ذلك كله إلى بعثرة القوات الآلية والمدرعة ؛ فلم تصل مطلقاً سرعة إيقاع صنع العربات المجنزرة للأسلحة المساعدة للدبابات ـ مثل المدفعية والمشاة والمهندسين الخ . .ـ إلى المعدل المطلوب . وكان من حسن حظ (غودريان) أنه لم يعلم بهذه التطورات إلا عن طريق المصادفة .

رفع (غودريان) إلى رتبة عميد في الأول من آب ـ اغسطس ـ ١٩٣٦ . واشترك في مناورات الخريف . وكانت سعادته كبيرة عندما تقدم إلى مؤسس الجيش الألماني (فون سيكت)[١] وشرح له تطورات السلاح المدرع الجديد ؛ وأظهر له أن جهوده لبناء الجيش الحديث لم تذهب هباء .

---

(١) فون سيكت : (VON SEECKT , HANS) جنرال ألماني (١٨٦٦ ـ ١٩٣٦) عمل رئيساً لهيئة الأركان الألمانية (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ثم وزيراً للحرب . وهو الذي مثل ألمانيا في مؤتمر فرساي . وقد اعتبر بأنه المؤسس الحقيقي للجيش الألماني بعد الحرب العالمية الأولى . وقد وضع مخططاً لإعادة تنظيم الجيش الألماني الذي حددته معاهدة فرساي بمائة ألف جندي فقط ، ليكون نواة قادرة على التطور بسرعة ، من حيث تنظيمه وتدريبه ، عندما تحين الفرصة للتحرر من بنود معاهدة فرساي ـ وهو ما فعله هتلر عندما استولى على السلطة ـ . وقد استقال سيكت من منصبه سنة ١٩٢٦ بسبب الضغط الذي مارسته فرنسا على ألمانيا لإقالته . فتوجه سيكت إلى الصين حيث عمل على تدريب الجيش الوطني الذي كان يقاتل الشيوعيين . =

وفي شتاء ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ وضع غودريان كتابه (إنتبه ـ الدبابات) بهدف شرح المبادىء الأساسية لعمل الوحدات المدرعة بأسلوب بسيط ؛ يمكن من نشر المعرفة ؛ واكتساب الأنصار والمؤيدين لتطوير السلاح المدرع .

٢ ـ السلاح المدرع

استخدمت (الدبابة) للمرة الاولى خلال معركتي (كامبري)[١]و (أميان)[٢]أيام الحرب العالمية الأولىٰ . وتحدثت قصص الحرب عن هذه المركبة المرعبة التي حطمت بسهولة شبكات

= وعاد إلى ألمانيا سنة ١٩٣٦ غير أنه لم يلبث أن توفي ؛ وهو محتفظ بمكانته الرفيعة في وسط القادة الألمان الذين اعترفوا له بفضل الحفاظ على القدرة الألمانية في مجال الصناعة الحربية وفي مجال تنظيم الجيش وتدريبه .

(١) كامبري : (CAMBRAI) مدينة كبرى في شمال فرنسا تقع على نهر الإسكوت : (ESCAUT) استولى عليها الألمان سنة ١٩١٤ واستعادها الفرنسيون سنة ١٩١٨ . واشتهرت كامبري بمعركتها الكبرى التي بدأت في الساعة ٦,٠٠ من فجر يوم ٢٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩١٧ واستمرت حتى الساعة ١٦,٠٠ . واستخدمت فيها الدبابات للمرة الأولى حيث تم زج ٩ أفواج ضمت ٣٧٨ دبابة وأمكن تحقيق اختراق بعمق ١٥ ـ ١٨ كم . لكن الألمان أوقفوا الهجوم . وتعرض الطرفان لخسائر قدرت بحوالي ٤٥ ألف إصابة .

(٢) أميان : (AMIENS) مدينة قديمة في إقليم السوم في شمال فرنسا . كانت عاصمة البيكارديين قديماً . تبعد مسافة ١٣٠ كم عن باريس . اشتهرت بالمعركة التي قام بها البريطانيون يوم ٨ آب ـ أغسطس ـ ١٩١٨ وهو اليوم الذي وصف بأنه (أسود يوم في تاريخ ألمانيا) حيث زج البريطانيون ٤٦٢ دبابة ، دعمتها الطائرات ؛ فأمكن تحقيق خرق في الجبهة الألمانية بعمق ١٥ ـ ١٨ كم في يوم واحد . وبلغت خسائر الألمان مائة ألف إصابة في حين بلغت خسائر الحلفاء حوالي ٤٤ ألف إصابة .

الأسـلاك الشـائكـة العميقـة ؛ وسحقت الخنـادق ؛ وكسـرت الرشاشات .

وقـد كان تـدخل الـدبابـات وضجيج محـركـاتهـا ولهب أقنيـة انفلات الغاز المحترق كافيـاً لإثارة الهلع من الـدبابـات ؛ مما أسهم إسهاماً كبيراً في هزيمة ألمانيا يوم ٨ آب ـ أغسطس ـ ١٩١٨ .

وتشكلت بنتيجة هذه التجربة المحدودة فكرة لـدى عدد كبـير من النقاد ؛ تتلخص بأن إحدى إمكانات الدبابة ـ وليست أهمها على أية حال من الأحـوال ـ هي قدرتهـا على السحق بمـا تمتلكه من قـوة الصدمة .

واستناداً إلى هذا المفهوم الضيق ؛ تكونت في الأذهـان صورة مضطربة عن هجـوم الدبـابات مـطابقة لـرغباتهم ، وهي أنها تسـير بسرعة ثابتـة لا تكاد تتغـير ؛ وعـلى اتجاه واحـد ؛ كـما أنها تتحـرك بمجموعات كثيرة في وقت واحد ، مما يجعلها هـدفاً سهـلاً للمدافـع المضـادة للدبابـات ولمدفعيـة الخصم . وهذه الـدبابـات تتدفق نحـو الوحدات المعادية المتمسكة بالأرض ؛ فتعمل على سحقها .

ولم يهتم النقـاد والباحثـون بغير (قـوة الصـدمـة) و (القـدرة الحركية للدبـابات) وأسقـطوا من اعتبارهم القـدرة الناريـة لأسلحة الدبابات ، فهي في نظرهم صماء عمياء ؛ ولا تستـطيع الـدفاع عن الأرض المحتلة .

وبذلك انتشرت قناعة بأنه من الصعب تحقيق المباغتـة بهجوم الدبابات ، وأن خير سلاح لمقاومة هجوم الـدبابـات هو الـدبابـات ذاتهـا حيث تستطيع الدبـابـات إصـابـة الهـدف دومـاً مهـما كـانت

خسائرها . وأنه على الرغم من الدخان والضباب والنباتات وتعرجات الأرض فإن الدبابات تظهر دائماً في المكان المحدد الذي تهاجم فيه مما يجعل من السهل على الجنود اكتشافها والتعامل معها في الوقت المناسب .

وأدت هذه الصورة الخادعة إلى استنتاج خاطىء وهي أنه : « لا جدوى من هجوم الدبابات ولا فائدة » . ولهذا فإنه بالإمكان « إلغاء الدبابة والاستغناء عن دورها » مما حمل أحد النقاد على القول : « لنثب وثبة واحدة تجعلنا نجتاز عهد الدبابة ـ وبذلك فإننا لن نضطر لتعديل تكتيك جميع الأسلحة القديمة . وبالإمكان العودة إلى حرب الخنادق من نموذج ١٩١٤ ـ ١٩١٥ » .

لم يكن باستطاعة (غودريان) هضم ؛ أو قبول ؛ مثل هذه الأفكار والمفاهيم ؛ وهو ابن جيل الهزائم ؛ والباحث أبداً عن سبيل النصر الحاسم عبر المستجدات المتطورة . فقال : « إنه من غير المفيد القفز إلى العهود الغامضة إذا كنا نجهل إلى أين سنصل ، وإذا كنا لا نعرف أين تقع نقطة الوصول . وما دام الذين ينتقدون لا يستطيعون إظهار طريق جديد ؛ واختيار الطريق الأمثل لنجاح الهجوم ، غير الطريق الذي اختبرناه ، فإن علينا أن نناضل من أجل تحقيق فكرتنا : الدبابات ـ على أن نزجها زجاً جيداً ـ . وهي تكون في الوقت الحاضر أفضل سلاح هجومي في المعارك البرية ؛ وللمساعدة على تكوين رأي سديد عن إمكانات هجوم الدبابات » .

فلماذا كانت الدبابات هي السلاح الهجومي الأمثل من وجهة نظر غودريان ؟

لقد حدد غودريان إجابته على هذا السؤال بما توافر للدبابة من الميزات الثلاثة :

١ ـ قوة الصدمة ـ عبر التصفيح ـ.

٢ ـ قوة النار ـ عبر أسلحة الدبابة من مدافع ورشاشات .

٣ ـ القدرة الحركية العالية .

قوة الصدمة ـ التصفيح ـ

تتوافر لدبابات القتال جميعها ، حماية كافية ضد القذائف الخارقة التي تقذف بها أسلحة المشاة ، أما ضد الأسلحة المضادة للدبابات والدبابات المعادية فلا تتوافر مثل هذه الحماية أو الوقاية . لذلك فقد جهزت الدبابات المخصصة لمجابهة هذه الأسلحة بوقاية أكبر في البلاد التي تعد نفسها منتصرة في الحرب العالمية الأولى ـ وخاصة منها فرنسا ـ . فالافتراض أن الدبابة (١١ ـ ج) مثلاً غير قادرة على تأمين الحماية لنفسها ضد المدفع ٧٥ مم. فإذا ما تم زج جيش دبابات لا تخترقها أسلحة الخصم المضادة للدبابات ، وأمكن دفع هذا الجيش بقوة في كتلة واحدة ؛ فإن باستطاعته ضمان النصر بعد فترة قصيرة أو طويلة ؛ والتغلب على مشاة العدو وسلاح هندسته . ويمكن تأمين هذا النجاح أيضاً بالدبابات من النوع الخفيف ، تحت حماية الدبابات الثقيلة ، وذلك بعد القضاء على الدفاع المعادي المضاد للدبابات . وإذا تمكن المدافع من استخدام سلاح يخترق جميع الدبابات التي يمتلكها المهاجم ؛ وإذا تمكن من تربيصها ووضعها في مرابضها في المكان المناسب وفي الوقت المناسب ، فعلى الدبابات عندئذ تحقيق النجاح بتضحيات كبيرة .

ومن الممكن الارتياب بإمكان تحقيق مثل هـذا النجاح ، لا سيما إذا كان الدفاع كثيفاً وعميقاً ؛ بكثافة كبيرة وعمق كاف .

إن الصراع بين القـذيفة والـدرع القائم منـذ آلاف السنين ؛ ينطبق أيضاً على السلاح المدرع . وعلى هذا السلاح متابعة الصـراع كما جرى في عهد بناء الحصون ؛ وكما فعلت من قبله البحرية ، وكما يفعل الطيران في الوقت الحاضر .

إن هذا الصراع ونتائجه المتغيـرة لا يمكن له أن يشكـل حجة للتخلي عن الدروع في الحروب البرية ، وإلا لم يبق للمهاجم ـ لكي يقي نفسه ـ سوى الثياب الصوفيـة التي أثبتت الحرب العـالمية الأولى قصورها وعجزها عن تأمين الحمـاية المـطلوبة ، وذلـك رغم اللجوء إلى التحصينات الميدانية الكثيفة .

القدرة الحركية العالية

قيل في الماضي : « إن الحركة وحدها تؤدي إلى النصر » . وقد آمن (غودريان) بهذه الحقيقة ؛ وانطلق منها للإفادة من الإمكـانات الفنية ـ التقنية المتوافرة في أيـامه ؛ إذ لم تعـد أقدام الجنـد أو خيولهم هي وسائط القدرة الحـركية فقط ؛ فقـد بات بـالمستطاع الإفـادة من القطارات والخطوط الحديدية وسيارات النقـل وحتى الطائـرات لنقل القـوات وزيادة قـدرتها الحـركية . غـير أن هذه القـدرة بقيت محددة بالوصول إلى خط التماس مع العدو ، حيث تتجمد الحركـة عندهـا عامة بتأثير نيران العدو . فكـان لا بد من تـدمير الخصم أو إرغـامه على الاختفاء في الخنـادق أو دفعه إلى الابتعـاد عن مواقعـه ؛ وذلك حتى تعود للحركة حريتهـا وقدرتهـا . فكان لـزاماً الاعتماد على نـار

قوية تتفوق على نار العدو ؛ وتسكت له مدفعيته ومدافعه الرشاشة وتزيل مقاومته . غير أن مدى السلاح عند الرمي من مواقع ثابتة يساوي مسافة الرمي ؛ وفي هذه الحالة يمكن السيطرة على جميع الأسلحة الموجودة في الموضع الدفاعي . ولا تستطيع المشاة استثمار تأثير النار إلى هذا الحد . وينبغي للأسلحة الثقيلة والمدفعية تبديل أماكن تربصها ـ مرابضها ـ لاستئناف حركة النار . ويتطلب هذا النوع من القتال أسلحة عديدة ومتنوعة وكمية كبيرة من الذخائر . وإذا تم التسليم بذلك جدلاً ؛ فإن العدو يستطيع كشف خطة الهجوم ، فيدفع بقواته الاحتياطية نحو نقطة أو مركز الهجوم ويوقفه .

وأصبح من السهل ؛ ومنذ أن أصبحت الاحتياطات آلية ، إقامة جبهات دفاعية جديدة . وبات احتمال النجاح في الهجوم مرتبطاً بالمعدلات الزمنية التي تتطلبها حركة المدفعية والمشاة .

تلخصت المسألة إذن ـ من وجهة نظر غودريان ـ باستخدام القدرة الحركية العالية بأسرع مما كانت عليه في الماضي ، ثم المحافظة على هذه القدرة الحركية بعد ذلك رغم ما قد يستخدمه العدو من قدرة نارية ، وذلك لمنع المدافع من تنظيم جبهة جديدة ؛ وحتى تصل الصدمة الهجومية إلى عمق جهازه الدفاعي . وإذا ما تحققت بعض الظروف الملائمة ؛ يمكن لأصحاب فكرة السلاح المدرع إيجاد الحل المناسب .

ومقابل ذلك ، كانت حجة المقاومة المضادة للسلاح المدرع هي أن المباغتة قد ضمنت تحقيق النصر عبر التاريخ ، وأنه من المحال الحصول على هذه المباغتة عند استخدام السلاح المدرع .

وكان رد (غودريان) على ذلك هو أن إضافة وسائط قتالية جديدة إلى مجموعة التدابير التي يمكن اتخاذها لتحقيق المباغتة سيزيد من فرص النجاح اتساعاً ، وأنه يجب منح الثقة الكبرى للسلاح المدرع حتى يمكن إتاحة الفرصة للدبابات من أجل استخدام قدرتها الحركية بسرعة أكبر من قبل ؛ والإفادة من هذه القدرة واستثمارها لتطوير حرب الحركة بعد تحقيق الخرق ؛ وأن نجاح هجوم الدبابات هو أمر ممكن بفضل المعطيات المتوافرة وهي : تكثيف القوات في الأرض المناسبة ، واستثمار الثغرات والفجوات المتوافرة في التنظيم الدفاعي للخصم ؛ والإفادة من قوة العدو المدرعة الضعيفة في قطاع الخرق . وإذا عجز السلاح المدرع عن ضمان الشروط المثالية لضمان النجاح في الهجوم ـ فإن بقية الأسلحة لن تكون أفضل حظاً في إمكانات تحقيق مثل هذا النجاح إذا ما توافرت الشروط المعيقة ذاتها .

وكان من رأي (غودريان) : أن كل سلاح يتمتع بفاعليته العظمى طالما لم يظهر سلاح مضاد له . ولكن ما إن يظهر هذا السلاح المضاد ؛ فإن فاعلية السلاح تتوقف على القدرة الدفاعية للخصم في وقت معين . فإذا ما تم دفع الدبابات ضد عدو متفوق بالدبابات أو بسلاح مضاد للدبابات ، فمصيرها السحق وانخفاض فاعليتها ؛ أما إذا انقلب الموقف فستقوم الدبابات بعمل تدميري كامل . وإذا ما تم استبعاد وسائط دفاع العدو من الحساب ؛ فإن فاعلية كل سلاح تبقى مرتبطة بإرادة الإفادة دائماً من تطور الفن ؛ والاحتفاظ بأعلى ما وصل إليه هذا الفن خلال تلك الفترة . وفي هذا المجال سوف لا يترك السلاح المدرع سلاحاً آخر يتفوق عليه ؛ وقد قيل : « بأن قذيفة المدفعية في الدفاع ؛ هي وحتى إشعار آخر ؛

أسرع من هجوم الدبابات الموجهة ضد المدفعية » ، وليس هناك من يشك في ذلك ، ولكن ومنذ سنتي ١٩١٧ و١٩١٨ ، أخذت مئات الدبابات مواقعها الهجومية في المؤخرات المباشرة لخط المشاة المتقدم، واجتازت مئات الدبابات رمايات الإيقاف ؛ وتبعتها عشرات فرق المشاة والفرسان وهاجموا العدو بدون تحضير أو تمهيد مدفعي ؛ واصطدموا من جراء ذلك ؛ ومنذ البداية ؛ بمدفعية الخصم القوية . وسوف لا تنجح المدفعية المعادية بإيقاف تحرك الدبابات إلا في حالات سيئة جداً ، وبعد أن تتمكن الدبابات من إجراء الخرق حتى مواضع المدفعية ؛ ستتوقف سرايا المدفعية عن العمل بسرعة وتتوقف عن إحداث الأضرار .

ولقد ثبت في تجارب الحرب العالمية الأولى ـ بصورة خاصة ـ فشل التكتيك الصلب والجامد للمدفعية ؛ ولم تؤثر في الدبابات نيران السد ـ أو المنع ـ المحضَّرة سابقاً والتي تغطي القطاع المهدد بكامله .

إن التراب والغبار والدخان الناتجة عن رمايات المدفعية ، تَحد من حقل الرؤية في الدبابة ؛ ولكن هذا التحديد غير ضار ولا معيق . وبالإمكان التعلم منذ أيام السلم التعامل مع هذه العوامل والتغلب عليها وتستطيع الدبابات المسير بالبوصلة حتى أثناء الليل وفي الضباب ، وأثناء الهجمات التي تعتمد على نجاح الدبابات ؛ لم تكن المشاة هي (سيدة الحسم) بل كان السلاح المدرع سيدها .

النار

لم يكن التصفيح ولا الحركة إلا قسماً من المميزات القتالية للسلاح المدرع . وتبقى النار هي الميزة الأولى لهذا السلاح ؛ ويمكن

إجراء الرمي أثناء التوقف أو أثناء الحركة . ويتم في الحالتين التسديد بالنظر . فإذا ما جرى الرمي أثناء التوقف على أهداف محددة بالتسديد المباشر وبعتاد بصري جيد وعلى مسافة تتيح استخدام الأسلحة ؛ فيمكن الوصول إلى عمل تدميري بأقصر مدة ممكنة وباستهلاك محدود للذخائر . أما أثناء المسير ؛ فيصعب على رامي الدبابة اكتشاف الأهداف ؛ لأن صعوبات المراقبة تعترضه ؛ ولكن يسهل من جهة أخرى اكتشاف هذه الأهداف بسبب ارتفاع السلاح عن سطح الأرض ؛ لا سيما في الأراضي المغطاة بالنبات .

لقد انتقد الجميع ارتفاع الدبابات لأنها تشكل هدفاً جيداً أمام دفاع الخصم . غير أن هذا الارتفاع ضروري لرامي الدبابة . وإذا توجب الرمي أثناء المسير ، تصبح إصابة الهدف جيدة على المسافات القصيرة، وتتناقص الدقة في الإصابات نسبياً مع زيادة بعد الهدف ؛ ومع زيادة سرعة الدبابة ؛ وكذلك زيادة تعرجات الأرض .

تتمتع الدبابة على كل حال بالقدرة على نقل نيرانها هجومياً إلى العدو حتى لو لم تسكت جميع أسلحة الدفاع . وليس هناك من يشك بدقة رمي الأسلحة الثابتة إذا ما قورنت بالأسلحة المتحركة ؛ إلا أنه باستطاعة الدبابات الوصول إلى ذلك باستخدام طريقتي الرمي : الثابتة والمتحركة .

يقول المثل الشائع : « النصر هو وليد الحركة »، غير أن هذه الحركة كانت محدودة في أنظار الكثيرين ؛ بحيث أنه يجب عدم استخدام الدبابات في الهجوم إلا من أجل الإفادة من رمايات التمهيد ـ التحضير ـ والتي تسبق الهجوم لتدمير خط المقاومة للمشاة

المعـاديـة وإسكـات المـدفعيـة المتـدرجـة في العمق . وقـد رفض (غودريان) الأخذ بوجهة النظر هذه والتي اعتبرت أن الـدبابـة هي آليـة مشـاة فقط ، أي بمعنى آخـر سـلاح مـدرّع يقتصر عمله عـلى التعاون الوثيق مع المشاة للتقدم بصورة بطيئة تتوافق وتحرك المشاة . وقال غودريـان : « ليس بالمستـطاع الاعتماد عـلى وسائط استـطلاع المشـاة التي كـانت تستمـر أسـابيعـاً أو أشهـراً . كـما أنـه ليس من الضروري الاعتماد عـلى المدفعيـة التي تستهلك كميات مـذهلة من الذخائر . إن ما نريده هو شل العدو في عمق جهازه الدفاعي كفترة محدودة . وتحتوي دباباتنا عدداً محدداً من الطلقـات ويعني ذلك أننـا سوف لا نجري قط(رمايات مدفعية منتظمة) ولا (تكثيف مـدفعية قوية) ، وإنما علينا أن نعتقـد العقيدة المعـاكسة وهي الاعتمـاد على الطلقة المفردة الدقيقة بواسطة التسديد المباشر ؛ متأكدين من إصـابة الهدف . لقد علمتنا تجربة سني الحرب أن أقوى مدفعيـة في العالم لا تستطيع إجراء الرمايات لمدة أسابيع ؛ وأنها لا تستطيع حرمان المشاة من تحقيق النصر ، في حين برهنت تجربة الحرب أن الدبابات قـادرة على تحقيق نجاح كبـير ومتطور بهجـوم سريـع وهي منتشرة بـالطول ـ الجبهـة ـ وبـالعمق ؛ ومـوجهـة في آن واحـد ضـد نقـاط الـدفـاع المختلفة .

إن نجاحاً كهذا يؤثر في مجموع الجبهة ؛ أكـثر من النجاحـات المحدودة التي تم إنجازها في الحرب العـالمية الأولى . فـإذا ما تـوافر للهجـوم كثافـة عاليـة من الدبـابات التي تتقـدم على جبهـة واسعـة وبعمق كبير ، فإن رماياتها الدقيقـة متوفـر من استهـلاك الذخـائر ؛ وستمكّن من فتـح ثغرة عميقـة في التنظيم الـدفـاعي للعـدو وذلـك

بتدمير الأهداف التي يمكن اكتشافها ، وسيساعد ذلك القوات الاحتياطية على التقدم بسرعة عبر الثغرة . ولكن يجب أن تكون هذه القوات الاحتياطية من القوات المدرعة أيضاً ؛ والآلية ـ الميكانيكية ـ . لأننا لا نعترف لبقية القوات والأسلحة بامتلاك القدرة الهجومية المميزة بالحركة والسرعة والتي يحتاجها الهجوم وتحتاجها المطاردة واستثمار النجاح . لذلك ، فالسلاح المدرع ليس مجرد وسيلة إضافية لانتزاع النصر ، أو سلاحاً لمساعدة المشاة في الحركة لمجابهة بعض المواقف الدقيقة وبالتعاون مع بقية الأسلحة ، لأنها إذا بقيت كذلك ؛ وجب التمسك بحلول سنتي ١٩١٧ و١٩١٨ القديمة ، مما يؤدي بالتالي إلى الدخول في طريق مسدود وهو طريق حرب الخنادق ، فتتبدد كل الآمال في انتزاع نصر سريع وحاسم » .

لقد كانت الدبابة هي السلاح الافضل الذي اقتحم مجال الحرب . وقد اصطدم غودريان بخصوم هذا السلاح الذين تمسكوا بمزاعمهم عما يحدث من تطورات مضادة في انكلترا وفرنسا من حيث زيادة دقة الأسلحة من مختلف العيارات ؛ وقال : « إن المحركات المحمية بالتصفيح تتيح نقل المدافع إلى صفوف العدو ؛ مما يضعف من قيمة تحضيرات المدفعية ؛ فإذا ما أمكن تنفيذ الشروط الرئيسة التحضيرية ، وهي اختيار الأرض المناسبة وتحقيق المباغتة وزج الدبابات بكثافة ، فإنه بالمستطاع التغلب على كافة العقبات » .

وقال غودريان : « نريد انتزاع النصر بفضل عمل الأسلحة التي تندفع بسرعة في خطوط الخصم . وبفضل الرمي ذي التسديد

المباشر لأسلحتنا المتحركة والمحمية بالدروع ».

لقد قيل : « بأن المحرك ليس سلاحاً جديداً ؛ ولكنه ينقل بشكل جديد أسلحة قديمة ».

إن السلاح المدرع هو سلاح جديد في مجال الحرب البريّة ، شأنه في ذلك شأن المحرك الذي ساعد علىٰ اختراع الغواصة ، وشأن المحرك الذي ساعد على صناعة الطائرة ؛ وأوجد بالتالي (سلاح الجو) . فإذا ما نجح هذا السلاح الجديد ـ المدّرع ـ في الاضطلاع بدوره في الحرب البرية ؛ فإن على بقية الأسلحة التكيف مع سرعة المدرعات وتوقيتها وقدرتها على العمل . والمطلوب بالتالي هو أن تصبح الأسلحة المساعدة والضرورية لاستثمار نجاح المدرعات ـ المدفعية والمشاة والمهندسين وسواها ـ ذات قدرة حركية معادلة لقدرة المدرعات ، وأن تكون تابعة للمدرعات منذ أيام السلم من أجل انتزاع النصر الحاسم .

جرت مناورات كبرى للجيش البري الألماني في نهاية فصل الخريف من سنة ١٩٣٧ ؛ وحضرها هتلر ورافقه عدد كبير من الضيوف الأجانب في الأيام الأخيرة من المناورة ـ وبينهم موسوليني والمارشال الانكليزي سيرسيريل دفريل والمارشال الإيطالي بادوليو ـ واشترك في هذه المناورات لواء مدرّع ولواء دبابات . وكانت الدبابات من طراز (١) إلا أن منظر هجومها كان رائعاً .

وعاش غودريان أحلى لحظات انتصاره . لقد أصبح السلاح المدرّع حقيقة واقعة ، وانتهى العمل من تشكيل ثلاث فرق مدرعة . لقد انطلق هذا السلاح ؛ ولم يعد هناك من يستطيع إيقاف تطوُّره .

وهكذا ارتبط ظهور السلاح المدرّع الألماني باسم (غـودريان) لا في مجال تنظيمـه وتسليحه فقط ، وإنمـا أيضاً في مجـال استخدامـه وطـرائق عمله (التكتيكية وعـلى مستوى العمليـات ونهاية بـالنتائـج وتحقيق الأهداف الاستراتيجية) .

ولقد كانت هناك تطورات مماثلة تسير سيراً حثيثاً في بقية دول العالم (الاتحاد السوفييتي وفرنسا وبريطانيا) . غير أن ملامح الحرب الحـديثة في إطـار (المعركـة الحديثـة لـلأسلحـة المشتـركـة) لم تكن واضحة كل الوضوح بقدر ما كانت واضحة في ذهن (غودريان) . وكان لا بد لهذا الوضـوح من أن يرسم مـلامحه عـلى أرض المعركـة الحقيقية .

٣ ـ التجربة الأولى في الحرب

كان غودريان في طريقه لحضور اجتماع دعا إليه هتلر ؛ وذلك في صباح يوم ٤ شباط ـ فبراير ـ ١٩٣٨ . وبوغت اثناء الطريق وهـو يطالع صحيفة ألمانية عندما قرأ خبر ترفيعه إلى رتبة جنـرال فرقـة مع تعيينه قائداً للفيلق السادس عشر ؛ وكان خبراً مفرحاً ؛ غير أن هذه الفرحة ما لبثت أن تحولت إلى وجوم وذهول ؛ فقد قرأ في الصفحـة ذاتها خبر إحالة عدد كبير من قادة الجيش على التقاعد (ومنهم وزيـر الدفاع فون بلومبرغ وقائد الجيش البري فون فريتش والجنرال لـوتز وسواهم من كبار القـادة) . وكان غـودريان يعتبـر أنهم هم أصالـة الجيش الألماني والذين حافظوا على تقاليده وعملوا على تـطويره . ولم يقــدم هتلر في الاجتمـاع أي تفسـيرـ سـوى الانحـراف الخلقي لبعضهم ؛ ولمـا كـانت الثقـة بهم في وسط الجيش الألـماني هي ثقـة

مطلقة ؛ فما من أحد استطاع تصديق ما قاله هتلر ؛ لكن أحداً لم يتمكن من الاعتراض أو الاحتجاج ؛ بسبب عدم توافر أدلة للدفاع عنهم . وعلى كل حال ؛ فقد أدت إقالة بلومبرغ إلى تسلّم الفوهرر لسلطات وزير الدفاع وصلاحياته . فيما أصبح (ويليام كيتل)[1] رئيساً لقيادة الجيش البري العليا ؛ وكلف بممارسة عمل وزير الدفاع فيما لا يعيق قيادة مختلف أسلحة الجيش البري .

بينما كان - غودريان - يمارس قيادته ؛ تلقى أمراً بالحضور إلى مكتب رئيس هيئة الأركان في الساعة ١٦,٠٠ من يوم ١٠ آذار - مارس - ١٩٣٨ . وهناك علم أن الفوهرر قد اتخذ قراره بضم النمسا إلى الرايخ ضماً عسكرياً .

وعاد غودريان إلى قيادة فيلقه - السادس عشر - وأخذ في وضع الترتيبات للتحرك المحتمل ؛ وفي الساعة ٢٠,٠٠ من مساء اليوم ذاته تم استدعاؤه لمقابلة رئيس هيئة الأركان مرة ثانية حيث تلقى مهمته : « يتحرك الفيلق ١٦ ومعه فرقة البانزر الثانية واللواء - أدولف هتلر - نحو الحدود النمساوية ، على أن تحشد فرقة البانزر الثانية ولواء أدولف هتلر قرب مدينة باسو ». ورجع غودريان إلى قيادة فيلقه وأصدر أوامره باستنفار القوات - هاتفياً - .

---

(١) ويليام كيتل : (KIETEL , WILHELM) ماريشال ألماني ؛ أصبح رئيساً لإدارة وزارة الدفاع سنة ١٩٣٥ حتى شباط - فبراير - سنة ١٩٣٨ ، حيث عين رئيساً أعلى لقيادة الجيش البري ؛ وأصبح المستشار العسكري الخاص لهتلر ؛ ومعه جودل الذي يليه في القيادة . وكيتل هو الذي وقع على وثيقة استسلام ألمانيا دون قيد ولا شرط في ٩ أيار - مايو - ١٩٤٥ . ثم أحيل إلى محاكمة نورمبرغ ؛ وحكم عليه بالإعدام . ونفذ الحكم في نورمبرغ يوم ١٦ تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٤٦ .

ولما كان قادة وضباط هيئة أركان فرقة البانزر الثانية يقومون بمهمة دراسية في مدينة (تريف) في وادي الموزل ، فقد تم اتخاذ الإجراءات لنقلهم بالسيارات ، وأمكن تنفيذ التحرك في موعده بدقة ، وكانت المسافة بين برلين وفيينا ٩٦٢ كيلومتراً ، في حين كانت المسافة بين منطقة وورزبورغ ـ حيث تتمركز فرقة البانزر الثانية ـ وبين مدينة باسو ـ حيث منطقة الحشد ـ زهاء ٤٠٠ كيلومتراً ، أما المسافة بين باسو وفيينا فلم تكن تتجاوز ٢٨٠ كيلومتراً .

كان غودريان يرى بأن عملية ضم النمسا إلى ألمانيا هي استجابة طبيعية لرغبة الشعب الجرماني الواحد في الإقليمين . ولهذا فقد اقترح على القيادة السماح له بتزيين دباباته بالأعلام وأغصان الأشجار الخضراء ؛ رمزاً للسلام والمحبة ؛ وحتى لا يفسر دخول الدبابات الألمانية إلى النمسا بأنه عملية احتلال بالقوة . ووافقت القيادة الألمانية فوراً على اقتراح غودريان الذي لم يلبث ان تحرك من باسو في الساعة الثامنة من صباح يوم ١٢ آذار ـ مارس .

ولما لم يكن لدى قائد فرقة البانزر الثانية خرائط للعمليات ، فقد اضطر للاستعانة بالخرائط السياحية . ولقد جابهت القوات المدرعة صعوبات تموينية ؛ بسبب التحرك السري والمباغت ، وبسبب عدم التنظيم المبكر لقوافل الإمداد والتموين . وبالرغم من ذلك كله ، فقد اجتازت القوات المدرعة الحدود في الوقت المحدد ، وقام النمساويون من جانبهم برفع حواجز الحدود ، واستقبلوا القوات الألمانية بحب وحماسة لا وصف لها .

ووصل (غودريان) مدينة (لينز) بعد الظهر حيث جرى له

استقبال من قبل السلطات المحلية النمساوية . وبعد تناول طعام الغذاء ، قام غودريان باتخاذ الترتيبات الأمنية لاستقبال هتلر الذي وصل إلى المدينة في الساعة الخامسة مساء ؛ ودخلها بحفاوة مذهلة ، وألقى خطاباً في شرفة دار الحكومة . وبعد ذلك ؛ استأذنه غودريان في متابعة التقدم نحو العاصمة (فيينا) . فأذن له هتلر . وغادر غودريان المدينة في الساعة ٢١,٠٠ ، حيث جابهته عاصفة ثلجية ، غير أنه تمكن من الوصول إلى فيينا على رأس قواته في الساعة الواحدة من صباح يوم ١٣ آذار ـ مارس ـ ١٩٣٨ . وعلى الرغم من أن الوقت كان متأخراً ؛ وعلى الرغم أيضاً من سوء الأحوال الجوية ؛ فقد ذهل غودريان إذ رأى أن الشوارع لا تزال مكتظة بالسكان الذين استمرت مسيراتهم ـ بالمشاعل ـ طوال الليل . وبعد استراحة قصيرة ؛ توجه غودريان إلى مقر قيادة الجيش النمساوي ، حيث استقبله القادة النمساويون هناك بالحفاوة البالغة . واتخذت الترتيبات لإجراء عرض كبير حدد موعده يوم ١٥ آذار ـ مارس ـ احتفالاً بهذه المناسبة التاريخية . وقد تقدمت تشكيلات من الجيش النمساوي الفيديرالي القوات المشتركة في العرض ، وتبعتها وحدات من جيش الرايخ الألماني ؛ ثم تبعتها وحدات أخرى من الجيش النمساوي . وجرى العرض وسط أجواء حماسية مثيرة .

لقد قطعت فرقة البانزر الثانية في تحركها إلى فيينا مسافة ٧٠٠ كم ، بينما سار اللواء أدولف هتلر ـ الميكانيكي ـ مسافة ألف كيلومتر تقريباً ، وقد تم تنفيذ ذلك خلال فترة ٤٨ ساعة . ولم يحدث خلال التحرك أي اشتباك أو توقف ، إلا أن هذا المسير قد

أبرز مجموعة من النقاط الهامة ؛ مثل ضرورة اتخاذ تدابير مسبقة لتنظيم التحرك ، ومثل ضرورة تأمين الإمداد بالوقود والذخائر وتنظيم عملية الإمداد بشكل دقيق . وكذلك أيضاً ضرورة تنظيم الصيانة للدبابات وإجراء الإصلاحات الضرورية بواسطة خدمات فنية تتحرك مع القوات . ولقد كان هذا التحرك بمثابة تجربة ناجحة ؛ فقد كانت الأعطال أقل من المتوقع ؛ وإفادة قادة التشكيلات الكبرى كثيرة من هذه التجربة لقيادة تشكيلات قتالية كبرى في ظروف القتال .

عاد غودريان إلى برلين في شهر نيسان - أبريل - ١٩٣٨ ومعه الفرقة الخاصة؛ وهيئة أركان الفيلق السادس عشر؛ وشرع على الفور بإعادة تنظيم قواته وتدريبها على ضوء الدروس المستخلصة من تجربة المسير إلى فيينا . وأمضى فصل الصيف في تفقد وحدات الفيلق وتفتيشها ؛ فأتيحت له بذلك فرصة التعرف على الوحدات وقادتها . وكان يتابع خلال ذلك نشاط هتلر وجهود القيادة لاستعادة (إقليم السوديت)[1] بطريقة سلمية ؛ غير أن تشيكوسلوفاكيا رفضت التنازل عن هذا الإقليم . وظهر احتمال الحرب ؛ وتوتر الجو . واتخذ غودريان الترتيبات الضرورية للتحرك ؛ وانتقل مع هيئة أركان فيلقه إلى (بلون) يوم ٢ تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٣٨ ،

---

(١) السوديت : (SUDETES) إقليم جبلي في تشيكوسلوفاكيا ؛ تبلغ مساحته (٢٨٩٧٠) كيلومتراً مربعاً ما بين إقليمي بوهيميا وسيليزيا ويمتد من الكاربات حتى نهر ألبا على طول مائتي كيلومتراً . وهو إقليم جميل بغاباته وغني بثروته الباطنية . ومواطني الإقليم من الجرمان ؛ ولهذا ضمته ألمانيا إليها (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ثم أعيد إلى تشيكوسلوفاكيا ؛ مما تسبب في حركة هجرة واسعة ؛ وتغيير ديموغرافي - سكاني - في تكوين مواطني الإقليم .

حيث انضمت إليه فرقة البانزر الأولى ؛ وفرقة المشاة الآلية للعمل تحت قيادة الفيلق السادس عشر .

وقد نظم غودريان عملية احتلال (السوديت) على شكل ثلاث مراحل . وقد رافق هتلر غودريان خلال اليومين الأولين من التحرك ، حيث بدأت الفرقة الأولى للبانزر تحركها من (شام) إلى (ابنستوك) في إقليم الساكس ـ أي قطعت مسافة ٢٧٣ كيلومتراً ـ ثم انضمت إليها فرقة المشاة الآلية ١٣ في ليلتي ٣٠ أيلول ـ سبتمبر ـ و ١ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وبعد ذلك قامتا بالمسير من ضواحي كرافنوهير نحو الشمال استعداداً للدخول إلى إيجرلاند ؛ بدون قتال ، وكان مسيراً رائعاً خلال يومي ١ و٢ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ثم توقف غودريان على خط الحدود قرب آرش صباح يوم ٣ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ بانتظار وصول هتلر . ولما وصل ؛ تناول طعام الإفطار مع غودريان فيما كانت الوحدات المدرعة تتوغل في المنطقة .

واستقبل المواطنون في (إيجر) الوحدات الألمانية بحماسة مثيرة ، وحيت الجماهير هتلر . وفي اليوم التالي (٤ تشرين الأول ـ اكتوبر) حضر هتلر إلى عربة هيئة أركان غودريان ؛ وتناول معه طعام الغذاء ـ طعام الجنود ـ . وكانت الفرحة كبرى تغمر الجميع لعدم حدوث اشتباك مع الوحدات التشيكية . وتقدم غودريان إلى (كارلسباد) واتخذ التدابير لاستقبال هتلر ؛ وتنظيم سرايا حرس الشرف ، حيث تم استقبال هتلر بحرارة ـ كانت النساء والفتيات المرتديات الزي التقليدي الجميل تبكين فرحاً ، وقد جثون على ركبهن ؛ وكانت المظاهر العامة كافية لإبراز ما عاناه الألمان من سكان السوديت من البؤس والفقر والبطالة والاضطهاد ؛ وبدأت

المطابخ المتنقلة عملها على الفور لتقديم الطعام للفقراء ؛ إلى أن استطاع الفرع الاجتماعي القيام بعمله .

تابعت القوات الألمانية عملها لانهاء احتلال إقليم (السوديت) بين ٧و١٠ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٣٨ ، وذهب غودريان إلى (كادن) و (ساز) و (تبليدز شينو) ورأى بعينيه كيف كانت الجماهير تستقبل الجنود الألمان استقبالاً رائعاً ومؤثراً ، وكيف كانت الزهور تنهال على الدبابات والآليات الألمانية . ونزل (غودريان) في قصر (كورهوسي) في مدينة (تبليدز) حيث استقبله الأمير كلاري والأميرة والدرنجن بحفاوة بالغة ؛ وتعرف هناك إلى عدد من النبلاء الألمان في بوهيميا .

وتعززت مكانة هتلر بسبب النجاحات التي حققها في ضم (النمسا) ثم (السوديت) إلى الرايخ بدون حرب ؛ وأصبح باستطاعته إجراء التغييرات التي يريدها في قيادات القوات المسلحة ، ولكن سرعان ما عاد التوتر في الظهور .

ففي نهاية تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٣٨ ، أقيم مؤتمر للحزب في (الويمر) لافتتاح فندق الفيل . وحضر هتلر الحفل ، وتلقى غودريان دعوة للحضور لأنه كان قائداً للفيلق السادس عشر ؛ ورئيساً للوحدات المتمركزة في الويمر . وافتتح المؤتمر بحفل عام جرى في القصر ، وخطب هتلر في الهواء الطلق أمام جمهور غفير ، وتهجم في خطابه على انكلترا وعلى تشرشل وإيدن بصورة خاصة . وبعد الخطاب أقيمت حفلة شاي في بهو صالون الفندق ، واستدعي غودريان للجلوس إلى مائدة هتلر ، وأتيحت الفرصة ليتحدث غودريان إلى هتلر لمدة ساعتين كاملتين . ووجه

غودريان ـ في مجرى الحديث ـ سؤالاً إلى هتلر بسبب هجومه العنيف على انكلترا . فأوضح هتلر بأن السبب الذي دفعه إلى ذلك هو موقف المفاوضين الإنكليز أثناء مؤتمر كودسبرغ ، وتصرفهم عن عمد بأسلوب بعيد عن اللياقة مما حمله على القول للسفير البريطاني في برلين (هندرسون) بأنه إذا ما زاره ، في المرة القادمة وفد بهذا الزي غير اللائق : « فانه سيطلب من السفير الألماني في لندن بمقابلة الملك بكنزة لا أكمام لها »، وطلب إليه نقل ذلك إلى الحكومة البريطانية .

وأدرك غودريان من خلال حديثه مع الفوهرر ، بأن الفوهرر قد أصيب بخيبة أمل كبرى من موقف بريطانيا ؛ فقد كان يأمل صادقاً في التعاون معها تعاوناً ثابتاً ومستمراً ؛ وأن تظهر بريطانيا تقديراً لموقف هتلر في تحقيق طموحات الشعب الألماني ؛ وأن تعقد صلحاً معه . فلما خاب أمله ؛ كان رد فعله عنيفاً تجاهها .

قدم مسرح (الويمر) تمثيلية (عايدة) في ليلة انعقاد المؤتمر ، وحضر غودريان الحفل في مقصورة الفوهرر ، كما دعي إلى مائدته أثناء العشاء . وبعدها عاد غودريان إلى برلين ؛ حيث تم استدعاؤه لمقابلة القائد العام للجيش البري ؛ وأثناء المقابلة ؛ أعلمه القائد العام باستحداث منصب (مفتش الوحدات السريعة) . وقرأ غودريان مسوَّدة الأمر التي كانت مكتوبة بخط يد القائد العام ؛ والمتعلقة بالواجبات المنوطة بهذا المنصب وهي « مسؤولية التفتيش ومسؤولية عرض التقرير السنوي ». وهي مسؤولية تحرمه من أية صلاحية لوضع أنظمة الخدمة أو تعميمها ، أو التأثير على تنظيم القوات المدرعة وتشكيلها فرفض المنصب . وبعد ذلك جرت محاولة لإقناعه بقبول المنصب الذي تم استحداثه بأمر الفوهرر شخصياً من

أجل قيادة الوحدات الآلية والفرسان ، ولكن غودريان أصر على موقفه ، وكرر رفضه لقبول المنصب الجديد .

لم تمضِ أكثر من أيام قليلة حتى تلقى غودريان إعلاماً بالتقدم لمقابلة الفوهرر . وعندما قابله سأله هتلر عن سبب رفضه للمنصب الذي عرض عليه ، وكان هتلر وحده ؛ مما أتاح لغودريان فرصة التحدث بحرية ؛ فشرح له أسلوب التسلسل العسكري في القيادة العامة للجيش ؛ وأن المنصب الجديد يحرمه مما يتمتع به مِن حرية في العمل على رأس فيلقه الذي يضم ثلاث ألوية دبابات ـ بانزر ـ ، مما يساعده على تطوير السلاح المدرع وفقاً لما هو مطلوب ، في حين ان انتقاله إلى المنصب الجديد ، سيضعه في مواجهة القيادة التي كانت ترغب في توزيع الدبابات على المشاة ؛ بينما برهنت التجارب السابقة أن المردود الأقصى للسلاح المدرع لا يتحقق إلا باستخدامه في كتل ضخمة . وبالإضافة إلى ذلك ؛ فإن المنصب الجديد يضم قيادة الوحدات الآلية والفرسان ؛ ونظراً لما هو معروف من انحياز غودريان للسلاح الآلي ؛ فسيجد ضباط الفرسان في شخص غودريان خصماً لهم ؛ وسيعملون على مقاومته . وأنهى غودريان حديثه إلى هتلر بقوله : « إن السلطات الممنوحة لي لن تسمح لي بالتغلب على هذه المقاومات ، وستقوم اعتراضات عديدة ومناقشات دائمة ؛ لذلك أرجو إبقائي في منصبي الحالي » .

ولقد تحدث غودريان زهاء عشرين دقيقة وهتلر صامت يستمع إليه بانتباه ؛ ولم يحاول مقاطعته . ولكنه ختم اللقاء بقوله : « لا بد من إنشاء هذا المنصب ؛ لأن الجيش يحتاج إلى قيادة مشتركة لتحويل جميع الوحدات الآلية والفرسان . وإذا أدت المقاومات التي

ذكرتها إلى شل مهام المنصب الجديد ؛ فما عليك إلا أن تعلمني مباشرة ؛ وعندها سندخل التجديدات المطلوبة . إنني أصدر إليك أمراً عسكرياً بقبول هذا المنصب ». **ولم يبق على غودريان إلا تنفيذ الأمر . وصدر مرسوم بترفيعه إلى رتبة جنرال قائد فيلق في الوحدات المدرعة ، وعين مفتشاً (للوحدات السريعة)** ، وانتقل إلى مبنى وزارة الدفاع .

ولقد اصطدم غودريان بما كان يتوقعه من العقبات والصعوبات ؛ وفشلت مشاريعه لتطوير سلاح الفرسان . غير أن تسارع الأحداث لم يلبث أن فرض وجوده بقوة لمصلحة التطوير . ففي شهر آذار - مارس - ١٩٣٩ ؛ انضمت (بوهيميا - مورافيا)[١] إلى الرايخ . ووضعت نفسها تحت حمايته . فنشأت عن ذلك حالة توتر خطيرة في مجال السياسة الخارجية . وكان هتلر قد اتخذ وحده ، وبمبادأته هذا القرار .

وفي صبيحة اليوم التالي للتدخل ؛ تم استدعاء غودريان إلى مكتب القائد العام للجيش ؛ حيث تم إعلامه بمسيرة الأحداث الجارية ، وعهد إليه بمهمة التوجه إلى (براغ) لجمع الدروس المستخلصة من قبل الوحدات المدرعة والآلية التي نفذت على التو

---

(١) بوهيميا (BOHÊME) إقليم من أهم أقاليم تشيكوسلوفاكيا . وهو عبارة عن مسطح غرانيتي تحيط به الجبال المرتفعة (جبال العمالقة والجبال المعدنية وغابات بوهيميا) ويخترقه نهر اللاب (LABE) أو (ELBE) وروافده مثل نهر فيتافا VITAVA (أو MOLDAU) ونهر أوهر OHRE (أو EGER) وبراغ هي عاصمة إقليم بوهيميا . أما إقليم مورافيا (MORAVIE) فهو يلي إقليم بوهيميا ويخترقه نهر مورافا (MORAVA) وعاصمته برنو BRNO (أو BRUNN) .

وفي فصل الشتاء ، ولفحص العتاد المدرع التشيكي أيضاً .

وانطلق غودريان لتنفيذ مهمته ؛ وزار مختلف الوحدات ؛ وتفحص العتاد المدرع التشيكي ؛ الذي أفادت منه ألمانيا في معاركها التالية على جبهة الغرب ؛ وذلك قبل أن يحل محله العتاد الثقيل المصنوع في ألمانيا وذلك خلال الحرب على الجبهة الروسية ، وتبع ذلك إنضمام ـ أو ضم ـ (منطقة ميمل)[1] إلى الرايخ .

ووصلت ألمانيا إلى أوج قوتها بضم كل المناطق الألمانية دون حرب أو قتال . ولهذا لم يكن غريباً أن يحتفل هتلر في يوم ٢٠ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٣٩ بعيد ميلاده الخمسين بإقامة عرض عسكري كبير ؛ حيث جمعت كافة أعلام وحدات الجيش في كتيبة واحدة أطلق عليها اسم (كتيبة الأعلام ـ أو الرايات) .

ولم يكن لغودريان من مهمة في صيف سنة ١٩٣٩ إلا التحضير للمناورات الكبرى للوحدات الآلية ـ الميكانيكية ـ على مستوى الجيش . وقد تقرر إجراؤها في الخريف في سلسلة جبال (أرز جيبرغ) باتجاه منطقة السوديت . ولم يكن غودريان يعرف أن جهوده لتحضير هذه المناورات ستذهب أدراج الرياح . فقد توجه إلى معسكر (غروسبورن ـ في بوميرانيا) يوم ٢٢ آب ـ أغسطس ١٩٣٩ لإقامة إنشاءات ميدانية على امتداد الحدود

---

(١) ميمل : (MEMEL) وبالليتوانية : (KLAIPEDA) مدينة في إقليم ليتوانيا (LITUANIE) في الإتحاد السوفييتي حالياً ، ولها خليج كبير على بحر البلطيق . كانت تابعة لألمانيا حتى سنة ١٩١٩ ثم حكمتها فرنسا حتى سنة ١٩٢٣ وأعادتها بعدئذ إلى ليتوانيا ؛ ثم ضمتها ألمانيا إليها سنة ١٩٣٩ . ثم أعيدت إلى ليتوانيا بعد هزيمة ألمانيا .

الألمانية ـ البولونية ؛ لمجابهة أي هجوم قد تقوم به القوات البولونية على ألمانيا . واشترك في العمل مع هيئة أركان الفيلق التاسع عشر الذي كان قد شكل حديثاً ، والذي أطلق على هيئة أركانه اسم (هيئة أركان تحصينات بوميرانيا) . وفي اليوم ذاته ألقى هتلر خطاباً (في أوبرا سالتزبرغ) . وتعاظم خطر الحرب مع (بولونيا)[1] . وتلقى غودريان أمراً للتقدم بين مدينة زمبولنو نحو اليمين وكونتز نحو اليسار واجتياز براغ والوصول بسرعة إلى نهر الفستول لقطع انسحاب الوحدات البولونية الموجودة في (الممر البولوني) وتدميرها ، على أن تحدد له المهمة التالية في أمر لاحق .

كان الفيلق التاسع عشر الذي أسندت قيادته إلى غودريان يضم فرقة البانزر الثالثة ؛ وفرقتي المشاة الآليتين ٢ و٢٠ ، ودعمت

---

(١) معركة بولونيا (أيلول ـ تشرين الأول) أو (سبتمبر ـ أكتوبر ـ ١٩٣٩) وبدأت المعركة بقصف استراتيجي قامت به القوات الجوية الألمانية في فجر اليوم الأول من أيلول ـ سبتمبر ـ . وكانت القوات البولونية تضم ٨٠٠ ألف جندي بقيادة الماريشال إدوار سميغلي ريدز EDWARD - SMIGLY - RYDZ . بينما كانت قوات الغزو الألماني بقيادة الجنرال براوختش BRAUCHITSCH تضم مليون وربع المليون مقاتل ، نظموا في مجموعتي جيوش ؛ مجموعة جيوش الشمال بقيادة فون بوك ومجموعة جيوش الجنوب بقيادة فون رونشتد . ودعم الهجوم بمجموعة من ١٦٠٠ طائرة . وقد نجح الهجوم في تحقيق أهدافه بأسلوب حرب الصاعقة . وفي يوم ١٧ أيلول ـ سبتمبر ـ بدأت القوات الروسية باجتياح شرقي بولونيا . ولم تلبث وارسو أن سقطت في قبضة الألمان يوم ٢٧ أيلول ـ سبتمبر . وانتهت المقاومة البولونية يوم ٥ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ بعد أن خسر البولونيون ٦٦ ألف قتيل و ٢٠٠ ألف جريح و ٧٠٠ ألف أسير . ومقابل ذلك خسر الألمان (١٠٥٠٠) قتيلاً و ٣٠٣٠٠ جريحاً و ٣٥٠٠ مفقوداً . وكانت الحرب البولونية هي الشرارة التي أشعلت نار الحرب العالمية الثانية .

فرقة البانزر الثالثة بمجموعة التدريب المدرعة ؛ وزودت بدبابات رقم ٢ ورقم ٣ ـ وكان عليه أن يتقدم وإلى يمينه فيلق (ستروس) وإلى يساره وحدات (كوبستس) باتجاه دانتزايغ . وحدد صباح يوم ٢٦ آب ـ أغسطس ـ موعداً لبدء الهجوم .

وكان هتلر قد أمن العمل على الجبهة البولونية (بموجب معاهدة مولوتوف ـ روبينتروب)[١] وكان يأمل أن يتمكن من تحييد الغرب (بريطانيا وفرنسا) عن طريق الاتصالات الدبلوماسية حتى يتم اجتياح بولونيا دون مقاومة ؛ ولهذا تم تأجيل موعد الهجوم المرة بعد المرة .

وأخيراً ؛ حدد الموعد النهائي للهجوم . وانطلق غودريان بفيلقه في الساعة ٥,٤٥ من فجر اليوم الأول من أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٣٩ . فاجتاز الحدود وسط ضباب كثيف . ولم تحدث اشتباكات عنيفة في بداية الأمر ؛ غير أن رمايات عشوائية من المدفعية الألمانية ؛ قذفت بسيارة غودريان إلى حفرة ، فانتقل إلى عربة مصفحة وجهزها بأجهزة الإتصال اللاسلكي لتكون عربة

---

(١) معاهدة مولوتوف ـ روبينتروب ؛ هي المعاهدة الروسية ـ الألمانية التي تم توقيعها يوم ٢٣ آب ـ أغسطس ـ ١٩٣٩ من قبل وزيري خارجية البلدين . وكان هدف ستالين هو كسب الوقت لإنهاء استعداد بلاده للحرب ؛ في حين كان هدف هتلر هو حرمان الغرب من التعاون مع روسيا ضده إذا ما اجتاحت قواته بولونيا . وقد تضمنت معاهدة مولوتوف ـ روبينتروب بنوداً سرية لتعديل الحدود الغربية ، ورسم حدود جديدة بين بولونيا وأوكرانيا السوفييتية . وتجدر الإشارة إلى أنه في يوم توقيع المعاهدة ذاته ؛ كان هناك وفد فرنسي ـ بريطاني في موسكو لعقد معاهدة (أمن جماعي) إلا أن الألمان كانوا هم الأقوى والأكثر فائدة للإتحاد السوفييتي . فتم عقد المعاهدة معهم .

قيادة . فكان أول فيلق يستخدم عربة قتال مصفحة لمرافقة قوات الدبابات وقيادتها .

وجرى الاشتباك الجدي الأول في (غروس ـ كلونيا) شمال (زمبلبورغ) حيث انكشف الضباب فجأة بينما كانت الدبابات تتقدم في الترتيب المنتشر ، اعترضتهم جبهة دفاعية بولونية ؛ أصابت مدافعها المضادة للدبابات أهدافها ؛ وقتل ضابط وصف ضابط وثمانية جنود .

كانت (غروس ـ كلونيا) من أملاك البارون هليرفون كايرترنجن ؛ وهو من أجداد غودريان . وفيها دفن جده الذي كان يحمل اسم (غودريان) . وفيها ولد أيضاً والد غودريان القائد . وها هو الآن يصل إليها للمرة الاولى في حياته ، فيجد نفسه في المكان الذي يحبه أفراد اسرته جميعاً .

بعد أن بدّل (غودريان) عربته ، توجه إلى فرقة البانزر الثالثة والتي كانت تعمل على محور الجهد الرئيسي للفيلق ؛ وقد وصلت مقدمتها إلى مدينة (براه) في حين كانت القوة الرئيسة للفرقة قد انتشرت بين (برورز ـ وكلين كلونيا) وأعطاها قائد الفرقة استراحة ؛ وذهب لحضور اجتماع مع قائد مجموعة الجيوش ـ فون بوك ـ . وقام غودريان بدراسة الموقف مع الضباط الموجودين ؛ فأظهروا له رغبتهم في تنفيذ أمر التوقف ؛ وعدم عبور نهر (براه) في هذا اليوم ، وذلك خلافاً للأوامر الأساسية الصادرة عن قيادة الفيلق بعبور النهر في اليوم الأول للهجوم ، مما أغضب غودريان الذي انسحب إلى بقعة منعزلة وهو يفكر فيما يجب عليه عمله . ولم يطل انتظاره ؛ فقد تقدم إليه ضابط شاب ـ اسمه الملازم فيليكس ـ

وقد غطى الدخان الأسود وجهه وذراعيه ؛ وقال له : « سيدي الجنرال ! . لقد وصلت على التوّ من براه . يحتل العدو ضفة النهر بقوة ضعيفة ؛ ولقد أحرق البولونيون الجسر بالقرب من ـ همر موهل ـ ولكنني اطفأته بنفسي من دبابتي ، ومن الممكن اجتياز الجسر ، ولقد فشل التقدم لسبب بسيط وهو عدم وجود من يتولى قيادته ؛ يجب أن تذهب بنفسك سيدي الجنرال » .

وسرعان ما تحرك غودريان بين العربات الألمانية والبولونية المعطلة ؛ عبر طريق رملي ضيق وصل به إلى ـ همر موهل ـ فشاهد هناك عدداً من ضباط هيئة الأركان وقد احتموا بظل سنديانة ضخمة ، على بعد مائة متر فقط من النهر ، وصاحوا به عندما رأوه : « الرمي شديد هنا أيها الجنرال » .

وكان الرمي غزيراً في الواقع ، ذلك لأن مدافع دبابات الفوج السادس وبنادق فوج الرماة الثالث ؛ كانت تطلق قنابلها ورصاصها بأقصى استطاعتها ضد العدو الذي اختفى في خنادقه وراء الضفة المقابلة . وبذل غودريان جهده إلى أن تمكن من إيقاف النيران ؛ ثم أصدر أمره بتحديد قوة الجبهة البولونية وامتدادها ؛ ودفع بكتيبة راكبي الدراجات النارية الثالثة ؛ والتي لم تكن قد زجت بعد في القتال ؛ لعبور النهر بالزوارق المطاطية بعيداً عن المنطقة المضروبة بالنيران المعادية . وبعد أن عبرت هذه الكتيبة النهر ، أصدر غودريان أمره إلى الدبابات بالهجوم على الجسر ، فتم بسرعة أسر سرية راكبي الدراجات البولونية التي كانت تدافع عنه ؛ واجتازت جميع الوحدات الموجودة الجسر إلى الضفة المقابلة ؛ فشكلت رأس جسر .

وتلقت مجموعة الاستطلاع المدرعة الثالثة أمراً بالتوغل دون توقف عبر منطقة (توشولسكا) حتى (سويزي) القائمة على نهر الفستول ؛ والقيام بتحديد مكان تمركز القوات الرئيسة للبولونيين ، والقوات الاحتياطية المتوافرة لديهم والتي يحتمل لها أن تتدخل . وتمت عملية اجتياز النهر في الساعة ١٨,٠٠ . ووصلت فرقة البانزر الثالثة إلى (سويكانو) ليلاً . وعاد (غودريان) إلى مقر قيادته في (زهن) وقد حل الظلام ؛ وحققت وحداته المتقدمة هدف الهجوم لليوم الأول .

كانت الطريق الطويلة خالية كلها ؛ ولم يسمع غودريان أي طلقة نار بالقرب من مقر قيادته ؛ ولهذا فقد انتابته الدهشة عندما استوقفته دورية قبل وصوله إلى (زهن) ووجد بعض عناصر هيئة أركانه ؛ وهم يضعون خوذ الميدان ويربصون سلاحاً مضاداً للدبابات ؛ وسألهم عما دفعهم لما يعملون ؛ فأجابوه بأن الفرسان البولونيين يتقدمون ؛ ويمكن لهم أن يصلوا بين فترة وأخرى ؛ فهدأ من مخاوفهم ، ومضى إلى عمله في مقر هيئة أركانه .

عرف (غودريان) من مطالعته للتقارير اليومية التي وصلت إلى مقر قيادته ؛ بأن وحدات فرقة المشاة الآلية الثانية قد توقفت أمام شبكة الأسلاك الشائكة لخط الدفاع البولوني . وأن قيادة الفرقة قد زجت أفواج المشاة الثلاثة جبهياً ولم تحتفظ بأي قوة احتياطية ، مما حملها على العمل ليلاً لسحب الفوج الأيسر ووضعه وراء الجناح الأيمن ليعمل في اليوم التالي وراء فرقة البانزر الثالثة من أجل القيام بعملية تطويق باتجاه توشولسكا .

قامت وحدات فرقة المشاة الآلية العشرين في الوقت ذاته

باحتلال مدينة (كونيتز) ولقيت بعض الصعوبة ؛ ولم تتمكن من اجتياز المدينة ؛ فتلقت أمراً بمتابعة هجومها .

ظهرت خلال الليل الحالة العصبية التي سببتها صدمة قتال اليوم الأول من الحرب . ففي منتصف الليل تقريباً ؛ أرسلت فرقة المشاة الآلية الثانية إعلاماً بأنها ستضطر إلى الإنسحاب أمام ضغط الفرسان البولونيين . وأذهلت المباغتة (غودريان) للوهلة الأولى ؛ غير أنه لم يلبث أن سيطر على نفسه وقال لقائد الفرقة : « **هل سمعت في الماضي أن الرماة البوميرانيين قد انسحبوا من أمام فرسان العدو** ؟ » . ويظهر أن هذه الكلمات قد أيقظت بدورها قائد الفرقة من ذهوله فأجاب : « كلا ! وسأتمسك بمواقعي بالتأكيد » .

واتخذ غودريان قراره بالذهاب إلى هذه الفرقة في وقت مبكر من الصباح . وعندما وصل إلى هناك في الساعة الخامسة تقريباً وجد أن الاضطراب لا زال مهيمناً على هيئة أركان الفرقة ، فتولى بنفسه قيادة الفوج الذي كان قد تم سحبه ليلاً ؛ وقاده حتى ممر (كافيونكا) إلى الشمال من (غروس ـ كلونيا) وزجه للعمل على اتجاه (توشولسكا) . واستطاعت بذلك فرقة المشاة الآلية الثانية أن تتابع هجومها ؛ وأن تتجاوز صدمة الخوف الناجمة عن الاشتباك في أول معركة .

كانت مجموعة الاستطلاع لفرقة البانزر الثالثة قد وصلت ليلاً إلى نهر الفستول ؛ وتعرضت لخسائر فادحة بالضباط ـ قرب مزرعة (بولدنو) في ضواحي (سوسي) بسبب إهمال تدابير الحيطة والأمن . كما انقسمت قوات فرقة البانزر الثالثة إلى شطرين بسبب نهر (براه) ، وهاجمها البولونيون في الصباح على الضفة الشرقية من

النهر وهي على هذا الموقف من الاضطراب . ولهذا لم يتم الهجوم المضاد إلا ظهراً ؛ وعادت الفرقة إلى المسير لتخوض معارك الغابات . وقامت فرقة المشاة الثالثة والعشرون بالتحرك سريعاً وراء فرقة البانزر الثانية . وحققت فرقتا المشاة الآليتان نجاحاً كاملاً في منطقة (توشولسكا) .

زجت فرقة المشاة ٢٣ يوم ٣ أيلول - سبتمبر - بين فرقة البانزر الثالثة التي كانت قد وصلت إلى نهر الفستول ، وبين فرقة المشاة الآلية العشرين . وجرت معارك صعبة تخللتها مآزق حرجة ، غير أن زج الفرقة في المعركة أتاح الفرصة لتطويق القوات البولونية في المناطق المشجرة شمال (سوزي) وغرب (كرودزيادز) . وقد أظهر الفرسان البولونيون جهلهم بخصائص السلاح المدرع وميزاته ، فهاجموه بالسلاح الأبيض ، وتعرضوا بذلك لخسائر فادحة . كما استطاعت قوات غودريان المدرعة اللحاق بفوج مدفعية بولوني كان يسير نحو نهر الفستول ودمرته ، ولم تتمكن من فتح النار على قوات غودريان سوى قطعتان من المدفعية . وتعرض المشاة من البولونيين لخسائر جسيمة . وأمكن الاستيلاء على قسم من قوافل التموين البولونية والمعدات الهندسية التي تم تدميرها وهي تحاول الانسحاب .

أمكن تضييق دائرة الحصار على القوات البولونية المطوقة في يوم ٤ أيلول - سبتمبر - ووصلت معركة (الممر البولوني) إلى نهايتها . وقام غودريان بزيارة فرقة المشاة ٢٣ وفرقة البانزر الثالثة حيث التقى بابنه (كورت) هناك . وكم كان سروره عظيماً إذ لاحت له في الأفق أبراج بلدته (كولم - في شلمنو) والتي كانت تقع

على الضفة المقابلة لنهر الفستول .

ثم قام في يوم ٥ أيلول ـ سبتمبر ـ بزيارة لفرقة المشاة الآلية الثانية ، ثم فرقة المشاة الآلية العشرين ، ثم فرقة البانزر الثالثة التي وصلت في المساء إلى نهر الفستول ؛ وأكملت تطويق القوات البولونية من الشرق .

وهكذا أنهت قوات غودريان اختراق الممر البولوني من جهة إلى جهة أخرى ، وأصبحت وهي على استعداد لتنفيذ واجبات جديدة . **ولكن ؛ وبينما كانت هذه القوات ؛ ومعها بقية القوات الألمانية ؛ تقوم بعملها الشاق ؛ اتخذ الموقف السياسي مساراً جديداً . فقد أعلنت إنكلترا الحرب على الرايخ الألماني ؛ وتبعتها فرنسا** . فزال الأمل بسلم قريب ؛ وبدأت الحرب العالمية الثانية ؛ وكان من الواضح أنها ستدوم طويلاً ، وأدرك غودريان أنه يجب بذل كل الجهود لكسبها .

بوغت غودريان وهيئة أركان فيلقه بزيارة هتلر لهم يوم ٥ أيلول ـ سبتمبر ـ. فاستقبله غودريان ؛ وركب معه في عربته ؛ وسارا معاً على طريق الانسحاب نحو سوسي ، ومرا بحطام المدفعية البولونية المدمرة ؛ ووصلا إلى أول خطوط التطويق عند (كرودزيازد) ، وتوقفا قليلاً على مقربة من الجسر المدمر على نهر الفستول . وقال هتلر عندما شاهد حطام المدفعية البولونية المدمرة : « **هذا عمل طائراتنا الشتوكا ـ بالتأكيد** » . وأجابه غودريان : « **كلا ! هذا عمل دباباتنا** » . فأظهر هتلر تعجبه .

وجرى الحديث أثناء المسير عن تطور الأعمال القتالية في قطاع

ـ غـودريـان ـ وسأل هتلر عن الخسـائـر ؛ فـأجـابـه غـودريـان : « ١٥٠ قتيـلاً و ٧٠٠ جـريحـاً في الفـرق الأربعـة التي اشتـركت في معركة الممر البولوني ». ودهش هتلر لهذه النتيجة ؛ وقارن بـين هذه الخسائر وبين خسائـر فوج ليست خـلال اليوم الأول من معـركته في الحرب العالمية الأولى ، حيث بلغت الخسائر يومها ألفي جندي بـين قتيل وجريح في فوج واحد .

وأفاد غودريان من هذه المقـارنة ، فـأكد أن قلة الخسـائر إنمـا يعود إلى فاعلية الدبابات وتأثيرها القوي وإلى طابع المعركة ضد عدو شجـاع وعنيـد . فقـد وفـر عمـل الـدبـابـات كثيـراً من الـدمـاء والتضحيات ؛ واكتسب سدنـة الدبـابات مـزيداً من الثقـة بعتادهم المدرع بعدمـا حققوه من نصر في معـركة الممـر البولـوني . وخسرت القوات البولونية ٣ فرق مشاة ولواء فرسـان وغنمت قوات غـودريان مئات المدافع ؛ وحصلت على آلاف الأسرى .

بينما كان هتلر وغودريان يقتربان من نهر الفستـول ؛ ظهرت على الأفق معالم مدينة . وسأل هتلر : « أليست هذه هي مدينة كولم ـ شلمنو ـ ؟ » . وأجاب غـودريان : « أجـل ! ها هي كـولم ؛ ولقد استقبلتُـك في شهـر آذار ـ مـارس ـ المـاضي عـلى أرض مسقط رأسك ، واليوم أستقبلك على أرض وطني » . وظل هتلر يذكر هذه الحادثة ، حتى بعد سنوات .

إتجه الحديث بعدئذ نحو المسائل الفنية ؛ وأظهر هتلر رغبته في معرفة المجـالات التي أدت فيها الـدبابـات دورها بنجـاح ؛ وما هي نقاط الضعف التي تحتاج للمعالجة والتطوير . فقال غودريان بأنه من

الضروري الإسراع في زيادة انتاج الدبابات من نموذجي ٣ و٤ وتزويد الوحدات المقاتلة في الجبهة بها .

أما فيما يتعلق بالصناعة المقبلة ، فقد رأى غودريان بأن السرعة الحالية هي سرعة كافية ؛ غير أنه من الضروري زيادة التصفيح لا سيما التصفيح الجبهي ؛ وزيادة مدى الأسلحة وقوة اختراقها ، أي زيادة طول سبطانات المدافع وأغلفة القنابل وحجم الحشوات المتفجرة ؛ ولا بد من القيام بالعمل ذاته في المدافع المضادة للدبابات .

ما إن توقف القتال في مدينة (سوسي) حتى تشجعت الجماهير وخرجت من ملاجئها لتحية هتلر ، وفرشت أمامه الزهور ؛ وقامت بتزيين المدينة بالأعلام السوداء والبيضاء والحمراء . وأحدثت هذه الزيارة تأثيراً حسناً في الوحدات . ولقد انقطع هتلر خلال الحرب عن القيام بمثل هذه الزيارة إلى الجبهة - إلا نادراً - حتى أنه تخلى عنها مع الأسف في السنين الأخيرة ، مما جعله يفقد الاتصال بالجنود ، فحرم نفسه بذلك من معرفة بطولاتهم أو تحسس معاناتهم وآلامهم .

اجتازت العناصر المتقدمة للفرق نهر الفستول يوم ٦ أيلول - سبتمبر - وتبعتها هيئة أركان الفيلق حيث أقام غودريان مقر قيادة الفيلق في قصر الأمراء (دوهنا - فنكنستين) الجميل . وهو القصر الذي أهداه فريدريك الكبير للأمير فون - فنكنستين - الذي كان وزيراً له . وقد أقام نابليون بونابرت فيه مرتين . كانت المرة الأولى سنة ١٨٠٧ عندما شن الحرب ضد البروسيين والروس في بروسيا الشرقية والأراضي الواقعة وراء نهر الفستول ؛ وذلك بعد أن اجتاز

منطقة توشولسكا الفقيرة ، حيث شاهد بناء القصر الفخم فصاح قائلاً : « وأخيراً وجدت قصراً » . واتخذ من هذا القصر مقراً لقيادته مرة ثانية قبل معركة روسيا سنة ١٨١٢ ؛ وعاش فيه بضعة أسابيع مع الأميرة الجميلة ـ فالفنكا ـ . ولقد اختار غودريان الغرفة التي خصصت لنابليون من قبل . ولما كان الأمير دوهنا مريضاً في أحد مشافي برلين ؛ فإنه لم تتح لغودريان فرصة الالتقاء به وبالأميرة .

أنهت الفرق في فيلق غودريان اجتياز نهر الفستول في (ثييف) و (كيسيمارك) يوم ٨ أيلول ـ سبتمبر ـ . ثم تتابعت الأحداث سراعاً . فتم استدعاء غودريان إلى القيادة العامة في (اللنستبن) لتلقي أوامره الجديدة ، فغادر (فنكنستين) في الساعة ١٩,٣٠ من يوم ٨ أيلول ـ سبتمبر ـ . وقد وضع في اعتباره استثمار سرعة فرقه الآلية ، وذلك لمنع انسحاب القوات البولونية من فرصوفيا إلى الشرق ، وإقامة خط دفاعي جديد إلى الشرق من مدينة (بوغ) . ولهذا تقدم غودريان باقتراح لزج الفرقة المدرعة التي كانت تحت قيادته للعمل إلى الشرق من (بوغ) باتجاه (برست ـ ليتوفسك) مروراً بمدينة (بوزنا) . ووافقت القيادة على اقتراح غودريان . وتلقى التعليمات الضرورية لتنفيذها ، وعاد إلى (معسكر آريس) حيث استدعى ضباط ارتباط الفرق وأبلغهم واجباتهم الجديدة .

قام غودريان بإبلاغ أوامره إلى فرقة البانزر الثالثة وفرقة المشاة الآلية العشرين فيما بين الساعة ٢,٠٠ والساعة ٤,٣٠ من فجر يوم ٩ أيلول ـ سبتمبر ـ . ثم توجه إلى جاره الأيمن ـ قائد الفيلق ٢١ الجنرال فون مالكنهوسن ـ لتنظيم التعاون معه . فوصل إلى مقر

قيادته في (كورزنتست) في الساعة ٥,٣٠ حيث كان مقر القيادة هذا يبعد مسافة ١٩ كم إلى الشمال من (لومزا) ، فأيقظ الضباط من نومهم ؛ واستعلم منهم عن الموقف ؛ فعرف بفشل الهجوم على (لومزا) بسبب المقاومة البطولية للبولونيين ؛ وبسبب ضعف الخبرة القتالية للجنود الألمان . فتوقف الفيلق ٢١ على الضفة الشمالية لنهر (نارو) .

وصل غودريان إلى (وزنا) في الساعة ٨,٠٠ تقريباً؛ واجتمع بهيئة أركان الفرقة العاشرة ، فوجد أن مشاة الفرقة قد عبرت النهر ؛ وأنها في سبيلها لاحتلال التحصينات البولونية المسيطرة على القطاع ؛ وأن القتال لا زال محتدماً . وبعد الاطمئنان عن الموقف ؛ ذهب غودريان إلى لواء (لوتزن) الذي كان عليه احتلال هذا الحصن في بداية الأمر ؛ غير أنه كان عندئذ في أرض مكشوفة يهاجم تحصينات (نارو) . وسر جداً من اللواء الذي نجح في اجتياز النهر وتابع الهجوم بقوة ؛ ووافق على الإجراءات التي اتخذتها قيادة اللواء ؛ ثم عاد إلى فرقة البانزر العاشرة ، وسرعان ما خاب أمله عندما وصل إلى (وزنا) عندما طالع التقرير الصباحي وعرف منه أن معلوماته عن نجاح الفرقة كانت معلومات خاطئة . إذ أن المشاة لم تلبث بعد اجتيازها للنهر أن اصطدمت بالتحصينات البولونية التي كانت تدعم الموضع الدفاعي على الشاطىء وتزيده قوة ، وكان الهدوء يهيمن على المنطقة .

وأسرع غودريان فاجتاز النهر بحثاً عن مقر قيادة اللواء ؛ أو حتى قيادات الكتائب ، غير أنه كان من المتعذر عليه العثور عليها بعد أن ابتعدت عن الأنظار ، وأتقنت أعمال الإخفاء والتمويه ؛

حتى أن الدبابات المنتشرة على الضفة الشمالية للنهر لم تظهر له بسبب إتقان الإخفاء والتمويه ؛ وأرسل غودريان الضابط المرافق له للبحث عن القادة واستدعائهم . وعلم أن العمل كان يجري وقتها لتبديل السرايا التي زجت في القتال ؛ والاستعاضة عنها بسرايا لم تشترك بعد في القتال . غير أن ما أغضب غودريان هو جهل الجنود لأوامر الهجوم ، حتى أن مراقب رمي مجموعة المدفعية الثقيلة الذي كان مع المشاة ؛ لم يكن يعرف مهمته ، ولم يكن هناك من يعرف مكان تمركز العدو ؛ ولم تنفذ أية محاولة لاستطلاع الجبهة . وعمل غودريان على علاج الموقف (بعد أن انتهى التبديل العجيب للسرايا) ، فاستدعى قائد اللواء وقادة الكتائب وحدد لهم واجباتهم . وأعطى لمراقب المدفعية مهمته بالرمي على التحصينات البولونية . ثم توجه للاستطلاع نحو الخطوط المتقدمة للبولونيين ؛ وسار طويلاً قبل أن يوجه إليه البولونيون نيرانهم . وهكذا وصل إلى التحصينات ؛ ووجد أن مدفعاً ألمانياً مضاداً للدبابات قد تم وضعه في مربض مناسب بناء على مبادأة سدنته . وبدأ الهجوم من هذا الموقع .

عاد غودريان إلى (نارو) فوجد أن لواء الدبابات لا زال متوقفاً عند الضفة الشمالية ؛ فأصدر أمره إلى قائد اللواء بالمسير بسرعة واجتياز النهر . ولم يكن بناء الجسر قد انتهى ، فمرت الدبابات على العوامات ؛ وكانت الساعة ١٨,٠٠ عندما بدأ الهجوم . ونجحت الخطة بسرعة ؛ وكانت الخسائر طفيفة ؛ بسبب تنفيذ الهجوم بعزم وتصميم . وأصدر غودريان أمره ـ الشفهي ثم الخطي ـ إلى الضابط المكلف ببناء الجسر لإنجاز عمله بسرعة حتى

تجتازه فرقة البانزر العاشرة وفرقة البانزر الثالثة التي تتبعها ـ وعاد بعدها إلى مقر قيادته في (وزنا) حيث عمل فور وصوله على كتابة الأوامر لعمليات اليوم التالي . وقضى ليله في بناء (دير وزنا) وهو البناء الذي لم ينته تشييده بعد ؛ ولم يكن يصلح للسكن ؛ غير أن بقية الأبنية كانت أسوأ حالاً .

علم غودريان في الساعة ٥,٠٠ من صباح يوم ١٠ أيلول ـ سبتمبر ـ أن جسر (نارو) الذي انتهى بناؤه عند منتصف الليل قد فكّ من جديد تنفيذاً لأمر قائد فرقة المشاة الآلية العشرين ، وأعيد بناؤه في مكان آخر لصالح هذه الفرقة ، وهكذا لم يبق للفرقة المدرعة سوى العوامات لاجتياز النهر . وكاد صبر غودريان ينفذ ، ذلك أن قائد الفرقة لم يعلم بالأمر الذي أصدره غودريان إلى ضابط الهندسة للإسراع ببناء الجسر ؛ وقام قائد الفرقة بعمله بحسن نية . ولكن غودريان وجد بعض العزاء عندما علم أن العمل لا زال مستمراً لبناء جسر آخر للوحدات المدرعة ، ولو أن بناء هذا الجسر لن يكتمل حتى المساء .

قاتلت فرقة المشاة الآلية العشرون طوال اليوم في منطقة (زامبرو) ، واتجهت مجموعة قوية من هذه الفرقة نحو (بوغ) وتقدمت مجموعة الاستطلاع فاحتلت نقطة مرور (بوغ) أمام المجموعة السابقة كما تقدمت فرقة البانزر العاشرة حتى مدينة (برانسك) وأجرت خلال تقدمها عدة اشتباكات . وكان (غودريان) قد تبع هذه الفرقة في المساء ؛ وقضى الليل في مدينة (ويسوكي ـ ماسو ويسكة) المحترقة. أما هيئة أركانه التي اجتازت نهر (نارو) عند المساء لتلحق به ؛ فإنها لم تستطع الوصول إلى مكان

تمـركزه ؛ واضطـرت للتوقـف عنـد حلول الظلام في قـرية محتـرقـة وجدَتها عـلى طريقهـا (إلى الشمال من ويسـوكي ماسـو ويسكه) . وبقي غودريان بعيـداً عن مكان هيئـة أركانـه مما جعـل من الصعب نقل الأوامر . وندم غودريان على أنه أصدر أمره المسبق بانتقـال مقر القيادة ، وكان من الأفضل لو قضى الليل في (وزنا) مع هيئة أركانه في مقره السابق . واضـطر غودريـان للانتـظار بفارغ الصبـر وصول هيئة أركانه في صباح يوم ١١ أيلول ـ سبتمبر ـ .

كـانت هناك قـوات بولـونيـة متمـركـزة في المنـطقـة ؛ أرادت الانسحاب على الطريق الذي كانت تتحرك عليه فرقـة المشاة الآليـة العشرون؛ نحـو (لـومـزا) بـاتجـاه الجنـوب الشـرقي في جنـوب (زامبرو) ، الأمر الذي وضع فرقة المشاة الآلية العشرين أمام مأزق حرج : فقرر قائد الفرقة سحب العناصر التي تقدمت باتجاه (بوغ) وتطويق العدو الجديد وتدميره . كما وجهت ضده أيضاً عناصر فـرقة البانزر العاشرة .

وفي هـذه الأثناء وصـل إلى فرقـة البانـزر الثالثـة إعـلام بـأن (غــودريـــان) مهــدد بــالتــطويق من قبــل البــولــونيــين في (ويسوكي ـ ماسـو ويسكة) ، فـانحرفت كتيبـة الرمـاة الراكبـة على الدراجات النارية نحو (ويسوكي) لتحطيم الحصار ، وكـان سرور الجنود كبيراً عندما شاهدوا غودريان وهو يسير عـلى طريق القـرية ، وشعر غودريان ببهجة وسعادة يصعب وصفها للمشاعر الأخوية التي عبر عنها الجنود راكبو الدراجـات الناريـة . وأمضى غودريـان وهيئة أركانه ليلة في (ويسوكي ـ ماسو ويسكة) .

إستطاعت فرقة المشاة المحمولة العشرون وبعض العناصر من

فـرقة البـانزر العـاشـرة ؛ تـطويق البـولـونيـين في (أنـدرز جيفـو) يـوم ١٢ أيلول ـ سبتمبر ـ . ووصلت فـرقة البـانـزر العـاشـرة إلى (ويسـوكي ـ ليتـوفـزكي) . ووصلت فـرقـة البـانــزر الثـالثـة إلى (بييلسك) .

دارت معركة ضارية في اليـوم التالي (١٣ أيلول ـ سبتمبـر) بـين مدينتي برانسـك وبييلسـك ، وأمكن تـدمـير تجمـع للقـوات البولونية . وفي هذا اليوم أيضاً استسلمت الفـرقة البـولونيـة الثامنـة عشـرة في (أندرز ـ جيفـو) ، كما وصلت فـرقة البـانزر الثـالثـة إلى (كـامينييك ـ ليتـوفزكي) وأرسلت عنـاصر من الاستـطلاع بـاتجـاه (بـريست ـ ليتوفسـك) . وأصـدر غـودريـان أمـره بـالهجـوم عـلى التحصينات .

وعلم غـودريان بـأن وحدات بـولونيـة قد وصلت إلى (غـابة بييلو ـ وييزا) الشهيرة ، فاكتفى بمراقبة منطقة الغابـة ، وأمر بتجنب القتال مع القوات البولونية المنتشرة في الغابة حتى لا تضطر القـوات الألمانية للانحراف عن مهمتها الأساسية .

قامت عناصر فرقة البانزر العاشرة التابعة لمجموعة الاستطلاع وعناصر من لواء الدبابات الثامن باختراق خـطوط بريست المحصنـة يوم ١٤ أيلول ـ سبتمبر ـ . فأصدر غـودريان أمـره بتوجيـه الفيلق بكامله نحو (بريست) بأقصى سرعة ممكنة لاستثمار نتائج المباغتة . وأمكن في اليـوم التالي (١٥ ايلول ـ سبتمبـر) إحكام الـطوق على بريست من الجانب الشرقي من مدينة (بوغ) . وقـد فشل الهجـوم المدرع على الحصن بسبب مقـاومة البـولونيـين الضاريـة وتحصيناتهم القوية .

وتلخصت عمليات اليومين التاليين (١٦و١٧ أيلول - سبتمبر) بالاستيلاء على حصن (بريست) الضخم ، وبوصول القوات الروسية من الشرق ، وجرت مفاوضات تقرر على أثرها انسحاب القوات الألمانية حتى خط الحدود المتفق عليه ؛ وإخلاء بريست التي دفعت القوات الألمانية ثمناً غالياً لاحتلالها .

أفاد (غودريان) من انتهاء الحرب ؛ ومن وجوده في بروسيا الشرقية ؛ لزيارة أهله وأقاربه.وانتقلت هيئة أركانه إلى برلين يوم ٩ تشرين الأول - اكتوبر - فتوجه إلى بروسيا الغربية لزيارة أهله ووداعهم ؛ وعرف منهم مدى ما عانوه من صعوبات فيما عرف باسم (يوم الأحد الدامي)[١] . ثم توجه لزيارة مدينة (شلمنو - كولم) ، وشاهد منزل أهله وأجداده ومسقط رأسه . ولم يكن يعرف أنها ستكون زيارة الوداع ؛ والزيارة الأخيرة .

كانت سعادة (غودريان) لا توصف عندما رجع إلى برلين ؛ فوجد أن ابنه البكر (هنز) قد حصل على وسامي الصليب الحديدي بمرتبتيه الثانية والأولى ؛ وكان قد خاض معارك ضارية

---

(١) الأحد الدامي هو يوم ٣ أيلول - سبتمبر - ١٩٣٩ وفيه هاجم أشخاص مدنيون الوحدات البولونية المنهزمة في مدينة برومبرغ (BROMBERG) أو باللغة البولونية بيدغوزس (BYDGOSZEZ) ، فقاومهم المدنيون البولونيون الذين هبوا لدعم هذه الوحدات . ويدل عدد الضحايا على ضراوة المعارك التي وصل إلى ٢٣٨ جندياً بولونياً و٢٢٣ جندياً ألمانياً . وعندما احتلت القوات الألمانية المدينة ، بدأت الوحدات الخاصة والغستابو أعمال قمع وحشية قتل فيها ١٠٥٠٠ بولوني وأسر ١٣ ألف مواطن بولوني ، وفقاً لما ذكرته لجنة التحقيق البولونية التي شكلت بعد الحرب ، بينما تذكر مصادر اخرى أن عدد الضحايا لا يتجاوز ثلاثة آلاف بولوني .

أمام مدينة فارصوفيا (وارسو) .

استدعي غودريان إلى مقر وزارة الرايخ يوم ٢٧ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ لمنحه وسام الصليب الحديدي من رتبة فارس (ريتر ـ كروز) ؛ ومعه ٢٤ قائداً ممن تم منحهم هذا الوسام .

وكان سرور (غودريان) عظيماً لحصوله على هذا الوسام في وقت مبكر . إلا أنه كان يتمنى لو أنه حصل عليه تقديراً للجهد الذي بذله في تنظيم السلاح المدرع الجديد وفي تطويره ، وهو السلاح الذي كان دوره حاسماً في حملة بولونيا السريعة ، والتي كان النصر فيها بكلفة محدودة نسبياً .

وكان مكان (غودريان) إلى يمين (هتلر) أثناء حفلة الغذاء التي تبعت توزيع الأوسمة ؛ وجرى بينهما حديث تدفق حيوية ؛ بشأن تطور الوحدات المدرعة والدروس المستخلصة من الحملة البولونية . وفي الختام وجّه هتلر سؤاله المباغت إلى غودريان : « أريد أن أعرف ما هو شعور الجمهور والشعب ؛ بعد عقد الاتفاق مع روسيا السوفييتية؟» . وأجاب غودريان دون تفكير : « **لقد تنفس الجيش الصعداء عندما علم في نهاية شهر آب ـ ـ أغسطس ـ بعقد هذا الاتفاق . إذ أصبحنا أحراراً في مؤخراتنا ؛ وسعداء لأننا تجنبنا الحرب على جبهتين ؛ وهذا ما كنا نخشاه ؛ لأن هذا الوضع ؛ والحرب على جبهتين ؛ هو الذي أدى بنا إلى الهزيمة في الحرب العالمية الأولى . تلك هي مشاعرنا** » ونظر هتلر مندهشاً إلى غودريان ؛ وأظهر عدم سروره بإجابته ؛ ولكنه لم يعلق بشيء .

كان غودريان يقضي إجازة قصيرة في منتصف شهر تشرين

الثـاني ـ نوفمبـر ـ ١٩٣٩ عندمـا تلقى أمراً بنقله وهيئـة أركـانـه إلى (دوسلدورف) ثم إلى (كـوبلـنـز) حيث عـينّ تحت قيـادة الجنـرال (فون رونشتد)[١] قائد مجموعة الجيوش (آ) .

نظمت في برلين مجموعـة من المحاضـرات بتاريـخ ٢٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ بهدف تثبيت العقيدة السياسيـة لدى القـادة . وكان هتلر وغوبلز وغورينغ من المحاضرين . وقد حضر هذه المحاضرات قـادة أسلحـة البـر والبحـر والجـو وأسـاتـذة الكليـات العسكـريـة وضباطها . وتعرض قائـد الجيش البري وقـادة وضباط هـذا الجيش لنقد قاس ؛ مما أثار الغضب في نفوس ضباط وقادة القوات البرية ، غير أن أحداً لم يحاول الاحتجاج . وحاول غودريـان إقناع عـدد من كبـار القادة لمقـابلة هتلر ؛ وإعلامـه بغضب الضباط لـلإهـانـة التي وجهت إليهم ؛ لا سيما بعدما حققوه من نتائج في الحرب البولونية .

---

(١) فـون رونـشتـد : (KARL RUDOLF GERD VON RUNDSTEDT ,) ماريشال ألماني ؛ خدم في هيئة الأركان العامة خـلال الحرب العـالمية الأولى ؛ وقـاد مجموعة الجيوش في غزو بولونيا في أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٣٩ ثم قاد مجموعـة الجيوش (آ) في معركة فرنسا في أيار ـ حزيـران (مايـو ـ يونيـو) ١٩٤٠ . ثم تولى قيـادة مجموعـة جيوش الجنوب في غزو روسيا في حـزيران ـ يـونيو ١٩٤١ . واستقـال من منصبه في تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤١ ، فتم تعيينه قائـداً لجبهة الغـرب سنة ١٩٤٢ بمهمـة تنظيم الدفاع عن جدار الأطلسي ، قبل إنزال النورمانـدي . وتم استبدالـه في تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٤ بالماريشال (فون كلوغه KLUGE) بسبب فشله في إيقاف إنـزال قوات الحلفاء . غير أنه تم استدعاؤه من جديد في أيلول ـ سبتمبر ـ من السنة ذاتهـا لقيادة هجوم القوات الألمانيـة في الأردين (في كانـون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٤) ولم تلبث القـوات الأمـريكيـة أن أسـرتـه بعـد أشهـر قليـلة ـ وعـاش الفتـرة (١٨٧٥ ـ ١٩٥٣) .

ولكن الجميع امتنعوا عن تنفيذ هذه المهمة ، وعهدوا بها إلى غودريان رغم أنه كان من أصغر قادة الفيالق رتبة . وقام غودريان بمقابلة هتلر ، وشرح له الموقف ، ولكن نتيجة المقابلة كانت عقيمة ؛ ومعدومة الفائدة .

٤ ـ اجتياح الغرب

انصرفت القيادة الألمانية بعد الحرب البولونية لتطبيق الدروس المستخلصة من هذه الحرب . فلقد برهنت تجربة الحملة على أن (الفرق الخفيفة) هي بمثابة نصف إجراء ؛ ولهذا صدر الأمر بتحويلها إلى فرقتين مدرعتين حملتا الأرقام ٦ و٩ . كما لوحظ أن فرق المشاة الآلية كانت ثقيلة جداً ؛ فخفض ملاكها ـ أو تنظيمها ـ بانقاص لواء مشاة .

وكان من الضروري بصورة خاصة ، تجهيز ألوية الدبابات ، بدبابات جديدة (نموذجي ٣ و٤) إلا ان قيادة الجيش البري كانت تفضل الاحتفاظ بالدبابات الجديدة ؛ وذلك بسبب المعدل الصناعي البطيء في انتاج هذه الدبابات .

وكان على (غودريان) تدريب بعض الفرق المدرعة ، ولواء المشاة (غروس ـ دوتشلاند) وهي القوات التي وضعت تحت قيادته . وكان لديه ما يكفي من الوقت للتفكير في تخطيط الملاكات ، ومتابعة الاستعداد للعمليات المتوقعة على جبهة الغرب .

كانت القيادة العليا للجيش البري تريد تنفيذ المخطط القديم الذي نفذ في سنة ١٩١٤ (والمعروف باسم مخطط شليفن) بعد إجراء بعض التعديلات الخفيفة عليه . **حتى كان يوم من أيام شهر**

تشـرين الثاني ـ نـوفمبـر ـ ١٩٣٩ حيث تلقى غـودريـان دعـوة من (مانشتاين) طلب فيها إلى غودريان الحضور إلى مكتبـه . وعندمـا تمت المقابلة ؛ شرح مـانشتاين فكـرته عن الحـرب القادمـة لاجتياح الغرب بقوله : « الهجوم بقـوات مدرعـة قويـة عبر اللوكسمبـورغ وبلجيكا الجنوبية ـ باتجاه خط ماجينو الممتد حتى مدينة سيدان ، ثم اختـراق هذه الجبهـة المحصنة ، وانهاء خـرق الجبهة الفـرنسيـة » . وطلب مانشتاين إلى غودريان دراسة هذا المشـروع من ناحيـة قدرة الـدبابـات على العمـل . وقـام غـودريـان بـدراسـة المشـروع عـلى الخـرائط ؛ واستند في دراستـه إلى معرفتـه الـدقيقـة لـلأرض أثنـاء الحرب العالميـة الأولى ، وعاد ليؤكـد للجنرال مـانشتاين بـأن خطة العمليـات التي وضعهـا هي خـطة يمكن تنفيـذهـا بشـرط واحـد يتلخص بزج عدد كاف من الفرق المدرعة والآلية في المعركة ؛ وأنه من الأفضل استخدامها كلها .



الفيلد ماريشال اريخ فون مانشتاين

وضع الجنرال (مانشتاين) مذكرة وجيزة للخطة ؛ ووقعها الجنرال (فون رونشتد) ، ورفعت إلى القيادة العليا للجيش البري يوم ٤ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٣٩ .

ولما كانت القيادة العليا للجيش البري عازمة على عدم زج أكثر من فرقة مدرعة واحدة أو فرقتين مدرعتين من أرلون ، فإنها انتقدت الخطة ؛ وجرى تبادل وجهات النظر ومناقشة الآراء بهذا الصدد . وكان غودريان يرى بأن هذه الوسائط ضعيفة ؛ وأن تنفيذها بهذه الوسائط لن يجدي ؛ وما دامت القوات المدرعة ضعيفة في جميع الأحوال ؛ فإنه من الخطأ تجزئتها ؛ وإضافة المزيد من الضعف على ضعفها .

ولقد حاول (مانشتاين) استعجال الحصول على الموافقة لتبني خطته ؛ مما أغضب القيادة العليا للجيش البري ، فقررت تعيين مانشتاين قائداً لأحد فيالق المشاة ، فحاول استبدال هذا التعيين بتعيينه قائداً لفيلق مدرع ؛ لكن القيادة رفضت الأخذ بطلبه .

وهكذا ؛ اشترك هذا القائد العبقري بالعملية على رأس قوة من الدرجة الثالثة ؛ بينما كان سير هذه العملية الناجحة يعود إلى بداهته الشخصية .

وقع في هذه الأثناء حادث في قيادة القوى الجوية جعل القيادة تتخلى عن مخطط شليفن . وتلخص الحادث بقيام ضابط ارتباط من القوى الجوية بمخالفة التعليمات والطيران في ليل ١٠ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٠ ومعه مصنفات سرية تضمنت مشروع العملية المستند إلى مخطط شليفن المعروف ؛ ولدى اجتيازه الحدود أرغم على

الهبوط اضطرارياً في بلجيكا . ولم تعلم القيادة ما إذا كان قد نجح في إخفاء هذه الوثائق السرية أم لا . وبات متوقعاً أن يعرف البلجيكيون ؛ وبطبيعة الحال الفرنسيون والانكليز ، بمخططات العملية .

في هذه الفترة ذاتها ، كان قد تم ترفيع (مانشتاين) إلى رتبة فريق ، واستدعي ، على نحو ما جرت العادة ، لمقابلة هتلر . وقد أفاد (مانشتاين) من هذه الفرصة السانحة ؛ فعرض وجهات نظره بشأن العملية القادمة ؛ وكان من نتيجة ذلك أن أعيدت دراسة مخططاته دراسة وافية .

ثم عقد مؤتمر (كوبلانس) يوم ٧ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٠ ؛ وفيه اقترح غودريان الهجوم على نهر الموز ؛ واجتيازه قرب مدينة سيدان ؛ وذلك في اليوم الخامس من الحملة ؛ بقوات كبيرة مدرعة وآلية ؛ على أن يكون الهدف هو القيام باختراق عميق ، ثم توسيعه بعد ذلك باتجاه مدينة (أميان) . وحضر رئيس هيئة الأركان العليا ـ الجنرال هالدر ـ فاعترض على اقتراح غودريان واعتبره (غير معقول) . وكان يرى أنه يجب الوصول إلى نهر الموز بقوات مدرعة ؛ واحتلال رؤوس الجسور ؛ وانتظار فرق المشاة ؛ ومن ثم القيام (بهجوم مشترك) إنما قبل اليوم التاسع أو العاشر من الحملة . وهذا ما أطلق عليه اسم (الهجوم العام المنظم) . وأجابه غودريان بعنف ؛ فقال : « **إنه من الضروري زج جميع الدبابات المشتركة ، في الوقت الحاسم ؛ والإفادة من عامل المباغتة لتطوير قوة الضربة المحدودة ، على أن تتمفصل القوات بعدئذ لتتوغل بالعمق ؛ مع حماية الأجناب ، ثم استثمار النجاح الأول على الفور ؛ بدون اي اعتبار لوصول فيالق المشاة** » .



حواجز مضادة للدبابات تمتد أمام خط «سيغفريد». ولن يكون لهذه الحواجز أية فائدة، كما لن يكون للحفر وغيرها من الحواجز الممتدة أمام خط «ماجينو» أية فائدة. ولكن الأسباب هنا تختلف عنها هناك. ويبدو أن إله الحرب يتلذذ دوماً في تخطئة ما يذهب إليه العسكريون من تكهنات وتصورات.

تأكد غودريان من صحة تقديره لقيمة التحصينات وقوتها على الجبهة البلجيكية والجبهة الفرنسية ، وذلك بعد الدراسات الدقيقة التي قامت بها رئاسة قسم الهندسة في مجموعة الجيوش ، والتي استندت فيها إلى الصور الجوية الدقيقة الملتقطة في أوقات مختلفة .

عقد مؤتمر ثان في هيئة أركان الجيش الأول يوم ١٤ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٠ وبحضور رئيس هيئة الأركان العليا أيضاً ـ الجنرال هالدر ـ ، وذلك بهدف الاتفاق على طريقة اجتياز نهر الموز . وتركز البحث على النقطة التالية : هل يجب على الفرق المدرعة أن تحاول عبور النهر بوسائطها الخاصة ؟ أم يجب عليها انتظار وصول المشاة ؟ وأخذت المناقشة شكلاً عقيماً مما دفع غودريان إلى الإعلان عن عدم ثقته بنجاح العملية ؛ بسبب الاستخدام الخاطىء للدبابات ، وحذر القيادة من الأزمات المتوقعة إذا ما أصرت على استخدام الدبابات

بهذه الطريقة (طريقة انتظار الدبابات للمشاة) .

قرر غودريان العمل بمبادأته بعد أن أدرك بأن فيلقه هو الذي سيحمل قوة الصدمة عند اجتياز منطقة الأردين الصعبة ، فبذل كل جهده لتدريب كبار القادة وضباط هيئة أركانه على المهمة المتوقعة . وقد تكوّن فيلق غودريان من ألوية البانزر الأول والثاني والعاشر ولواء المشاة (غروس دوتشلاند) وبعض الوحدات الأخرى منها مجموعة مدافع قذافة ذات عيار كبير .

ولقد عرف (غودريان) هذه الألوية والوحدات ـ ما عدا لواء غروس دوتشلاند ـ في زمن السلم وفي فترة الحرب ؛ ولهذا كانت ثقته كبيرة بقدراتها القتالية . كما أتيحت له فرصة إعدادها وتدريبها لتنفيذ المهمة الشاقة التي تنتظرها ؛ والتي لم يكن هناك من يصدق بإمكان تحقيقها بنجاح إلا هو وهتلر ومانشتاين . ولقد تطلب الإعداد لهذا المخطط دخول مناقشات مضنية ، وبذل جهود كبيرة ، استنزفت قدرة غودريان ؛ وجعلته بحاجة لإجازة قصيرة حصل عليها في النصف الثاني من شهر آذار ـ مارس .

عقد مؤتمر آخر لقادة جيوش المجموعة (آ) بحضور هتلر في رئاسة وزارة الرايخ وذلك يوم ١٥ آذار ـ مارس ـ ١٩٤٠ . وعرض كل قائد مهمته وطريقته لتنفيذها . وتكلم غودريان في النهاية فقال : «**مهمتي هي اجتياز حدود اللوكسمبورغ يوم (ي) والتقدم نحو سيدان؛ من جنوب بلجيكا؛ واجتياز نهر الموز في سيدان. واحتلال رأس جسر على الضفة اليسرى تعبره فيالق المشاة التي تتبعني . وسيتقدم الفيلق المدرع بثلاثة أرتال ، مجتازاً الحدود البلجيكية في اليوم الأول ؛ ثم يتابع التقدم في اليوم الثاني حتى**

(نيوشاتو)، **ويجتاز نهر السوم عند مدينة بويون في اليوم الثالث ؛ ليصل إلى نهر الموز في اليوم الرابع ، على أن يبدأ الهجوم لاجتياز النهر في اليوم الخامس . وآمل احتلال رأس الجسر ليلة اليوم ذاته »**

وهنا طرح هتلر سؤاله الحاسم الذي لم يطرحه سواه : « **وماذا تنوي عمله بعد ذلك ؟** » .

وأجاب غودريان على الفور ؛ وكأنه كان يتوقع مثل هذا السؤال : « **إذا لم يصلني أمر معاكس ؛ فسأتابع اختراقي نحو الغرب . وستقدر القيادة العليا اتجاه الاختراق : هل هو نحو أميان أم نحو باريس ؟ والأفضل كما أرى متابعة الاختراق نحو أميان ؛ ثم إلى المانش** » .

ووافق هتلر بإيماءة من رأسه دون أن يضيف شيئاً . إلا أن قائد الجيش السادس عشر - الجنرال بوش - والذي كان يجلس إلى اليسار من غودريان ؛ صرخ معترضاً : « **لا أعتقد أن بامكانك اجتياز النهر !** » وبدت على هتلر أمارات الاهتمام ؛ وكأنه ينتظر إجابة غودريان بفارغ الصبر . ولم يتأخر الرد فقال غودريان مخاطباً بوش ؛ « **لا تتعب نفسك بهذا الاعتقاد** ». ولم يعلق هتلر بشيء على المناقشة .

بدأ غودريان بالتحضير للعملية الكبرى ؛ بعد عودته من إجازته القصيرة . وحلّ ربيع جميل بعد الشتاء الطويل ؛ وكادت تمارين الإنذار المتتالية تصبح حقيقية . وقد يكون من المناسب التوقف قليلاً عند أبرز المعالم والمؤشرات التي وجهت غودريان في عمله منذ البداية وحتى مرحلة الهجوم .

هناك حقيقة معروفة وهي أن الحرب العالمية الأولى قد انتهت



وجه الرايخ الثالث قيادته العسكرية وجهة جديدة. فبات القوّاد يقودون جيوشهم شخصياً. والصورة تمثّل «غوديريان» قائد الفيلق المصفح التاسع عشر يقود الهجوم باتجاه «سيدان».

بعد التحركات الأولى إلى مرحلة من الجمود القاتل ؛ وتحولت إلى (حرب مواقع وخنادق) . ولم يؤد تكديس العتاد على كثرته وضخامته ؛ إلى زحزحة الجبهات ؛ وإعادة الحركة إليها ، حتى زج الحلفاء الغربيون سلاحهم الجديد ـ الدبابات ـ في شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩١٦ م ، فاستطاعت هذه الدبابات بتصفيحها وسلاسلها ومدافعها ورشاشاتها ؛ اختراق الخطوط الألمانية ، وأعادت الدبابات للهجوم قدرته الحركية . وقد أثارت هذه الظاهرة الاهتمام والانتباه ، غير أن الألمان لم يقدروا الدبابات حق قدرها .

وبرزت الأهمية الحقيقية للدبابات في نصوص معاهدة (فرساي) . فقد حظر على ألمانيا ـ تحت طائلة العقوبة ـ امتلاك أو صنع الدبابات والعربات المدرعة .

واستنبط (غودريان) من ذلك أنه لا بد من دراسة تاريخ هذه الآلة بعناية ومراقبة تطورها المقبل . ولم يكن (غودريان) مقيداً بأي قيود نظرية أو عملية ـ من حيث العتاد والتسلح ـ . فأمكن له وضع نظرية استخدام الدبابات والوحدات المدرعة وتنظيمها وتشكيلها وتسلحها ؛ وتجاوز بهذه النظرية ما كان معروفاً في الخارج عن استخدام الدبابات . وأمضى سنوات متتالية وهو يدافع بتصميم وعناد عن نظريته حتى أمكن له وضع النظرية موضع التطبيق العملي من قبل أن تصل بقية جيوش العالم إلى هذه النظرية ، فكان الوحيد ـ حتى في ألمانيا ـ رائداً في تنظيم السلاح المدرع واستخدامه ؛ وبقي كذلك حتى سنة ١٩٤٠ .

وكان غودريان يعرف نفسية جيشه معرفة جيدة ؛ فانصرف لدراسة نفسية أعداء ألمانيا (دول الغرب) دراسة عميقة ، فتكونت

لديه بذلك فكرة دقيقة وواضحة عن طباعهم وطرائق تفكيرهم .

كان الخوف ـ حتى درجة الرعب ـ مهيمناً على العقول من حرب المواقع وحرب الخنادق ؛ ولهذا أظهر الغربيون اهتماماً كبيراً بامتلاك السلاح وتطويره . وكان لدى القوات المقاتلة البريطانية والفرنسية على جبهة الغرب ـ في شهر أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠ ـ اكثر من ٤٨٠٠ مدرعة ، بينما لم يكن لدى القوات الألمانية أكثر من ٢٨٠٠ مدرعة ؛ منها العربات المصفحة (وكان عدد الدبابات عند بداية الهجوم ٢٢٠٠ دبابة) ، فكان على الألمان مواجهة تفوق يعادل الضعف تقريباً . وبالإضافة إلى ذلك ؛ كانت الدبابة الفرنسية تتفوق على الدبابة الألمانية في مجال التصفيح وفي مجال عيار المدافع ، إلا أنها كانت دون الدبابة الألمانية في مجال القيادة والسرعة .

وهكذا كانت فرنسا تمتلك جهاز قتال متحرك وقوي بالإضافة إلى امتلاكها لجهاز قتال دفاعي هو خط ماجينو ، والذي كان يعتبر بحق أقوى التحصينات الدفاعية وأقواها في العالم . ولعله كان من الأفضل لفرنسا لو أنها استخدمت الأموال التي انفقتها على تحصين خط ماجينو وتطويره ؛ من أجل زيادة قدرتها الهجومية في السلاح المدرع . ولقد توقع بعض القادة الفرنسيين ـ من أمثال الجنرال ديغول ـ حدوث ثورة في فن الحرب من خلال السلاح المدرع ؛ على نحو ما بشر به غودريان وعمل له ؛ إلا أن فرنسا قد تجاهلت النداءات الداعية للإفادة من القدرة الحركية العالية للدبابات من أجل تطوير حرب الحركة ؛ ولم تعترف بأهمية الدبابة في حرب الحركة .

ولقد تأكد غودريان من هذه الحقيقة ؛ من خلال متابعته

لكافة المشاريع التدريبية للتشكيلات الفرنسية الكبرى ؛ وللمناورات ؛ حيث برز واضحاً أن القيادة الفرنسية ملتزمة بفكرة ثابتة وهي قيادة قواتها بطريقة تضمن للقرارات المتخذة بناء على معطيات أكيدة ، تنفيذاً أميناً ودقيقاً ؛ وتكفل اتخاذ الإجراءات الهجومية أو الدفاعية بطريقة منظمة .

وكانت القيادة الفرنسية تجتهد قبل اتخاذ القرار بالعمل ؛ لتكوين فكرة واضحة عن تنظيم المعركة وتوزيع قوات العدو ؛ حتى إذا ما تم لها ذلك ؛ وتم اتخاذ القرار ؛ سارت الأعمال بحسب خطة منظمة بداية من مرحلة التقرب ومروراً باحتلال قاعدة الهجوم وتحضير رمايات المدفعية ؛ ونهاية بتنفيذ الهجوم أو احتلال المنطقة الدفاعية .

وكانت طريقة العمل المنظم هذه ، والتي لا تضع اعتباراً للاحتمالات الطارئة أو التطورات المباغتة ؛ تضع الدبابة ـ هذه الآلة المتحركة ـ في حالة من العطالة ؛ وهذا السبب هو الذي أدى إلى توزيع معظم الدبابات الفرنسية على فرق المشاة ؛ ولم يخصص إلا قسم قليل للعمل في وحدات مدرعة مستقلة .

توقعت القيادة الألمانية أن توجه فرنسا أعمالها القتالية للإفادة من تحصيناتها الدفاعية ؛ وفقاً للمبادىء التي استخلصتها فرنسا من نتائج الحرب العالمية الأولى ؛ أي من خبرة حرب المواقع ، وتأثير النار الحاسم ؛ وقيمته الدفاعية ، وعدم تقدير المناورة والحركة تقديراً صحيحاً ، فكانت المبادىء الفرنسية سنة ١٩٤٠ ـ ـ في مجال الاستراتيجية والتكتيك ، مناقضة تماماً لما كان يدعو إليه غودريان ؛ وكان هذا عاملاً ثانياً من عوامل ثقته بالنصر .

نجحت القيادة الألمانية - حتى ربيع سنة ١٩٤٠ - في جمع المعلومات الكافية عن التنظيم القتالي للعدو وعن تحصيناته . فكانت تعرف أن التحصينات بين (مونتميدي) و (سيدان) هي أضعف من بقية تحصينات خط ماجينو . وكانت القيادة الألمانية تطلق على التحصينات ما بين سيدان والمانش اسم (امتداد خط ماجينو) .

ولقد أمكن للقيادة الألمانية الحصول على مخطط التحصينات ؛ ثم تابعت العمل على مهل للحصول تباعاً على كافة المعلومات الدقيقة عن قوة التحصينات الهولاندية والبلجيكية ؛ وكانت جميعها موجهة لمقاومة أي هجوم ألماني - فحسب - . ولقد زجت القيادة الفرنسية بأضعف قواتها في خط ماجينو ؛ واحتفظت بفرقها المدرعة القوية وبالفيلق البريطاني ؛ فحشدتها في مقاطعة الفلاندر الفرنسية ؛ بين نهر الموز والمانش ؛ في الجبهة الشمالية الشرقية .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد تمفصلت القوات البلجيكية والهولاندية لحماية بلديهما من هجوم ألماني - قادم من الشرق - . وكان تمفصل القوات هذا يدعو إلى الاستنتاج بأن دول الغرب كانت تأمل بقيام الألمان بتنفيذ مخطط شليفن لسنة ١٩١٤ مرة أخرى ، وأن قوات جيوش الغرب ستعمل على منع الألمان من القيام بحركة التطويق ؛ وذلك بالتقدم عبر هولاندا وبلجيكا .

ولقد لاحظت القيادة الألمانية أن القوات البلجيكية والهولاندية - المتمفصلة - هي قوّات محرومة من التغطية ، ولا تملك أي قوات احتياطية **فكان توزيع القوات الغربية ؛ والتزام قياداتها بفكرة أخذ الألمان بخطة شليفن - وحتمية تطبيقها بحذافيرها - ، وجهل قيادات القوات الغربية بما كان يفكر به الألمان ويعملون**

له ، هو العامل الثالث في جملة العوامل التي حملت غودريان على الثقة بحتمية النصر .

لقد كان غودريان يعرف أهمية تنظيم التعاون بين كافة الأسلحة لنجاح حرب الحركة لا سيما مع القوات الجوية ؛ لذلك فقد وضع برنامجاً للتدريب على تنظيم التعاون مع طيران الدعم ؛ ومع الفيلق الجوي المخصص للعمل معه بصورة رئيسة . فعمل على استدعاء الطيارين لحضور تمارين قيادة ـ على الخرائط ـ . كما اشترك أيضاً في تمرين حربي أعدته القيادة الجوية بهدف دراسة الإجراءات عند عبور نهر الموز. وتقرر بنتيجة التفكير والدراسة العميقة توسيع مجال عمل الطيران ؛ واستمرار تدخله طوال فترة العبور ؛ وذلك بدلاً عن توجيه ضربة واحدة قوية ومركزة على نحو ما كان مقرراً من قبل . وحددت للطائرات (القاذفة والمقاتلة ؛ الشتوكا) واجباتها بدقة من أجل إبطال عمل المدفعية المعادية ؛ وشلها ؛ طوال فترة العملية .

طلب (غورنغ)[1] قبل بدء التحرك ؛ إلى غودريان ؛ تحميل

---

(١) غورنغ : (GORING , HERMANN WILLIAM) ماريشال ألماني ؛ وسياسي (١٨٩٣ ـ ١٩٤٦) كان طياراً في الحرب العالمية الأولى . اشترك مع هتلر في قمع عصيان ميونيخ سنة ١٩٢٣ . وانضم إلى الرايخستاغ سنة ١٩٢٨ وأصبح وزيراً للقوات الجوية في وزارة هتلر سنة ١٩٣٣ . فانصرف لتنظيم القوات الجوية الألمانية (لوفتووف) . ثم أصبح المستشار الأول لهتلر ؛ ووزيراً لداخلية بروسيا . وهو الذي نظم الغستابو والشرطة السرية للدولة في بروسيا . وقد أقنع هتلر أن باستطاعة سلاح الجو الألماني إلحاق الهزيمة بسلاح الجو الملكي البريطاني سنة ١٩٤٠ . وكان فشل (معركة بريطانيا) سبباً في تدهور مكانته القيادية . وقد =

كتيبة من لواء المشاة ـ غروس دوتشلاند ـ على طائرات (ستورش) لإنزالها صبيحة يوم (ي) خلف الجبهة البلجيكية ـ في مدينة وتيري غربي مارتيلانج ـ بمهمة نشر الاضطراب في تحصينات الجبهة . وانصرف غودريان لتحديد الواجبات للوحدات المختلفة ؛ وإنهاء الاستعدادات .

صدر الأمر باستنفار الجيش الألماني في الساعة ١٣,٣٠ من يوم ٩ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠ . فغادر غودريان (كوبلانس) في الساعة ١٦,٠٠ ووصل إلى مقر قيادة فيلقه مساء في مدينة (سونهوف) قرب (بيتبورغ) ، فيما كانت قوات الفيلق تحتل مواقعها على امتداد الجبهة بين مدينتي (فياندن ـ و ـ أكترناك) ، وأخذت في اجتياز (حدود اللوكسمبورغ) في الساعة ٥,٣٥ من صباح يوم ١٠ أيار ـ مايو ـ ووصلت بعد ظهر اليوم ذاته الى الحدود البلجيكية قرب مدينة مارتيلانج ـ . لقد بدأت عمليات اجتياح الغرب .

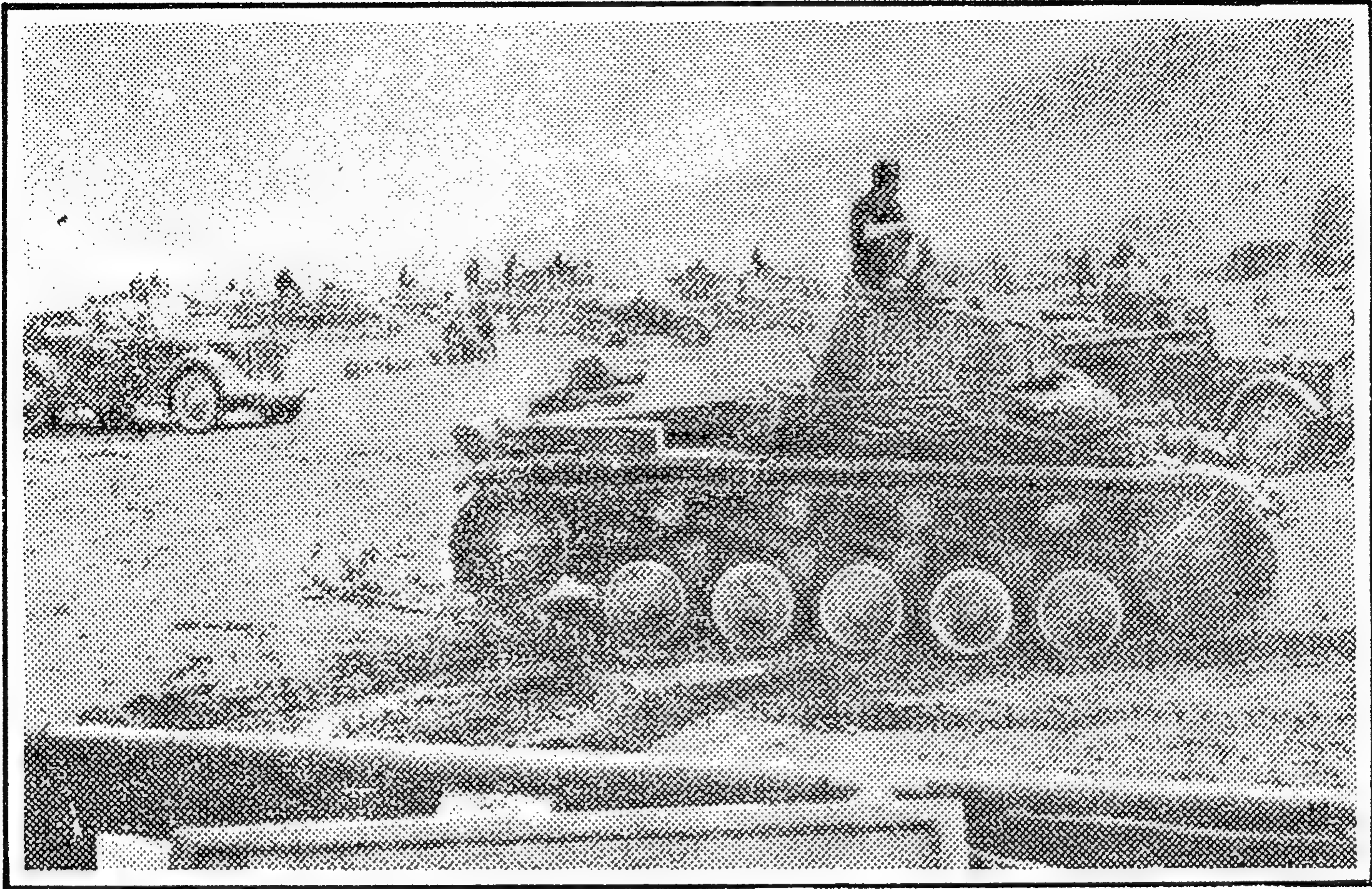
كان غودريان قد وضع فرقة البانزر الأولى ؛ على محور الجهد الرئيسي ؛ وسارت فرقة البانزر الثانية الى يمين الفرقة الأولى ؛ فيما سارت فرقة البانزر الثالثة إلى يسارها ومعها لواء مشاة ـ غروس دوتشلاند ـ .

وقد استطاعت فرقة البانزر الأولى إجراء الاتصال في الوقت المحدد مع الوحدات المنقولة جواً ـ والتابعة للواء مشاة غروس

= حاول الحصول من هتلر على إذن بمفاوضة الحلفاء لإنهاء الحرب في ٢٣ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٥ ، فأقاله هتلر . وقبض عليه الحلفاء وأحالوه إلى محكمة نورمبرغ التي حكمت عليه بالإعدام غير أنه انتحر في سجنه في أكتوبر ـ ١٩٤٦ .

دوتشلاند ـ، غير أَن فرقة البانزر الأولى لم تتمكن من التوغـل عميقاً في بلجيكا بسبب تخريب الطرقات الذي أعاق مناوراتها ؛ ولم تستطع الدبابات الالتفاف على الجبهة بسبب طبيعـة المنطقـة ذات التعاريـج الكثيرة ؛ ولم يتم فتح الـطرق إلا في الليل . وقـاتلت فرقـة البانـزر الثانية من أجل احتلال مدينة (سترين شامب) ، فيـما كانت فـرقة البـانزر العـاشرة تتقـدم باتجـاه (هابـاي لانوف) ومـدينة (إتيـال) فاصطدمت بالقوات الفرنسية .

كانت الأعمال القتالية تسـير بدقـة مثيرة ؛ وانتـظام مذهـل ، لقد برهن تدريب القوات على فائدته وأهميته مرة أخرى في تاريخ فن الحـرب . كما بـرهن عامـل (الكفاءة القيـاديـة) عـلى دوره الفعـال أيضـاً . لقد كـانت القوات تمـارس عملها وكـأنها تعمل في ميـادين التـدريب . فبينما كـان المهنـدسـون يـزيلون الألغـام ، ويصلحـون الـطرق ، كانت عنـاصر الاستطلاع تنـدفع متقـدمة لحمـايـة الكتلة الرئيسة لقوات البانزر ، فيما كان الطيران يتعامل مع المقـاومات التي يتم اكتشافها . ولم يكن لغودريان من عمل سوى التنقـل بين قـواته المتقدمة لمعالجة المواقف الطارئة ؛ وتنسيق التعاون كلما تطلب الموقف ذلك ، والاستمتاع برؤية الاشتباكات العنيفة التي كانت تحـدث بين فترة وأخرى ؛ فيتم حسمهـا بسرعـة ؛ حيث تتابـع القوات تقـدمها بحماسة بعد أن تدمر المقاومـات التي تحاول التعـرض لها . وهكـذا تمكنت فـرقتا البـانـزر الأولى والعـاشـرة من الاستيـلاء عـلى الضفـة الشمالية لنهر الموز واحتلال مدينة سيدان التـاريخية والمحصنـة وذلك في ليل ١٢ أيـار ـ مايو ـ . وبـدأ العمل لعبـور الموز وتشكيـل رأس جسر على الضفة المقابلة .

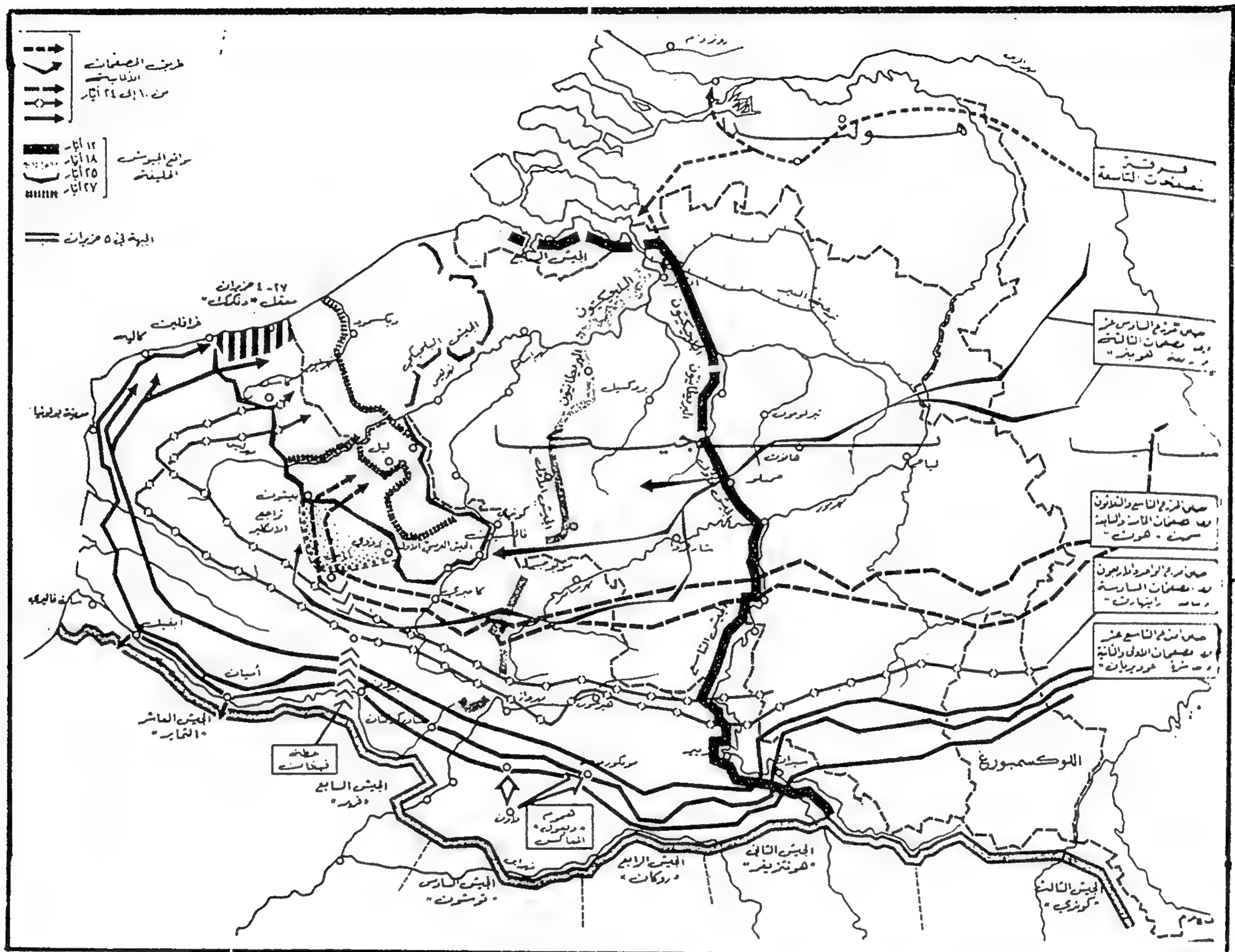


تقدم القوى الآلية الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية في منطقة نهر الموز

وسارت العملية بدقة ، وتابعت فرق البانزر اندفاعها وجرت أعنف المعارك عند (قرية ستون) يوم ١٤ أيار - مايو ، حيث تناوبت السيطرة عليها القوات الألمانية والفرنسية مرات عديدة . وفي اليوم التالي ؛ وقع في قبضة غودريان أمر صادر عن القيادة الفرنسية : « **يجب أخيراً إيقاف تقدم الدبابات الألمانية** » . وكان الجنود بحاجة للراحة بعد الجهد الذي بذلوه طوال الأيام الماضية ولياليها في مسير متصل ومعارك متتالية ؛ إلا أن غودريان استثارته برقية القيادة الفرنسية فجمع قادته - حتى مستوى قادة السرايا - وطلب إليهم بذل المزيد من الجهد لإحباط المحاولات الفرنسية .

وأمكن للحماسة أن تضعف من تأثير التعب والإرهاق ، فتابعت فرق البانزر تقدمها ، مخلفة وراءها نهر الموز . وكان

غـودريان يشعـر بسعادة لا تـوصف لدى سمـاعـه تعليقـات جنـوده المتقدمين وهو يمر بهم فيهتفـون له ؛ ويحيـون ؛ ويصرخـون : (هيا إلى الأمـام يا صـديقي !) و (ها هـو شيخنا) و (هـل رأيت هانـز السريع) .



وهكذا استولت قوات البانزر يوم ١٦ أيـار ـ مايو ـ على مدينة (مونكورينيه) . ولما حدث تداخـل بين الفـرق بسبب عدم تحـديد خط فصـل بين الفـرق والفيالق ، فقـد عمل غـودريان عـلى تحديـد خطوط الفصل على الأرض ، وعاد إلى مقر قيادته (في قريـة سواز) على أمل متابعة الهجوم في اليوم التالي .

كان قائد مجموعة الجيوش (الجنرال فون كليست) قد أوجس خيفة من سرعة تقدم غودريان ، فطلب منذ يـوم ١٣ أيـار ـ مـايو ـ

إلى غودريان بالتوقف عن التقدم لبعض الوقت (عند رأس جسر نهر الموز) . ولكن غودريان نجح في إقناع (فون كليست) بضرورة استثمار المباغتة حتى أقصى الحدود ؛ للاندفاع بما يمكن من السرعة . ووافق (فون كليست) على متابعة التقدم لفترة اليوم التالي فقط (لمدة ٢٤ ساعة) . ولكن غودريان تابع تقدمه بسرعة أذهلت (فون كليست) . وعندما عاد (غودريان) إلى مقر قيادته في ليل ١٦ ـ ١٧ أيار ـ مايو ، وجد في انتظاره أمراً يطلب إليه التوجه في الساعة السابعة من صباح يوم ١٧ أيار ـ مايو ـ إلى مطار طائرات ستورش لمقابلة (فون كليست) .

وتوجه غودريان في الوقت المحدد ، ووصل (فون كليست) فبادر غودريان بتوبيخ شديد ـ دون أن يبدأ المقابلة برد التحية ـ وعنفه لتجاوز توجيه القيادة العليا ؛ ولم يذكر شيئاً عما قامت به الوحدات من أعمال بطولية.وانتظر غودريان حتى هدأت العاصفة الأولى ، فطلب إليه إقالته من قيادته . وارتجف الجنرال فون كليست ؛ ووافق على الطلب ؛ وأمره بتسليم القيادة إلى الجنرال ـ القائد ـ الأقدم في الفيلق . وانتهت المقابلة على هذه الصورة ؛ وعاد غودريان إلى مقر قيادته .

كان أول عمل قام به (غودريان) هو الاتصال لاسلكياً بقيادة مجموعة (فون رونشتد) وأعلمها بأنه سيصل عند الظهيرة لتقديم تقريره بعد أن ينتهي من تسليم القيادة . وجاءه الرد بسرعة مذهلة ؛ حيث وصله أمر بالبقاء في مقر قيادته حتى تلقي أوامر جديدة ، وانتظار وصول قائد الجيش الثاني عشر ـ الفريق ليست ـ الذي كان يتحرك وراء فيلق غودريان ؛ والذي صدر إليه أمر

بتكليفه لحل القضية . وعمل (غودريان) بعد ذلك على إصدار أمر إلى كافة وحدات الفيلق بالتوقف في الأماكن التي وصلت إليها .

ووصل الفريق ليست ـ بعد الظهر ـ فأعلمه غودريان عما جرى بكل تفاصيله . فأصدر الفريق ليست أمراً ـ باسم الفريق فون رونشتد ـ بإلغاء أمر النقل ، وأعلمه أن الأمر بإيقاف الهجوم هو أمر صادر عن القيادة العليا للجيش ؛ فلا بد من تنفيذه والالتزام به . وأضاف بأنه مطلع على حجج غودريان وبراهينه بضرورة متابعة التحرك ؛ وأصدر إليه توجيهاً ـ باسم قائد مجموعة الجيوش فون رونشتد ـ سمح له : « بمتابعة دفع مجموعات قتالية استطلاعية قوية إلى الأمام : على أن لا يتحرك مقر قيادة الفيلق من مركزه الحالي حتى يكون بالمستطاع الاتصال به في أي لحظة » . وشعر غودريان بأنه مدين للفريق ليست بتفهمه لموقفه ؛ ومساعدته على الخروج منه فشكره ، وطلب إليه العمل على انهاء الخلاف الذي نشب بينه وبين الجنرال (فون كليست) .

أفاد (غودريان) من حرية العمل العسكري المحدودة التي منحت له من خلال فقرة (دفع مجموعات قتالية استطلاعية) فنظم هذه المجموعات ؛ ودفعها للعمل على مختلف الاتجاهات ؛ كما عمل على وصل مقر قيادته المتقدم بخط هاتفي ؛ مما جعله في غنى عن اللاسلكي في المكان الجديد ؛ وبهذا أصبح متعذراً على فرع التنصت والاصغاء في قيادة الجيش تحديد مكان غودريان ورصد تحركاته .

استولت فرقة البانزر الأولى في وقت مبكر من صباح يوم ١٧ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠ على (ريبيمون) الواقعة على نهر الواز

وعلى مدينة (كريسي ـ سور ـ سير) . ووصلت عناصر فرقة البانـزر العاشرة إلى (فريليكور) و (سولس ـ مونكلان) . وأمكن في مساء اليوم ذاته إقامة رأس جسر عـلى نهر الواز قـرب مدينـة (موا) . ثم تـابعت (مجموعـات الاستطلاع القتـالية) عملهـا يـوم ١٨ أيـار ـ مايو ـ . فوصلت فرقـة البانـزر الثانيـة في الساعـة١٩,٠٠ إلى(سانت كوانتان) [1]وعبرت فرقة البانـزر الأولى نهر الواز أيضـاً إلى يسارهـا ثم تقدمت باتجاه مدينة (بيرون) ، وتبعتهـا فرقـة البانـزر العاشـرة التي انتشــرت عـلى نسق نحــو اليســار وإلى الخلف من الفــرقتـين المتقـدمتين ؛ واتجهت نحـو (بيرون) . واستـطاعت فرقـة البـانـزر الأولى في صبيحة اليوم التالي (١٩ أيـار ـ مايو) أن تحتل جسراً على نهر (السوم) بالقرب من مدينـة (السوم) [2]وقـد أمكن أسر عدد من هيئات الأركان الفرنسية ـ لتشكيلات قتالية مختلفة ـ كانت تتجه نحو (بيرون) بمهمة استطلاعية

---

(١) سانت كوانتان : (SAINT - QUENTIN) مدينة في الأيسن (AISNE) تقع على نهر السوم . وقد شهدت أحداثاً تاريخية هامة عبر تاريخها الطويل ، ولا سيما في الحرب العالمية الأولى . وهناك قناة سانت كـوانتان ، التي تصـل نهر الأيسكوت من جهة بنهري السين والسوم من جهة ثانية .

(٢) السـوم : (SOMME) إقليم في شمـال فـرنسـا يضم إقليم بيكـاردي القـديم (PICARDIE) وعـاصمته أميـان (AMIENS) ومن أشهر مـدنـه (آبفيـل : ABBEVILLE) ومونتديدييه (MONTDIDIER) وبيرون (PERONNE) والإقليم في معظمه ذو طبيعة كلسية ، تتخلله تعرجات وتموجات كثيرة . أما مـدينة السـوم ـ فهي مدينـة قديمـة وحصينة أنشئت في القـرن الخامس عشر لتكـون قلعـة للدفاع عن نهر السوم .

هكذا ؛ استقرت فرق البانزر يوم (١٩ أيـار ـ مايو) على أرض السوم التي شهدت أعنف المعارك أيام الحرب العالمية الاولى . وكـانت هناك مجمـوعة استـطلاع قتاليـة وقناصـة دبابـات ووحـدات هندسية تعمـل على حمـاية المجنبـة اليسرى المكشـوفة ؛ خـلال تقدم فـرق البانـزر شمالي نهر الآين ونهر السـين ونهر السـوم . ولم يشعـر غودريان إلا بتهديد بسيط عـلى هذه المجنبـة ؛ وكان يعـرف بوجـود فـرقة المـدرعات الفـرنسية الـرابعة بقيـادة الجنرال ديغـول ؛ ، حيث شـوهدت للمـرة الاولى في مدينـة (مونكـورنييه) يـوم ١٦ أيــار ـ مايو ـ .

وبقي ديغول خلال الأيام التالية وهو يتحرك على مجنبات فرق البانزر الألمانية ؛ واستطاع في يوم ١٩ أيـار ـ مايـو ـ أن يصل حتى مسـافـة ٢ كم فقط من مقـر القيـادة المتقـدم لغـودريـان ـ في غـابـة هولنون ـ .

وجابه غودريان موقفاً صعباً ؛ فقد كانت قوات ديغول مجهزة بـدبابـات من نموذج (ب ـ ١) وهي أقـوى دبابـات كانت متـوافرة لدى جميع الأطراف المتحاربة ، وعلاوة على ذلك ؛ فـإن مقر قيـادة غودريان كان محروماً من وسائط الدفاع المضاد للدبابـات ـ باستثنـاء بعض مدافع من عيـار ٢٠ مم المضادة للطائـرات ـ ومرت سـاعات صعبـة قبل أن ينسحب هؤلاء الضيـوف غير المـرغوب فيهم ـ دون حدوث أي اشتباك ـ .

أعيدت حريـة العمل والمنـاورة لفيلق غودريـان في مساء يـوم ١٩ أيـار ـ مايو ـ ، على أن يبدأ مسيره نحو أميان في اليـوم التالي . وأصـدر غودريـان أوامـره إلى فـرقه ؛ وحـدد لها خـطوط الفصـل .

وأصـدر أمره بتجهيـز عربـات القيادة لتكـون جاهـزة منـذ السـاعـة الخامسة من صباح يوم ٢٠ أيـار ـ مايو ـ ١٩٤٠ وذلك حتى لا تفوته فرصة متابعة الهجوم على أميان ومشاهدة هذا الحدث التاريخي .

وانـطلقت فرقـة البانـزر الأولى بالهجـوم على أميـان في الوقت المحدد . وعند الـظهر وقعت المـدينة في قبضـة قوات الفـرقة ؛ وتم تشكيـل رأس جسر على نهر السـوم بعمق ٧ كم . وألقى غـودريـان نظرة سريعة على المنطقة وعلى المدينة ووقف لبعض الوقت وهو يتأمل كـاتدرائيـة أميان الجميلة والشهيـرة ، ثم توجـه بسرعـة نحو مـدينة (ألبرت) حيث التقى بوحـدات فرقـة البانـزر الثانيـة وقد اختلطت بأرتال النـازحين ، وبمجمـوعة من العـربات المعـادية التي دخلت في الرتل الألماني بدون أن يلاحظ أحد وجودها وذلك بسبب غيوم الغبار الكثيف التي كانت تغطي الرتل . وكانت هذه العربات المعادية تأمل

في الوصول إلى باريس بهذه الطريقة ؛ مما يمكنها من الإفلات من الأسر .

وتم إلقاء القبض على مجموعة من المقاتلين الانكليز . وسرعان ما اكتظ سوق مدينة (ألبرت) بالأسرى من جميع الدول الغربية . وتبددت مخاوف فرقة البانزر الثانية من عدم توافر إمكانات التقدم بسبب نقص الوقود ؛ وصدر إليها الأمر بالوصول إلى آبفيل في اليوم ذاته . فانطلقت الفرقة بأقصى سرعة لها حتى وصلت آبفيل في الساعة ١٩,٠٠ .

ولقد أدى التقدم السريع إلى حدوث أخطاء في تنظيم التعاون مع القوات الجوية التي قصفت الفرقة وأوقعت بها بعض الخسائر ؛ كما ردت المدفعية المضادة للطائرات على الهجوم الجوي فاسقطت طائرة صديقة .

ولما لم يتلق غودريان أي أمر لمتابعة التقدم ، فقد أفاد من يوم ٢١ أيار - مايو - لتفقد الوحدات ، واستطلاع الممرات التي يجب عبورها على نهر السوم والتأكد من الحراسة المنظمة على الجسور وزيارة مدينة أبفيل .

وقد حاولت الدبابات الإنكليزية في هذا اليوم اختراق منطقة عمليات دبابات البانزر للتوجه نحو باريس ، فوقعت معركة ضارية ؛ ودبت الفوضى في وسط القوات الألمانية ؛ غير أنه أمكن السيطرة على الموقف .

وتلقى غودريان في مساء يوم ٢١ أيار - مايو - أمراً بمتابعة التقدم للاستيلاء على مرافىء بحر المانش ، غير أنه سحبت من فيلق

غودريان إحدى فرقه (وهي فرقة البانـزر العاشـرة) فاضـطر للعمل بفرقتين فقط . وقد حاول غودريان الإبقاء على فرقة البانزر العـاشرة حتى يتمكن من الوصول إلى دونكـرك وكاليـه بقوة وسـرعة ، ولكن القيادة العليا أصرت على وضع هذه الفـرقة في الاحتيـاط ؛ مما حـد من حرية عمل غودريان .

وبدأت الفرقتان البانزر الأولى والثانية تحركهما منذ صبـاح يوم ٢٢ أيـار ـ مايو ـ واندفعتا بسرعة ، غير أنهما اضطرتا لخوض معارك ضارية في (دوفر) و (سامر) وجنوب (بويون) ضد قوات فـرنسية وإنكليزية وبلجيكية وهولاندية ، وأمكن التغلب عـلى هذه القـوات بعد قتال عنيف .

يظهر أن القيادة العليا شعـرت بالموقف الحرج الـذي يجابهـه (غـودريان) ، لا سيـما بعد أن حـرم من دعم الطيـران الألمـاني في معـارك يوم ٢٢ أيـار ـ مايـو ـ بسبب عـدم تمكن القـوات الجـويـة الألمـانية من الانتقـال إلى قواعـد متقـدمـة ، في حـين كـان الحلفـاء يستخـدمون قـواتهم الجويـة بفاعليـة ونشـاط كبيـرين ؛ ولهـذا فقـد أعيدت لغودريان فرقة البانزر العاشرة يوم ٢٣ أيار ـ مايـو ـ وأرسل غـودريان ـ في منتصف الليـل ـ برقيـة إلى قواتـه جاء فيهـا : « يجب الوصول قبل الساعة ٧,٠٠ من صباح يوم ٢٣ أيـار ـ مايو ـ إلى مدينة كانش ؛ لأن فرقة البانزر العاشرة تتبعنا . لقـد دخلت فرقـة البانـزر الثانية إلى بويون ؛ وستعزز العناصر يـوم ٢٣ أيـار ـ مـايو ـ بـاتجاه كـاليه ؛ مـارة بمدينـة ماركيـز . كمـا تصـل الفـرقـة الاولى إلى خط أودرويـك ـ آردر ـ كاليـه ؛ ومن ثم تتجه عـلى الفور بـاتجاه الشـرق للمسير إلى ـ برغ ـ دونكرك ؛ مارة ببوربورغ ـ فيل ـ غرافلين . أمـا

فرقة البانزر العاشرة ؛ فتتقدم في الجنوب . ويتم التنفيذ بإرسال كلمة : المسير باتجاه الشرق ـ ابتداء المسير الساعة العاشرة » .

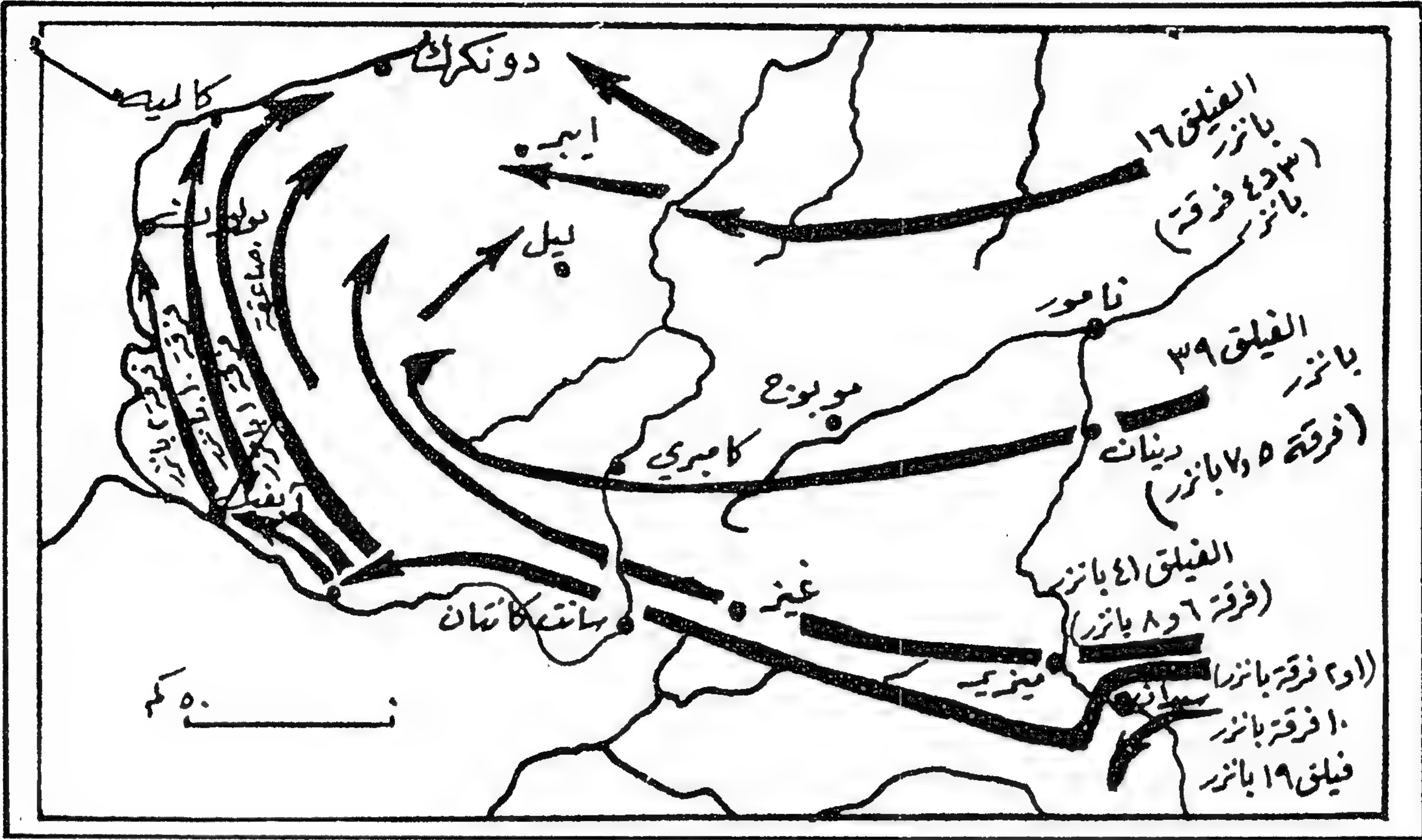
وفي صباح يوم ٢٣ أيار ـ مايو ـ أرسل غودريان برقيته اللاسلكية : « المسير في الساعة ١٠,٠٠ باتجاه الشرق ـ الاختراق : جنوب كاليه باتجاه سان بيير ـ بروك ـ غرافلين » .

اندفعت فرق غودريان للاستيلاء على ساحل المانش ؛ ودارت معارك طاحنة حول (بويون) انتهت بانتصار القوات الألمانية ؛ وبينما كانت قوات غودريان تستعد للانقضاض على (دونكرك) و (كاليه) ، وصلت برقية يوم ٢٤ أيار ـ مايو ـ بتوقيع هتلر ؛ وجاء فيها : « ستتولى القوى الجوية أمر دونكرك ؛ وإذا بدت أية صعوبة في الاستيلاء على مدينة كاليه فستتولى أمرها أيضاً القوات الجوية » .

وبوغت غودريان ؛ وبوغتت قواته ، وكان لا بد من تنفيذ الأمر . وقد قيل إن « هتلر أراد من إيقاف الدبابات أمام دونكرك إتاحة الفرصة أمام الإنكليز ، للتفاوض ، وإيجاد صيغة لتحقيق السلام مع بريطانيا » . وقيل أيضاً إن (فون رونشتد) قد أوقف الدبابات بمبادأته الخاصة ؛ وذلك نتيجة المقاومة البطولية لقوات الحلفاء في كاليه ـ وهذا غير صحيح ـ . وقيل أيضاً إن غورينغ هو الذي أقنع هتلر بتوفير جهد القوات البرية ، وترك المجال أمام عمل القوات الجوية لتدمير قوات الحلفاء ومنعها من الانسحاب .

ومهما كان السبب ؛ فقد نتج عن تدخل هتلر ؛ وإيقافه لمسيرة

العمليات ؛ توفير فرصة كافية لانسحاب معظم قوات الحلفاء من دونكرك إلى بريطانيا .

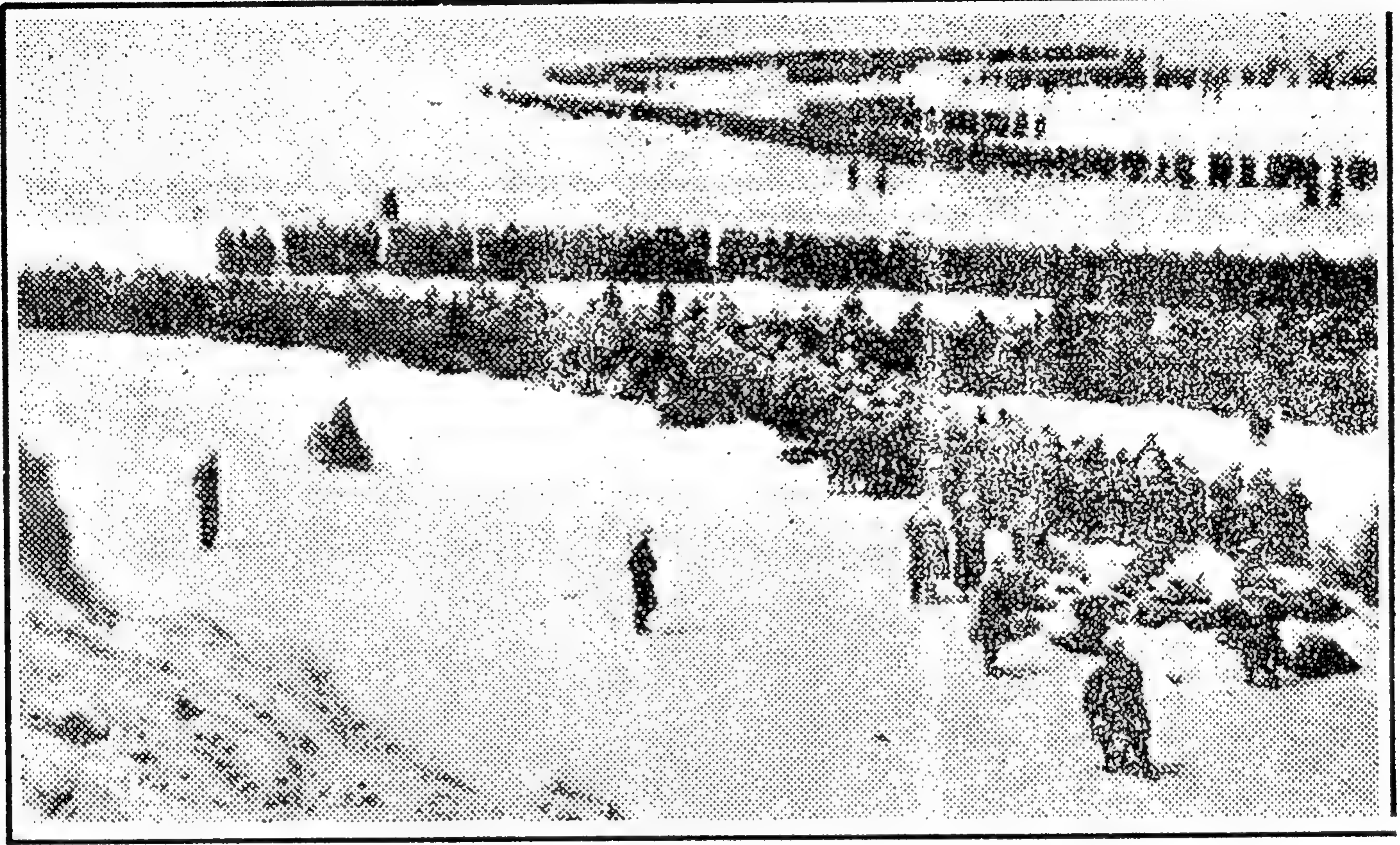


الهجوم على الغرب

توجه غودريان صباح يوم ٢٥ أيار - مايو - لمراقبة التزام الفرق بتنفيذ أمر التوقف ؛ ولاستطلاع أوضاعها على الطبيعة ؛ فوجد أن الفرقة الأولى للبانزر تقاتل للسيطرة على (هضبة واتن برغ) المرتفعة ٧٢ متراً ، والمهيمنة على وادي نهر آ - فيما كانت فرقة البانزر الثانية تنهي احتلال مدينة بويون ، وتعمل على تطهيرها من فلول قوات الحلفاء . أما فرقة البانزر العاشرة ، فكانت تخوض معركة ضارية للاستيلاء على مدينة (كاليه) .

وقد حاول قائد فرقة البانزر العاشرة توفير الجهد القتالي ، فأرسل إلى قائد الحامية البريطانية المدافعة عن كاليه يطلب اليه

الاستسلام . فأجاب قائد الحامية ـ البريغادير جنرال نيكولسن : « **الجواب لا ! وإن واجب الجيش البريطاني هو القتال قدر ما يستطيع ؛ مثله كمثل الجيش الألماني سواء بسواء** »(*) .



القوات البريطانية تتجمع للابحار من دنكرك

وقاتل البريطانيون بعناد وضراوة ؛ إلا أنهم اضطروا للاستسلام في الساعة ١٦,٤٥ من مساء يوم ٢٦ أيار ـ مايو ـ . ووقع في قبضة قوات غودريان في كاليه ٢٠ ألف أسير منهم ٤ آلاف انكليزي ؛ والباقين من الفرنسيين والبلجيكيين والهولانديين . وكان قسم من هؤلاء قد رفض المقاومة ، فسجنهم الإنكليز في الأقبية .

(*) « THE ANSWER IS NO , AS IT IS THE BRITISH ARMY'S DUTY TO FIGHT AS WELL AS IT IS THE GERMAN'S».

هكـذا غابت شمس يـوم آخر من أيـام الأمجاد العـظيمـة التي عاشها غودريان ؛ وجـاء الجنرال فـون كليست إلى كاليـه ؛ والتقى بغـودريـان ولم يكن قـد التقى بـه منـذ وقـع الخـلاف بينهـما يــوم ١٧ أيــار ـ ـ مايو ـ وقدم فـون كليست تهانيـه لغودريـان ؛ وأشـاد بأعماله ، وبجهود رجاله وبطولاتهم ، وكان ذلـك وسام فخـر حق لغودريان أن يفخر به . وقد شعر غودريان أنه مدين لقـواته بمـا تم إحرازه من نصر ؛ فهي التي قاتلت ؛ وهي التي جابهت معانـاة كره القتـال . فأرسـل تعميماً (يـوم ٢٦ أيــار ـ مـايو ـ)(*) شكــر فيـه قواته وهنأها بالنصر .

غـير أن الحرب لم تصـل إلى نهايتها بعـد ؛ لقد أمكن تـدمـير وتمـزيق الكتلة الرئيسـة من قوات الغـرب ، ولا زالت هناك قـوات أخرى يجب اخضاعها . ونظر غودريان بحزن وهو يرى عدم فاعلية القصـف الجـوي في منـع انسحـاب قـوات الحلفـاء من دونكـرك ؛ وتساءل : « ماذا لو تم أسر هذه القوات الضخمة ؛ بدلاً من إتاحـة الفرصة لها للهرب ؛ واستخـدامها للمسـاومة من أجـل تحقيق سلم مناسب مع بريطانيا ؟ » .

لكن الفرصة الذهبية كانت قد فـاتت عندمـا وصل غـودريان أمر ـ في ظهر يوم ٢٦ أيـار ـ مايو ـ منحه فيه هتلر حرية التقدم نحو (دونكرك) . وتقدم غودريان بقـواته واستـولى على سـاحل المـانش دون قتـال تقـريبـاً . وتم الاستيـلاء عـلى دونكـرك يـوم ٢٩ أيـار ـ مايو ـ .

(*) انظر قراءات ـ ١ ـ في نهاية الكتاب .

أصدر هتلر أمراً يوم ٢٨ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠ بتشكيل مجموعة بانزر بقيادة غودريان ضمت : الفيلق ٣٩ الذي تشكل من فرقتي البانزر الأولى والثانية وفرقة المشاة الآلية ـ الميكانيكية ـ ٢٩ ، وكذلك الفيلق ٤١ الذي تشكل من فرقتي البانزر السادسة والثامنة وفرقة المشاة الآلية ـ الميكانيكية ـ ٢٠ ، بالإضافة إلى بعض الوحدات الداعمة للفيلق . ووضعت مجموعة بانزر غودريان تحت قيادة قائد الجيش الثاني عشر الجنرال ليست .

حددت منطقة جنوبي غربي مدينة (شارل فيل) لإعادة تنظيم مجموعة غودريان وتجميعها . وكان على بعض الأرتال السير لمسافة مائة كيلومتر وبعضها أكثر من ٢٥٠ كم ؛ وكانت الوحدات بحاجة لبعض الراحة بعد ذلك الجهد الكبير الذي بذلته في عملياتها السابقة ؛ كما كانت الدبابات والآليات بحاجة لصيانة عامة وإجراء الإصلاحات الضرورية قبل الانطلاق للمهمة الجديدة وهي القضاء على بقية الجيش الفرنسي ـ أي ما يقارب سبعين فرقة ، منها فرقتين بريطانيتين ـ ثم عقد صلح لصالح ألمانيا .

انهى غودريان نشر قواته على نهر السوم وعلى نهري السير والآين . وكان على مجموعة جيوش فون رونشتد ـ والتي تتبع لها مجموعة غودريان ـ أن تبدأ هجومها يوم ٩ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠ ، مما أتاح لمجموعة غودريان فترة إضافية للراحة وإنهاء استعدادها .

وانطلق غودريان بفرقه ، وكان عليه أن يتنقل باستمرار بين فرقه المتقدمة ؛ وقد اصطدمت قواته بمقاومات ضارية نظمها الفرنسيون في المدن الصغيرة والغابات ، كما جابهت الهجمات

المضادة التي استطاعت صدها بنجاح (رغم ما كانت عليه الدبابات الفرنسية ب ـ أ ـ من التفوق ؛ حتى أن كثيراً من المدافع والمدافع المضادة للدبابات لم تكن لتؤثر فيها تأثيراً يخرجها من القتال) .

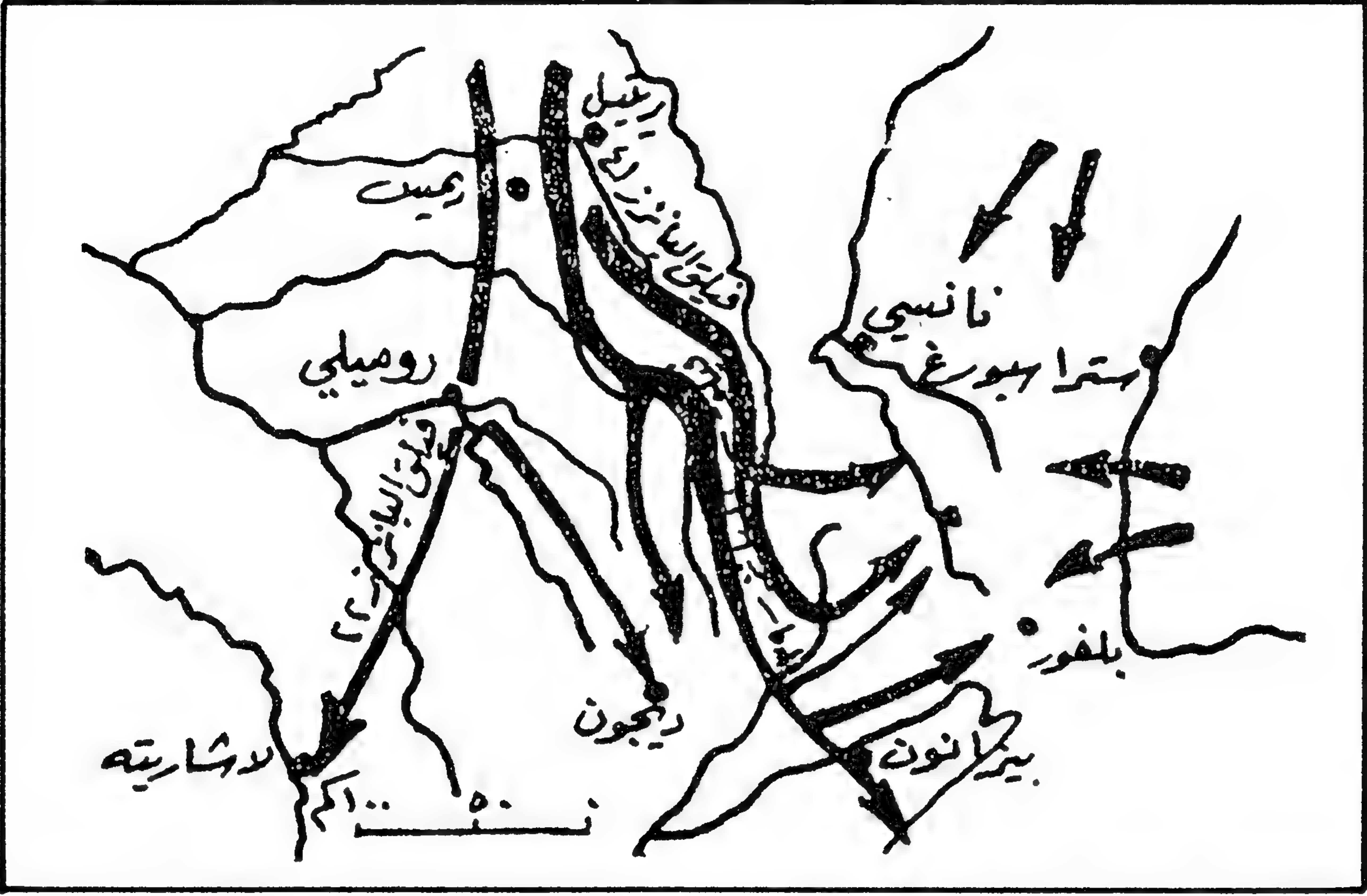
وكان على غودريان وهيئة أركان مجموعته متابعة التقدم باستمرار ؛ واختيار مكان جديد ليكون مقراً للقيادة في كل يوم . وبعد عشرة أيام من القتال والمسير السريع ؛ وصل غودريان ومجموعته إلى الحدود السويسرية. **وعندما علم هتلر بالأمر ؛ ظن أن هناك خطأ ؛ فأرسل إلى غودريان مستوضحاً : « يستند تقريرك على خطأ . هل تريد أن تذكر أنك وصلت إلى بونتالييه سور ـ سون » . وأجابه غودريان : « لا خطأ هناك . انني موجود شخصياً في بونتارلييه على الحدود السويسرية ـ وذلك يوم ١٧ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠ .**

وكانت الحكومة الفرنسية قد استقالت في اليوم السابق (١٦ حزيران ـ يونيو) . وتشكلت وزارة جديدة برئاسة الماريشال العجوز بيتان ، تقدمت إلى الألمان بطلب للهدنة .

وأصبحت مهمة القوات الألمانية هي إجراء الاتصال لتطويق القوات الفرنسية في مقاطعتي الألزاس واللورين . فمضى غودريان بمجموعته ، وتم تنفيذ المهمة بنجاح .

وانهارت مقاومة الفرنسيين انهياراً تاماً يوم ٢٠ حزيران ـ يونيو ـ ، وتزايد عدد الأسرى ، بحيث بلغ مجموع من أسرتهم مجموعة غودريان ـ منذ عبور نهر الأين وحتى اليوم الأخير من القتال ـ ما يقارب ٢٥٠ ألف أسير ، بالإضافة إلى كميات ضخمة

من الأعتدة القتالية المتنوعة . ووقعت الحكومة الفرنسية الهدنـة يوم ٢٢ حـزيـران ـ يـونيـو ـ ١٩٤٠ وانتهت بـذلـك عمليـات اجتيـاح الغرب .



اجتياح الغرب ١٩٤٠

ومـرة أخرى ؛ أدرك غـودريان أن مـا حققه من نصر ، يعـود وبالدرجة الاولى إلى الجهود التي بذلها القادة والضباط والجنود الذين نفذوا واجباتهم بتعاون مذهل ؛ وبحماسة لا وصف لها . فـأفاد من توقف القتال ليوجه لقواته كلمة شكر وتقدير ، وليـزف إليهم التهنئة بالنصر(*) .

أصـدرت القيـادة الألمـانيـة العليـا أمـرهـا بحـل مجمـوعـة

(*) انظر قراءات ـ ٢ ـ في نهاية الكتاب .

غـودريان ـ البـانزر ـ في بـداية شهـر تموز ـ يـوليـو ـ . ونقلت بعض فرقها إلى ألمانيا ، كما نقلت فرقاً أخرى إلى منطقة باريس .

وأقام غودريان مقر قيادته في بـاريس . وبدا الإعـداد لإجراء عرض كبير في باريس يحضره هتلر . ولكن هذا العرض قد ألغي .

وأفـاد غودريـان من وقت الفراغ المتـوافر لـه ، للتعـرف عـلى جبال جورا ـ المشرفة على بحيرة جنيف ـ **ولزيارة ابنه البكـر (هنز) في مدينة ليون والذي أصيب بجراح للمرة الثانية في حملة الغـرب ؛ فتم ترفيعه قبل الأوان لحسن بلائـه ولما أظهـره من الشجاعـة** . ثم زار غودريان عدداً من المدن الفرنسية الهامة (فـرساي وفونتينبلـو ؛ وسواهما) .

وعقد مؤتمر في الـرايخستاغ يـوم ١٧ تموز ـ يـوليو ـ استـدعي غودريان لحضـوره ، هو وسـائر القـادة . وأعلن هتلر أثناء المؤتمـر ترفيع غودريان إلى رتبة جنرال ـ قائد جيش ـ.

ولما لم يبق لغودريان عمل في باريس ، فقد رجع وهيئة أركـان مجموعته إلـى برلين ، للبدء بإعادة التنظيم الشامل للقوات .

لقـد أبـرزت عمليـات اجتيـاح الغـرب أهمية الـدبـابـات والمـركبـات المـدرعـة في تـطويـر حـرب الحـركـة ؛ ولهـذا لم يكن غريباً أن يتخـذ هتلر قراره بـزيادة عـدد الفرق المـدرعة وفـرق المشاة الآلية ـ الميكانيكية ـ زيادة كبيرة . فتمت مضاعفة عدد الفرق المـدرعة بسـرعة كبـرى ؛ لكنه تم تخفيض عـدد الـدبـابـات ضمن تشكيـل هـذه الفرق إلى النصف . فضم الجيش الألمـاني عـدداً من

الفرق يساوي ضعفي العدد السابق لكنه لم يملك قوة مدرعة تقدر بالضعفين ؛ وهذا هو الشيء الهام .

ولقد طلب هتلر مضاعفة فرق المشاة الآلية ـ الميكانيكية ـ لتتطور في خط مواز لخط تطور تشكيلات الدبابات ، مما كان يتطلب زيادة انتاج المحركات زيادة لم تتمكن المصانع من بلوغها إلا بعد أن أخذت حاجتها من الاحتياط ومعه الغنائم التي تم الاستيلاء عليها من أقطار أوروبا الغربية . وكان هذا العتاد الغربي أقل جودة من العتاد الألماني . ولهذا لم تتمكن القوات الألمانية من استخدامه بفاعلية على مسارح عمليات أفريقيا وروسيا .

بالإضافة إلى ذلك ؛ وعلى ضوء تجربة حملة القوات الألمانية على الغرب ؛ طلب هتلر زيادة انتاج الدبابات من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ دبابة شهرياً ، وتركيب مدفع ٥٠ ملم (المدفع ل ـ ٦٠) على الدبابات (٣) بدلاً من المدفع ٣٧، غير أن المخصصات المالية والنقص في اليد العاملة الاختصاصية ؛ قد أعاق تنفيذ طلبات هتلر .

كُلِّف غودريان بعد عودته من الغرب بالإشراف على التدريب ؛ وتشكيل بعض الفرق المدرعة وفرق المشاة الآلية . وشغلت هذه المهمة وقت غودريان بكامله ، فبقي اتصاله محدوداً بقيادة الجيش وبهيئة الأركان العامة ، فلم يكن له رأي في تشكيل الوحدات المدرعةِ ؛ أو في قضية متابعة الحرب .

الفَصْلُ الثَّانِي

على جبهة الشرق

٥ ـ الموقف العام .

٦ ـ مينسك وسمولنسك .

٧ ـ التحول من موسكو إلى كييف .

٨ ـ معركة كييف .

٩ ـ العمل على اتجاه موسكو .

٥ ـ الموقف العام

كان الاتحاد السوفييتي قد وقع مع ألمانيا معاهدة عدم اعتداء في ٢٣ آب ـ أغسطس ـ ١٩٣٩ ، مما مكن ألمانيا من اجتياح بولونيا ، وحصول الاتحاد السوفييتي على القسم الشرقي منها . ثم عقد الاتحاد السوفييتي معاهدة صداقة ومعاهدة تجارية أخرى مع ألمانيا في ٢٩ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٣٩ أفاد منها الاتحاد السوفييتي للإستيلاء على دول البلطيق المتاخمة لحدوده ، ثم للهجوم على (فنلندا) في ٣٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٣٩ [١] . وبينما كانت القوات الألمانية مشغولة في الغرب قام الاتحاد السوفييتي بارغام رومانيا على التخلي عن إقليم بسرابيا لصالحه ؛ مما اضطر هتلر حيال ذلك إلى ضمان استقلال رومانيا بتاريخ ٣٠ آب ـ أغسطس ١٩٤٠ .

---

(١) فنلندا : (FINLAND) وباللغة الفنلندية : (SUOMI) جمهورية في شمالي شرقي أوروبا ؛ عاصمتها هلسنكي (HELSINKI) تقع على بحر البلطيق؛ ومساحتها ٣٣٧ ألف كيلومتر مربع . كانت تابعة للسويد حتى مطلع القرن التاسع عشر ، ثم ضمتها روسيا إليها بعد انتصارها على السويد في حرب سنة ١٨٠٩ . وقد أعلن استقلالها سنة ١٩١٧ . واجتاحتها القوات السوفييتية في آذار ـ مارس ـ سنة ١٩٤٠ بعد مقاومة بطولية ومعارك ضارية تكبدت فيها القوات السوفييتية خسائر فادحة ـ وقد حررها الألمان ؛ فأعلنت فنلندا الحرب على روسيا سنة ١٩٤١ . ثم وقعت الهدنة سنة ١٩٤٤ مع الحلفاء . وحصل الإتحاد السوفييتي من فنلندا على إقليمي (سالا) و (كاريلي) بموجب معاهدة باريس ١٩٤٧ .

انشغل هتلر في شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٠ بمحادثاته مع الفرنسيين والاسبانيين (الجنرال فرانكو) بشأن متابعة الحرب . والتقى في نهاية هذه المحادثات مع صديقه (موسوليني) في (فلورنسا) . وقد دهش هتلر عندما علم وهو في طريقه لهذا اللقاء ـ في محطة قطار بولونيا ـ أن حليفه موسوليني قد شن حرباً على اليونان دون علمه ودون موافقته . وهكذا تفجرت القضية البلقانية ؛ واتسع الصراع ؛ وامتد إلى اتجاه لا يلائم ألمانيا .

كان من أول نتائج مبادأة موسوليني ـ حاكم إيطاليا ـ بحسب ما قاله هتلر لغودريان، قيام فرانكو بالانسحاب ورفضه للتعاون مع المحور ؛ إذ أنه في الظاهر لم يقبل التورط في سياسة واحدة مع حلفاء غير متفاهمين كل التفاهم . وأما النتيجة الثانية فهي تصعيد التوتر في العلاقات بين ألمانيا والإتحاد السوفييتي ؛ نتيجة وقوع مجموعة من الحوادث التي أدت إليها سياسة ألمانيا حيال رومانيا وحوض الدانوب . وقد حاول هتلر التخفيف من حدة التوتر ؛ فوجه دعوة إلى مولوتوف لزيارة برلين . وجاء مولوتوف إلى برلين ؛ وقد حمل معه الطلبات التالية :

١ ـ إدخال فنلندا في فلك الاتحاد السوفييتي .

٢ ـ الإتفاق على حدود بولونيا القادمة .

٣ ـ الاعتراف بالمصالح السوفييتية في رومانيا وبلغاريا .

وعندما عاد مولوتوف إلى موسكو ؛ أرسل هذه الطلبات كتابياً (بمذكرة رسمية) .

وغضب هتلر عندما اطلع على المطالب السوفييتية ؛ غير أنه لم يظهر نواياه بوضوح عندما درس المقترحات الشفهية في برلين ؛

وكذلك فعل أيضاً عندما وصلته اقتراحات ـ أو طلبات ـ مولوتوف الكتابية ؛ ولم يرد عليها ؛ غير أنه بات مقتنعاً أن الحرب مع الاتحاد السوفييتي هي حرب ستقع حتماً ؛ وأنه لا يمكن تجنبها .

لقد اعترف هتلر لغودريان أن استياءه من السياسة الإيطالية في شهر تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٤٠ كان أكبر من استيائه من المطالبِ الروسية . فقد وقع الهجوم الإيطالي على اليونان بدون استعداد مسبق ؛ وكان هجوماً عقيماً لا فائدة منه ولا جدوى ؛ ولم يلبث أن توقف في ٣٠ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ . وانتقلت المبادأة إلى قبضة اليونانيين اعتباراً من يوم ٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ .

وبدهي أن تؤدي السياسة السيئة إلى كوارث عسكرية ؛ وهذا شأنها دائماً ؛ وقد تأكدت هذه الحقيقة مرة جديدة في التاريخ من خلال تجربة الهجوم الإيطالي على اليونان . وكان لا بد من البحث عن ضحية للفشل ؛ فوجه موسوليني غضبه إلى الضباط القادة ؛ وخاصة (بادوليو) الذي نبّه موسوليني إلى ما تؤدي إليه المغامرات غير المحسوبة من كوارث مؤكدة ، ولكن بدون جدوى .

ومني الإيطاليون بهزيمة بشعة في منتصف شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ . وأصبح (بادوليو) [1] في نظر موسوليني خائناً وعدواً للحكم . فقدم استقالته يوم ٢٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وخلفه كافاليرو في الحكم يوم ٦ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٠ .

---

(١) بادوليو : (BADOGLIO) واسمه بيترو PIETRO، ماريشال إيطالي ؛ ولد سنة ١٨٧١ ؛ وأصبح حاكماً لليبيا سنة ١٩٢٨ ثم نائباً لملك الحبشة ـ اثيوبيا ـ سنة ١٩٣٨ ، ثم رئيساً للوزراء بعد سقوط موسوليني سنة ١٩٤٣ ـ وهو الذي وقع وثيقة استسلام إيطاليا للحلفاء .

ولكن هـذا التغيـير لم يـوقف من سيل الكـوارث المتتـاليـة ، فنزلت بالقوات الإيطالية هزيمة نكراء في (سيدي براني) في ليبيا يوم ١٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ، ثم تبعتها هزائم متتالية خلال معـارك الشتـاء في (البرديـة) و (درنة) و (طبـرق) ، مما دعى المـاريشال غرازياني للاستنجاد بـالطيـران الألماني ؛ فيـما فكر مـوسوليني بـطلب فرقتين مـدرعتين ألمـانيتين . ووجـدت ألمانيـا أن من مصلحتها دعم الموقف الإيطالي . فأرسلت (رومل) عـلى رأس الفيلق الافريقي ؛ واستطاع (رومل) السيطرة على الموقف ؛ ووضع الأمور في نصابهـا الصحيح .

لم تمض فترة طويلة على زيارة مولوتوف لبرلـين ـ وهي الزيـارة التي سبقت الإشارة إليها ـ حتى دعت هيئـة الأركان العـامة الألمـانية الضباط العاملين في هيئات أركان الجيـوش والفيالق لمؤتمـر ـ حضره عن هيئة أركان غودريان رئيس فرع العمليات المقـدم فون ليبنشتـين والضابط الأول في العمليات الـرائد بـايرلـين ـ . ولدى عـودتهما من المؤتمـر حملا معهـما التعليمات الأولى (لخـطة بـربـروسـا) المتضمنـة عمليات الهجوم على الاتحاد السوفييتي .

ولم يصدق غودريان ما سمعه : فلقد كـان هتلر ينتقد بشكـل عنيف القادة السياسيين الألمان في سنة ١٩١٤ لأنهم لم يتجنبوا اندلاع الحرب على جبهتين . وها هو ذاته ؛ سيتخذ القرار بشن الحرب على الاتحاد السوفييتي وهو لا زال في حرب مع انكلترا .

لقد ظهر لغـودريان أن الانتصـارات السريعـة والحاسمـة على جبهة الغرب ؛ قد أفسدت تفكـير هتلر وتفكير القيـادة العليا ، فتم شطب كلمة (المحال) من قامـوسهم . ولم يميزوا بـين الموقف عـلى

جبهة الغرب ؛ والموقف على جبهة الشرق ؛ رغم التجارب المتتالية (منذ أيام شارل الثاني عشر ونابليون بونابرت) . ولما لم يكن باستطاعة غودريان إلا الالتزام بتوجيهات القيادة ؛ رغم عدم اقتناعه بها ؛ فقد مضى لبذل كل جهده لتنظيم الفرق الموضوعة تحت تصرفه ؛ وتجهيزها ؛ استعداداً للمهمة الشاقة والخطيرة . وكان يردد على مسامع وحداته بأن الحملة المقبلة ستكون أصعب بكثير ، وأشد قسوة ؛ من حملة بولونيا والحملة على الغرب . ولم يكن غودريان قادراً على أن يقول أكثر من ذلك لقواته ؛ إلا أنه حاول جهده بألا يذهب رجاله إلى الشرق وهم يستخفون بالمهمة التي تحمل في طياتها صعوبات جمة ، أو يستهينون بها .

ارتفع انتاج الدبابات الألمانية إلى ما يزيد على ألف دبابة من جميع الأنواع - سنوياً - . وكان ذلك قليلاً بالنسبة للانتاج الصناعي السوفييتي ، فقد كان من المعروف لألمانيا أن الانتاج اليومي لمصنع واحد للدبابات السوفييتية قد بلغ - منذ سنة ١٩٣٣ - معدل ٢٢ دبابة من نوع (كريستي روسكيج) .

وكانت القيادة الألمانية تعتمد عند تخطيطها للحملة على روسيا ، على التفوق الفني للدبابات الألمانية على النماذج السوفييتية المعروفة . غير أن هناك حادثة حملت (غودريان) على زيادة مخاوفه من الحملة على روسيا ؛ وقد تلخصت هذه الحادثة بما يلي : « سمح هتلر للجنة من الضباط السوفييت بزيارة مصانع الدبابات الألمانية ؛ والمدارس الألمانية وذلك في ربيع سنة ١٩٤١ . وأصدر تعليماته بأن يشاهدوا كل شيء . وعندما رأوا الدبابة من نموذج ٤ ، لم يصدقوا أن هذه الدبابة هي الدبابة الثقيلة في ألمانيا . وقالوا : **إنكم تخفون**

عنا النماذج الأخيرة على الرغم من أن هتلر قد وعد بأن نشاهد كل ما تنتجون . وقد بلغ إلحاح اللجنة من الشدة مبلغاً حمل الكثيرين من الضباط وأصحاب المصانع ـ وفي مقدمتهم غودريان ـ على القول : **يظهر أن الروس يملكون منذ الآن نماذج أثقل من نماذجنا وأفضل منها** » . وقد صح هذا التوقع ، فقد وضعت الدبابة (ت ـ ٣٤) في الخطوط الأولى على الجبهة منذ نهاية شهر تموز ـ يوليو ـ ١٩٤١ وكانت أول انتاج أخرجته المصانع الروسية .

اشتركت بلغاريا في توقيع المعاهدة الثلاثية مع ألمانيا في اليوم الأول من آذار ـ مارس ـ ١٩٤١ وتبعتها يوغوسلافيا يوم ٢٥ آذار ـ مارس . غير أن انقلاباً وقع في بلغراد يوم ٢٧ آذار ـ مارس ـ فأفسد مخطط المعاهدة . وقامت روسيا بعقد معاهدة صداقة مع يوغوسلافيا يوم ٥ نيسان ـ أبريل ـ ، فانطلقت القوات الألمانية في حملة البلقان يوم ٦ نيسان ـ أبريل ـ .

وكان موسوليني هو الرجل الوحيد في العالم الذي ابتهج باتساع رقعة الحرب ؛ لأن حرب البلقان واليونان هي حربه ؛ ولقد شنها على الرغم من إرادة هتلر . ولقد برهنت معاهدة الصداقة الروسية ـ اليوغوسلافية بوضوح تام ؛ أن الخلاف بين ألمانيا والاتحاد السوفييتي لا بد له وأن يتحول إلى صراع مسلح .

لقد تطورت الأحداث في البداية لمصلحة ألمانيا على كل حال ؛ فقد استولت الوحدات المدرعة الألمانية على بلغراد يوم ١٣ نيسان ـ أبريل ـ . واستسلم الجيش اليوغوسلافي يوم ١٧ نيسان ـ أبريل ـ . وتبعه الجيش اليوناني يوم ٢٣ نيسان ـ ابريل ـ على الرغم من النجدات البريطانية . واستولى المظليون الألمان على

جزيرة كريت في نهاية شهر أيار - مايو - ولو أن ثمن هذه العملية كان باهظاً جداً ، واقتسمت ألمانيا وإيطاليا والمجر وبلغاريا وألبانيا الأقاليم اليوغوسلافية . وتشكلت دولة (كرواتيا)[1] الجديدة والمستقلة ؛ وكان يجب أن يتولى الحكم فيها الأمير الإيطالي (سبوليت) . لكن هذا الأمير لم يستقر على عرش كرواتيا القلق والمهتز ، فأعيد دمج إقليم كرواتيا بإقليم (مونتينيغرو) بناء على رغبة سيد إيطاليا - موسوليني - وأصبح دولة مستقلة . .وبما أن حدود كرواتيا الجديدة لم تنطبق على حدودها الطبيعية ، فقد بدأ النزاع مع إيطاليا منذ البداية ، فبقيت (كرواتيا) هي البؤرة المتفجرة في أوروبا الوسطى .

استطاع البريطانيون من جهة أخرى احتلال الحبشة وسوريا في شهري أيار وحزيران (مايو ويونيو) سنة ١٩٤١ . وفشلت ثورة رشيد عالي الكيلاني والتي كان الألمان يأملون بانتصارها لاضعاف نفوذ البريطانيين في العراق - وفي العالم العربي عامة - .

عملت القيادة الألمانية على إعادة تنظيم قواتها البرية تنظيماً

---

(١) كرواتيا : (CROATIE) إحدى جمهوريات يوغوسلافيا الاتحادية ؛ عاصمتها زغرب (ZAGREB) ومساحتها ٦٢ ألف كيلومتر مربع . وسكانها من السلافيين - وكان معظمهم من المسلمين . . وكانت كرواتيا قسماً من هنغاريا القديمة . وانضمت سنة ١٩١٨ إلى صربيا (SERBIE) وسلوفيني (SLOVENIE) . فشكلت المملكة الصربية الكرواتية السلوفينية ؛ حملت بعدئذ اسم (يوغوسلافيا) . واحتلها الألمان سنة ١٩٤١ ، فأعادوا تنظيمها ؛ وقسموها . وأعيد إقليم كرواتيا بعد الحرب العالمية الثانية ليشكل إحدى جمهوريات يوغوسلافيا الاتحادية .

شاملاً ؛ استعداداً للحملة على الاتحاد السوفييتي . فشكلت ثلاثة مجموعات للجيوش :

١ - مجموعة جيوش الجنوب بقيادة الماريشال فون رونشتد ، وانتشرت جنوبي مستنقعات بريبيت ؛ ودعمت بمجموعة بانزر .

٢ - مجموعة جيوش الوسط بقيادة الماريشال فون بوك ؛ وانتشرت بين مستنقعات بريبيت وبين جيب سوفالكي ودعمت بمجموعتي بانزر - إحداها مجموعة غودريان - .

٣ - مجموعة جيوش الشمال بقيادة المارشال فون ليب ؛ وانتشرت في بروسيا الشرقية ، ودعمت بمجموعة بانزر واحدة .

تشكلت مجموعة غودريان من ثلاث فيالق (وأطلق عليها اسم مجموعة البانزر الثانية)وقد ضمت هذه المجموعة :

« ١ - الفيلق ٢٤ وضم فرقة البانزر الثالثة وفرقة البانزر الرابعة وفرقة المشاة الآلية - الميكانيكية - العاشرة ؛ وفرقة الفرسان الأولى .

٢ - الفيلق المدرع ٤٦ وضم فرقة البانزر العاشرة ؛ وفرقة المشاة الآلية داس رايخ واللواء هوسار ولواء المشاة غروس دوتشلاند .

٣ - الفيلق المدرع ٤٧ وضم فرقة البانزر السابعة عشرة ، وفرقة البانزر الثامنة عشرة وفرقة المشاة الآلية التاسعة والعشرين » .

ووضعت تحت قيادة غودريان أيضاً مجموعة طيران مقاتل ولواء مدفعية مضاد للطائرات - هيرمان غورنغ - ووحدات دعم أخرى .

كان نهر (بوغ) هو خط الحدود الطبيعي بين حكومة بولونيا التابعة للادارة الألمانية ؛ وبين الأراضي التابعة للادارة السوفييتية .

وقد تلقت مجموعة غودريان مهمتها كالتالي :

« اجتياز نهر بوغ يوم الهجوم (ي) من جانبي حصن برست ـ ليتوفسك ؛ واختراق الجبهة الروسية ، ثم استثمار النصر للوصول إلى منطقة روسلافل ـ يلينا ـ سمولنسك . ومنع العدو من إعادة تنظيم قواته وتشكيل جبهة جديدة . وخلق الظروف المناسبة لتحقيق النجاح الحاسم في الحملة منذ العام ١٩٤١ ، وستصل مجموعة البانزر تعليمات جديدة بعد بلوغها هدفها الأول » .

قام (غودريان) بالاستناد لهذه المهمة ، بتقسيم قواته على قطاعات الهجوم ؛ وشكل منها ثلاثة مجموعات (الجناح الأيمن ؛ والوسط ؛ والجناح الأيسر) مع الاحتفاظ بقوة احتياطية من البانزر ، وحدد للمجموعات واجباتها وأهدافها .

جمع هتلر ـ في برلين ـ الجنرالات قادة مجموعة الجيوش وقادة الجيوش وقادة مجموعات البانزر ـ يوم ١٤ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤١ ، وشرح لهم الأسباب الكامنة وراء نية الهجوم على الاتحاد السوفييتي ، وتلقى منهم التقارير النهائية عن الاستعدادات .

جرى بعد ظهر اليوم ذاته مؤتمر عسكري لمناقشة تحضيرات الهجوم ، وسئل غودريان عن عدد الأيام التي يحتاجها للوصول إلى مينسك ؛ فأجاب (٥ ـ ٦) أيام .

وفي اليوم التالي (١٥ حزيران ـ يونيو) استقل غودريان الطائرة ، وانتقل من برلين إلى فارصوفيا ؛ حيث تمركزت هيئة أركانه ؛ فاتخذ الإجراءات الضرورية ، وأمضى أيامه التالية في

تفتيش القوات ، واستطلاع مناطق انطلاقها للهجوم ؛ وزيارة التشكيلات المجاورة لتنظيم التعاون معها ، مع الاستمرار بجمع المعلومات عن القوات السوفييتية المنتشرة في الجبهة وفي عمق مسرح العمليات .

كان لدى ألمانيا قبل عشية الهجوم على الاتحاد السوفييتي ٢٠٥ فرق ، خصص منها ١٤٥ فرقة للهجوم على الاتحاد السوفييتي ؛ ووزعت البقية على النحو التالي : (٣٨ فرقة في الغرب و١٢ فرقة في النرويج وفرقة واحدة في الدانمارك و٧ فرق في البلقان وفرقتان في ليبيا) . وتساءل غودريان : أليس من الأفضل زج كل الفرق المتوافرة ؛ وسحبها من مسارح العمليات المختلفة ؛ للعمل على جبهة الشرق ؛ من أجل حسم الصراع على نحو ما هو مطلوب (بسرعة وقبل قدوم فصل الشتاء) ؟

لقد كان ترك هذه الفرق بعيداً عن مسرح العمليات الرئيسي هو نتيجة التقويم الخاطىء للقيادة الألمانية العليا عن القدرة الصناعية للاتحاد السوفييتي ؛ وعن قوة النظام وتماسكه ، ولم يكن باستطاعة غودريان أن يفعل شيئاً ، إلا أن ينتظر ما سينجلي عن الصراع المسلح .

٦ ـ مينسك وسمولنسك

أقبل أخيراً يوم ٢٢ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤١ ؛ وهو اليوم الذي ميزه القدر عن سواه من الأيام بأن جعله موعداً لبداية أضخم تحول في أحداث القرن العشرين . ففي هذا اليوم انطلقت فيالق ألمانيا للهجوم على الاتحاد السوفييتي .

وكان غودريان على موعد مع قدره لتحقيق انتصارات جديدة وحاسمة ، ففي الساعة ١٢,١٠ من فجر يوم ٢٢ حزيران - يونيو - انتقل غودريان إلى مقر قيادته التكتيكي ؛ ووقف في برج المراقبة الواقع على بعد ١٥ كم إلى الشمال الغربي من برست - ليتوفسك . وفي الساعة ٣,١٥ ؛ تمزق صمت الليل ؛ واضاءت السماء بوهج الإنفجارات والنيران ؛ لقد فتحت أبواب جهنم ؛ وانطلقت المدفعية للعمل بأقصى قدرتها واستطاعتها ، ثم تبعتها أسراب الطائرات القاذفة للقنابل في الساعة ٣,٤٠ . وتحركت دبابات البانزر للانطلاق من قواعد الهجوم في الساعة ٤,١٥ ؛ ولما يكد ضياء الفجر يطل من الأفق ، وتم عبور نهر (بوغ) بقفزة واحدة . وغادر غودريان برج المراقبة في الساعة ٦,٥٠ ؛ ليتحرك على رأس قواته ؛ ومعه جهاز قيادته المشكل من عربتين مدرعتين مجهزتين باللاسلكي وبعض العربات التي تسير على جميع الطرق (مجنزرات أو ذات سلاسل) وبعض راكبي الدراجات .

لقد بوغتت القوات السوفييتية مباغتة كاملة ؛ وهيمن عليها الذهول ، غير أنها سرعان ما استعادت قدرتها على المقاومة ؛ وتصدت لقوات الغزو الألماني ودارت اشتباكات قصيرة وعنيفة لم تتمكن من تعطيل أو تأخير تقدم قوات الغزو .

وفي المساء ؛ كانت قوات غودريان تخوض معاركها حول مدن (مالوريتا ؛ وكوبرين ؛ وبرست - ليتوفسك وبروزانا) .

وأمضى غودريان أيامه التالية متنقلاً بين فرقه المتقدمة ؛ متابعاً للاشتباكات التي كانت تحدث بين فترة وأخرى ؛ ولم تعد أسماء المدن بالنسبة له مجرد أسماء غامضة ؛ وإنما أصبحت معالم

واضحة على طريق التقدم السريع نحو الهدف ؛ ولقد ارتبطت أسماء هذه المدن بمعاركها الضارية ، من أمثال كارتوسكا وسولزلك وكارتوسكا وسلونيم وفيلنو وكوفنو وجزر آلند وبارانوفيتسي وستولبي وليسنا وسلوتسك ؛ وأسماء كثيرة غيرها ؛ إنها قد لا تعني شيئاً بالنسبة لأي قارىء ؛ بل إنها قد تربك تفكيره لو حاول حفظها ، وقد تربك لسانه لو حاول لفظها ، غير أنها بالنسبة لغودريان وفيالقه المدرعة ؛ هي الوجود ؛ في مرحلة معينة وفي ظروف معينة من هذا الوجود .

غير أن أهم هذه الأسماء هو اسم (مينسك)[1] المدينة التي توقع غودريان أن تصلها قواته يوم ٢٧ حزيران ـ يونيو ـ أي بعد ٥ أو ٦ أيام من بداية الهجوم . وها هي فرقة البانزر ١٧ وقد وصلت إلى التخوم الجنوبية من مدينة (مينسك) يوم ٢٧ حزيران ـ يونيو ـ وقامت بالاتصال مع مجموعة البانزر الثالثة التي دخلت المدينة في اليوم السابق ؛ بعد أن حوّلت الحرب هذه المدينة إلى أنقاض .

لقد حققت مجموعة غودريان أول نصر كبير لها باستيلائها على مينسك ؛ وحاولت أعداد كبيرة من الجنود السوفييت الهرب باتجاه الشرق ؛ غير أن طوق الحصار الذي أحكمته دبابات البانزر منعت كل محاولة لهروب قوات كبيرة ؛ وأمكن أسر أعداد كبيرة من المقاتلين ، ولم يتمكن من الإفلات من طوق الحصار سوى أعداد قليلة . ورأى غودريان أن يترك قوات قليلة ـ ومن المشاة ـ ليندفع بالكتلة الرئيسة من دبابات البانزر لتحقيق هدفه الاستراتيجي

---

(١) مينسك : (MINSK) مدينة من مدن الاتحاد السوفييتي ، وهي عاصمة روسيا البيضاء ـ بيلاروسا ـ تقع على نهر سفيسلوتش (SVISLOTCH) .

بـأسرع مـا يمكن ؛ وهـو الـوصـول إلى خط سمـولنسـك ـ ييلنـا ـ روسلافل .

تتابعت المعارك في يوم ٢٩ حزيران ـ يونيو ـ . وكانت عنيفة ؛ ضارية ؛ في قـطاع زلفينكا . وكـان على (غـودريان) أن يتنقل في اليـوم ٣٠ حزيـران ـ يونيـو ـ بالـطائرة لتنـظيم التعاون مـع القوات المجـاورة ؛ وفيها بـين قوات مجمـوعة غـودريان ذاتهـا (بين الفيـالق والفرق) ، فيها كانت القوات تتابع تقدمها .

ولم يكن لغودريان ما يخشاه بشـأن الامداد بـالوقـود والذخـائر وإخلاء الجرحى وتأمين الخدمات الهندسية ، فقد كانت الأمـور تسير بدقة متناهية ؛ ووفقاً لما هو مخطط لها . **وقد أصدرت القيادة العـامة للجيش أمرها في هذا اليوم ذاته (٣٠ حزيران ـ يونيـو ـ) للوصول إلى نهر (الدنيبر) . وأن تقوم قوات قتالية قوية بتأمين المعـابر عـلى نهر الـدنيبر في مـدن (روكاتشييف ومـوهيليف وأورشـا وفيتبسـك وبولتسك) .**

وجـاءت تقاريـر الاستطلاع لتؤكـد ضرورة التحـرك بسـرعـة للوصـول إلى هذه المـدن ، والاستيلاء عـلى المعابـر والجسور فيهـا ، ذلـك لأن القيادة السـوفييتية كـانت تحشد قـوات ضخمة في منـطقة سمولنسك ـ أورشا ـ موهيليف . هذا فيما كان القتال العنيف الـذي بـدأ منذ يـوم ٢٦ حزيـران ـ يونيو ـ مستمراً في جيب بيـاليستـوك بعنف وضراوة ؛ مما اضطر غودريان لزج عـدد من فرقـه المدرعـة في الصـراع ؛ إلـى أن تـم تحـطيم المقـاومـة في جيب بيـاليستـوك يـوم ٣ تمـوز ـ يـوليـو ـ حيث تم أسر ٣٦ ألفـاً من مقـاتـلي القـوات

السوفييتية ، وصار باستطاعة فيالق غودريان متابعة تقدمها نحو (الدنيبر) .

لقد كان لزاماً على غودريان اتخاذ قراره يوم ٧ تموز ـ يوليو ـ بمتابعة تقدمه السريع ، واجتياز نهر الدنيبر عنوة بقواته المدرعة وحدها . فقد كان وصول المشاة حتى المواقع التي وصلتها القوات المدرعة يتطلب أربعة عشر يوماً ؛ وهي مدة كافية حتى تتمكن القيادة السوفييتية من دعم تجمعاتها القوية في (غومل) وفي (سنو) شمال أورشا . ووضع خطته للهجوم ؛ وحدد يوم ١٠ تموز ـ يوليو ـ موعداً لتنفيذها . وقام بإيضاح خطته لقادة فيالقه وقادة فرقه ، ثم حدد الواجبات لكل تشكيل مقاتل ؛ ونظم التعاون بين التشكيلات المختلفة ؛ وكان عليه في الوقت ذاته ؛ مجابهة الهجمات المضادة القوية التي كانت تقوم بها القوات السوفييتية .

وأمكن عبور نهر الدنيبر يوم ١٠ تموز ـ يوليو ـ بنجاح كبير وبخسائر محدودة . وانطلق (الفيلق المدرع ٤٧) نحو هدفه الرئيسي وهو مدينة سمولنسك . وكان عليه أيضاً تغطية جناحه الأيسر المواجه لنهر الدنيبر .

غادر غودريان مقر قيادته يوم ١١ تموز ـ يوليو ـ وهو المقر الذي استخدمه نابليون بونابرت مقراً لقيادته في (تولوتسينو) سنة ١٨١٢ وعبر نهر الدنيبر في الساعة١٦,١٠؛ ومضى لتفقد القوات ؛ ومتابعة المعارك الضارية التي كانت تخوضها الفرق المتقدمة ، وعلى سبيل المثال فقد تمكنت فرقة البانزر ١٧ ؛ أن تحبط الهجمات المضادة السوفييتية وأن تدمر ٥٠٢ دبابة . وكان على غودريان أن يدفع باستمرار قوات المشاة لتلحق بقوات البانزر ؛ وأن

يستثمر كل نجاح تحققه بعض الفيالق ليدفع بالمزيد من القوات نحو المحاور التي أمكن اختراقها بنجاح . **وهكذا حتى يوم ١٦ تموز - يوليو - حيث تمكنت فرقة المشاة الآلية - الميكانيكية - ٢٩ من الاستيلاء على سمولنسك وبذلك حققت مجموعة غودريان هدفها الاستراتيجي الأول . وترددت أصداء سقوط (سمولنسك)[١] قوية في أرجاء العالم . وأسرعت القيادة الألمانية العليا لمكافأة قائد النصر ؛ فمنحت غودريان وسام الفارس ؛ فكان الخامس الذي ينال هذا الوسام في الجيش البري ؛ والرابع والعشرين من القوات الألمانية .**

ولم تلبث قوات غودريان المتقدمة حتى استولت على ييلنا في الأيام التالية ؛ وكان على غودريان وقواته مواجهة ردود الفعل الغاضبة للقيادة السوفييتية وقواتها ؛ إذ بدأت القوات السوفييتية في التدفق من الجنوب نحو ييلنا وسمولنسك ؛ حيث دارت معارك ضارية ؛ مما أرغم غودريان على إيقاف قواته ، وتوجيه الجهد كله نحو القوات السوفييتية لإحباط مقاوماتها . ولقد استمر الصراع المرير طوال ما بقي من شهر تموز - يوليو - (وعلى سبيل المثال فقد شنت القوات السوفييتية يوم ٣٠ تموز - يوليو - ١٣ هجوماً مضاداً في قطاع ييلنا فقط) .

وخشي غودريان أن تتكرر تجربة الحرب العالمية الأولى ؛ وأن يهيمن الجمود على الجبهة فتتحول حرب الحركة إلى حرب خنادق

---

(١) سمولنسك : (SMOLENSK) مدينة روسية في الاتحاد السوفييتي تقع على نهر الدنيبر DNIEPER . وهي مركز اقتصادي وصناعي هام ؛ انتصر فيها الفرنسيون على الروس سنة ١٨١٢ .

ومواقع . ولهذا فقد اتخذ قراره بالهجوم على (روسلافل) وبذلك تتاح لقواته فرصة التوغل إلى عمق الجبهة والسيطرة على طرق المواصلات المؤدية إلى الشرق وإلى الجنوب وإلى الجنوب الغربي .

وحدد اليوم الأول من آب ـ أغسطس ـ ١٩٤١ موعداً لهذا الهجوم . وأعاد تنظيم قواته ، رغم معارضة بعض القيادات لخطته . وقد استطاعت فرق البانزر المتقدمة اجتياح المقاومات التي اعترضتها ؛ وأمكن لها في اليوم التالي (٢ آب ـ أغسطس) الاستيلاء على روسلافل . وأصدر غودريان أوامره إلى فرقه المتقدمة بالاندفاع على طريق موسكو . وهكذا أغلق الجيب على الروس في (روسلافل) وتم تطويق ثلاث فرق روسية .

لقد كان غودريان يأمل في أن يطور هجومه للوصول إلى موسكو ؛ بأسرع ما يمكن ؛ وإنهاء الحرب قبل قدوم فصل الشتاء ؛ لكن القيادة الألمانية العليا تدخلت لتحويل جهد الحرب نحو أوكرانيا .

٧ ـ التحول من موسكو إلى كييف

تلقى (غودريان) دعوة للحضور يوم ٤ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤١ إلى (نوفيج بوريسوف) حيث مقر قيادة مجموعة جيوش الوسط ؛ وذلك لاطلاع هتلر على الموقف بعد أن وصلت الحرب على جبهة الشرق إلى منعطف حاسم . وكان هذا الاجتماع الذي دعي إليه قادة الجيوش والمجموعات والفيالق هو الاجتماع الأول الذي يحضره هتلر وكبار القادة منذ بداية الحملة على روسيا . وقد استقبل هتلر القادة واحداً تلو الآخر ؛ وتحدث إلى كل منهم

على انفراد ؛ ولهذا لم يعرف أي منهم ما قاله الذي سبقه إلى المقابلة .

واتفق قادة مجموعة الجيوش على أن متابعة الهجوم على موسكو هي الأمر الهام أو الحاسم . واقترح غودريان أن يبدأ هجومه على موسكو في يوم ١٥ آب ـ أغسطس ـ . ومن ثم بدأ هتلر في توجيه حديثه إلى المجتمعين ؛ فجعل الهدف الأول هو الهجوم على المنطقة الصناعية حول لينينغراد ؛ ثم تساءل : هل ينبغي الاندفاع بعد ذلك نحو موسكو أو نحو أوكرانيا ؟ ولم يحدد إجابة حاسمة ونهائية ؛ إلا أنه أبدى ميله إلى الحل الثاني ؛ لأنه كان يتوقع نجاح مجموعة الجيوش الجنوبية ؛ وكان يرى أنه بحاجة إلى المواد الأولية والتموين من أوكرانيا لمتابعة الحرب وأنه بذلك يهيمن على شبه جزيرة القرم ـ وفيها القاعدة التابعة للاتحاد السوفييتي والموجهة ضد حقول البترول في رومانيا ـ . كذلك كان يأمل في احتلال موسكو وخاركوف قبل حلول فصل الشتاء . ولم يتخذ أي قرار في هذا اليوم في تحديد اتجاه الهجوم القادم .

ثم تحدث هتلر إلى غودريان ؛ فأبرز له ضرورة الاحتفاظ بنهر (ييلنا) حتى تكون الأرض التي تحتلها قواته هي قاعدة الانطلاق نحو موسكو . وتحدث غودريان ؛ فأظهر لهتلر ضرورة تبديل المحركات المهترئة للدبابات والتي تآكلت بسبب كثرة الغبار ؛ لا سيما من أجل القيام بعمليات بعيدة المدى ، وكذلك ضرورة تبديل الآليات القديمة بآليات جديدة . وبعد مناقشات طويلة ؛ وعد هتلر بإرسال (٣٠٠) محرك فقط للدبابات في الجبهة الشرقية . فعاد غودريان وأكد أن هذا العدد قليل جداً ؛ ورفض هتلر إرسال

دبابات جديدة لأنه كان يحتفظ بها في ألمانيا لتشكيل قوات جديدة .

وتحدث غودريان عن التفوق الساحق لأعداد الدبابات السوفييتية . وأنه إذا لم يتم التعويض عن الخسائر فإنه سيكون من الصعب التغلب عليها . ورد عليه هتلر بقوله : « لو كنت على يقين من أن عدد الدبابات التي ذكرتها في كتابك حقيقياً ؛ لما بدأت هذه الحرب على ما أعتقد ». وكان غودريان قد ذكر في كتابه ـ إنتبه البانزر ـ الذي صدر سنة ١٩٣٧ ؛ إن سلاح الدبابات السوفييتي يضم عشرة آلاف دبابة . لكن قيادة الجيش حاولت منع ذكر هذا الرقم . فأجرى غودريان بحثاً إضافياً ، وإتصالات عديدة ؛ أكدت له أن عدد الدبابات في تلك الفترة هو ١٧ ألف دبابة سوفييتية ، أي أنه أنقص العدد بسبعة آلاف دبابة ؛ فرفع مذكرة جاء فيها أنه « لا يجوز اتباع سياسة النعامة ، وإغماض الأعين إذا ما أردنا تجنب الحظر الذي يتهددنا ». وبذلك تم ذكر الرقم . غير أن هتلر وجهاز قيادته مضوا في اتباع سياسة النعامة في المجالات الاقتصادية والسياسية وحتى العسكرية . فكان لا بد لغودريان من الصدام بهذا الواقع .

قرر غودريان وهو في طريق عودته بالطائرة إعداد خطة الهجوم على موسكو . وعند وصوله أسند إلى هيئة أركانه مهمة الإعداد للهجوم ؛ على أن تزج الفيالق المدرعة على الجناح الأيمن في المسير على طريق موسكو ، بينما تتقدم فيالق المشاة في الوسط وعلى الجناح الأيسر . وقد وضع غودريان في اعتباره إمكان اختراق الجبهة السوفييتية التي كانت العمق ؛ ابتداء من طريق موسكو ؛ وتركيز الجهد الرئيسي على الجناح الأيمن ؛ مما يتيح فرصة طرد القوات

السوفييتية إلى فيازما ، ممهداً للاختراق باتجاه موسكو .

إنتهت معركة (روسلافل) بنجاح . وكانت النتيجة (يوم ٨ آب ـ أغسطس ١٩٤١) الاستيلاء على مائتي دبابة وأسر ٣٨ ألف مقاتل سوفييتي . وتابعت القوات تحسين أوضاعها . وكان موقف السكان ودياً حميماً ؛ فقد أسرعت نساء إحدى القرى الواقعة في منطقة القتال للترحيب بالقوات الألمانية ، وحملن إلى غودريان الخبز والزبدة والبيض في صحون خشبية ؛ ولم يتركنه حتى أكل مما حملنه إليه معهن(*).

خاب أمل (غودريان) يوم ١١ آب ـ أغسطس ـ عندما تم إبلاغه رفض القيادة العليا للمخطط الهجومي الذي اقترحه . ولكنه لا زال يأمل في أن تعيد القيادة العليا نظرها ؛ ومن أجل ذلك ؛ قام

(*) وقد تكررت مثل هذه الظواهر في كل مكان . وقد جاء في مذكرات إريك كيرن ـ رقصة الموت ـ ERICH - KERN (DANCE OF DEATH) 1948 P.P 86 , 94 , 102 ما يلي : « كان هناك في كل أنحاء روستوف أناس ينتظرون في الشوارع لحظة وصولنا ، وقد استعدوا لتحيتنا وللترحيب بقدومنا . إنني لم أشاهد قبل ذلك أبداً تغييراً مباغتاً بمثل هذه السرعة . لم يبق للبلشفية وجود ، لقد ذهب العدو . لقد كنا نصادف في كل يوم ذهبنا إليه أناساً يمرحون ويضحكون وهم يشيرون إلينا . لقد تداعت مفاصل الأمبراطورية السوفييتية في كل مكان ». لقد استقبل الشعب السوفييتي القوات الألمانية في كل مكان ؛ ولقد اعتبر الأوكرانيون أن هتلر هو محرر أوروبا ؛ وكان الروس البيض راغبين كل الرغبة في القتال إلى جانب الألمان . ثم جاء هملر وأجهزة الأمن ـ والغستابو ـ فأفسدوا كل شيء ؛ وعاملوا الروس والأوكرانيين أسوأ معاملة . وهكذا ففي الوقت الذي ظهر إفلاس البولشفية على المستوى السياسي إفلاساً مريعاً ؛ جاء هتلر وأجهزته فأنقذوا البولشفية ، وعززوا مواقعها السياسية ، فأيقظوا في الشعب الروسي الحماسة لقضية (الحرب الوطنية) .

يـوم ١٣ آب ـ أغسطس ـ بـزيارة استـطلاعيـة للجبهـة في منـطقـة (دسنا ـ شرقي روسلافل) ، وشاهد اللافتات ولـوحات السـير على جـانبي الـطريق المؤديـة إلى مـوسكــو ؛ وقـد كتب عليهـا (اتجـاه موسكو) . وكانت الوحدات العسكرية قد وضعت لافتات كهذه في كل مكان ؛ بانتظار التقدم المحتمل نحو العاصمة السوفييتيـة ، هذا فيما كانت القوات الألمانيـة تتابـع صراعهـا في منطقـة (كريتسيف) وقد أحرزت في يوم ١٤ آب ـ أ غسطس ـ انتصـاراً رائعاً عنـدما دمرت ثلاث فرق سوفييتية وأسرت ١٦ ألف جندي ، بالإضـافة إلى غنائم ضخمة من المـدافع والـوسائط القتـالية ، مـع الاستيلاء عـلى مدينة (كوستجوكوفيتسي) .

تلقى غودريان أمراً بالحضـور إلى مقر قيـادة مجموعـة جيوش الـوسط يـوم ٢٣ آب ـ أغســطس ـ لمنـاقشــة المـوقف ؛ وحضر الاجتمـاع رئيس هيئـة الأركـان العـامـة للجيش البـري، الجنـرال هـالدر ، الـذين أعلن أن هتلر عازم عـلى إيقـاف التحـرك بـاتجـاه لينينغراد أو باتجاه موسكو ، وذلك من أجل تحويل الجهد للاستيلاء على أوكرانيا أو شبه جزيرة القرم . وتبع ذلك نقاش بين كبار القادة على أن تحويل الاتجاه نحو كييف ، سيؤدي حتماً إلى شن الحـرب في الشتاء ، وإلى حدوث ارتباك حتى في القيادة العليـا للجيش البري . كما جرى نقاش بشأن الطريقة المثلى لإقناع هتلر وحمله عـلى (تبديـل قـراره) . وتم الاتفاق عـلى أن يقوم غـودريان بمـرافقة رئيس هيئـة الأركان العليا ـ الجنرال هالدر ـ لمقابلة الفوهرر . ووافق غـودريان عـلى الاضطلاع بـالمهمة . واستقـل الطائـرة في عصر ذلك اليـوم ، ووصل مساء إلى مطار (لوتزن) في بروسيا الشرقية . وما كـاد يهبط

من الطائرة ، حتى قابل القائد العام للقوات البرية ـ الماريشال فـون براوختش ـ الذي وجه إلى غودريان الكلمات التالية :

« أمنعك من مقابلة الفـوهرر وعـرض قضية مـوسكو عليـه . لقد صدرت الأوامر لتنظيم العمليـة باتجـاه الجنوب ؛ ولم يبق سـوى تحديد مجـراها ؛ وكـل محاولـة في هذا السبيـل هي محاولـة فاشلة ».

فطلب غودريان عندها السماح له بالعودة إلى مجموعتـه ؛ البانـزر ؛ فرفض براوختش ؛ وأمـره بالـذهاب إلى هتلر وإطـلاعه عـلى موقف مجموعته ؛ وألا يتعرض لذكر موسكو .



جودل، وهتلر، وبراوشيتش

وهكذا توجه غودريان لمقابلة هتلر ؛ الذي أحاطت به مجموعة من كبار القادة (كيتل وجودل وشمنـدت وسواهم) ، فعـرض عليه

موقف قوات البانزر وما وصلته إليه من استنزاف ؛ وأوضح خصائص تضاريس الأرض التي تعمل عليها . وبعد انتهاء غودريان من الادلاء بمعلوماته ؛ سأله هتلر :

- « هل تعتقد أن باستطاعة قواتك بذل جهد أكبر ؛ بعدما قامت به هذه القوات من الأعمال ؟ »

وأجاب غودريان : « نعم ؛ إذا حددت للقوات أهداف رئيسة يستطيع كل جندي إدراك أهميتها » .

فقال هتلر : « بالطبع ، إنك تفكر بموسكو ! »

وأجاب غودريان : « نعم ؛ ولأنك تطرقت لهذا الموضوع ، إسمح لي بأن أبدي الأسباب الموجبة » .

وانطلق غودريان في حديثه ؛ فشرح لهتلر باسهاب تلك الأسباب الداعية إلى متابعة العمليات على اتجاه موسكو ؛ والأسباب الداعية إلى إيقاف الهجوم على كييف . وبيّن - من وجهة النظر العسكرية - كيف ينبغي تحطيم القوات المقاتلة المعادية في تلك الفترة ؛ بعدما لقيته من مشاق وآلام في الاشتباكات الأخيرة ، ووصف أهمية الاستيلاء على العاصمة السوفييتية من الناحية الجغرافية ؛ وموقعها المختلف عن أهمية موقع باريس ؛ فهي مركز شبكة المواصلات والاتصالات ؛ وهي القلب السياسي للاتحاد السوفييتي . وهي أيضاً المنطقة الصناعية الهامة ؛ ولهذا فسيكون لسقوطها تأثير عظيم على الشعب الروسي وعلى سائر شعوب العالم .

وتحدث غودريان عن القوة المعنوية للوحدات والتي لم تعد

تريد إلا التوجه نحو موسكو ، وقد استعدت للقيام به بحماسة نادرة .

وحاول غودريان تقديم البراهين على أن الانتصار العسكري في الاتجاه الحاسم وعلى كتلة القوات الرئيسة للعدو ، سيسهل مهمة القوات المهاجمة في المناطق الاقتصادية من أوكرانيا ، وسيعيق عملية انتقال القوات السوفييتية من الشمال إلى الجنوب بعد الاستيلاء على موسكو ؛ عقدة المواصلات .

وأكد غودريان أن قوات مجموعة جيوش الوسط قد باتت على استعداد للمسير إلى موسكو ، في حين يسبب التحرك على اتجاه كييف ؛ وبالتالي باتجاه ألمانيا ، ضياعاً كبيراً للوقت ؛ مما يجعل هذا التحرك عديم الجدوى . وذكر أن المسير عندما يبدأ من اتجاه موسكو نحو الاتجاه المعاكس ؛ فإنه يتطلب قطع المسافات ذاتها (روسلافل - لوكفيتسا) ، أي ما يعادل ٤٥٠ كيلومتراً ؛ وهذا يعني استهلاك كبير للقوى والأعتدة . ووصف حالة الطرق في قطاع الهجوم ؛ معتمداً على التجربة التي عاناها وقواته المدرعة في (أونتشا) ، وعلى صعوبات الإمداد والتموين التي ستتزايد يوماً بعد يوم في حال التوجه نحو اوكرانيا .

كما أبرز غودريان ما سيؤدي إليه تأخير العمليات من نتائج وخيمة إذا ما سارت هذه العمليات في طقس رديء ؛ وعندها سيكون قد فات الأوان لتوجيه ضربة حاسمة في هذه السنة إلى موسكو على نحو ما هو مخطط لها . وختم حديثه بقوله : وحتى إذا كانت كل الاعتبارات الأخرى صحيحة ؛ فينبغي إرجاؤها حيال

الضرورة الملحة ؛ وتنفيذ القرار العسكري الحازم .

ترك هتلر لغودريان الفرصة الكاملة للتحدث بذلك كله ؛ دون أن يقاطعه ؛ ثم تكلم ، فشرح شرحاً مفصلاً ووافياً الأسباب الداعية إلى اتخاذ قرار آخر ؛ فقال : إن المواد الأولية وقواعد تموين أوكرانيا هي أمور حيوية لا بد منها لمتابعة الحرب .

وانطلاقاً من هذه الفكرة . فإنه أبرز مرة أخرى شبه جزيرة القرم التي هي بمثابة حاملة طائرات سوفييتية للحرب من أجل البترول الروماني الذي ينبغي الحيلولة بينه وبين السوفييت . وسمع غودريان من هتلر وللمرة الاولى قوله : « متى يفهم قادتي - جنرالاتي - معنى الاقتصاد الحربي ؟ » .

أدت أحاديث هتلر إلى اتخاذ القرار الحازم للبدء بالهجوم على كييف فوراً ؛ وبدون تمهل ؛ وتحديد الهدف الاستراتيجي الأول بهذا الهجوم على (كييف) . وقد ذهل غودريان ، إذ رأى موافقة جميع الحضور على كل كلمة نطق بها هتلر ؛ ولم يخالفه أحد . وشعر غودريان بالأسف لوقوفه وحيداً في مواجهة التيار ؛ وكم تمنى لو كان معه فون براوختش أو هالدر أو سواهما من قادة الجيش البري والذين كانوا يشاطرونه رأيه .

وأدرك غودريان أن القيادة العليا للجيش الألماني تشكل جبهة موحدة الرأي في هذا الأمر الخطير . ولهذا فقد اتخذ قراره بسرعة بتجنب الصدام مع القائد الأعلى للرايخ ؛ بحضور معاونيه ، والالتزام بما قررته هذه القيادة . ولكن ؛ وحتى يضمن غودريان لنفسه فرص النجاح لتنفيذ المهمة الجديدة ؛ فقد استأذن هتلر بالمحافظة على قوة مجموعة البانزر ؛ وعدم توزيعها أو سحب أية قوة

منها ، مما يساعد على جسم الصراع بسرعة وقبل حلول فصل الخريف ؛ لأن الأمطار ستحول المنطقة إلى مستنقعات ؛ وتشل حركة الوحدات الآلية ؛ فوعده هتلر بذلك .

لم يكن غودريان عندما قابل هتلر يوم ٢٣ آب ـ أغسطس ـ قد علم بالأمر الذي أصدره هتلر في اليوم الذي سبق المقابلة (وهو يوم ٢٢ آب ـ أغسطس ـ) والذي أصبح أساساً للعمليات . وقد تضمن هذا الأمر ما يلي ـ :

« إن المخطط الذي وضعته القيادة العليا للقوات البرية في يوم ١٨ / ١٩٤١/٨ والخاص بمتابعة العمليات المقبلة ؛ هو مخطط لا يتفق وتعليماتي ؛ لذلك آمر بما يلي :

أولاً : ليس الهدف الأساسي الذي يجب تحقيقه ؛ قبل حلول فصل الشتاء ؛ هو الاستيلاء على موسكو ؛ بل احتلال شبه جزيرة القرم ؛ والمنطقة الصناعية المنتجة للفحم في حوض (دونيتز) وإعاقة تموين البترول القادم من القفقاس إلى الوحدات السوفييتية ، ويجب العمل في الشمال لعزل منطقة لينينغراد ، وتحقيق الاتصال بفنلندا .

ثانياً : لقد أتاح لنا احتلال خط (غوفل ـ بوتسيب) تكوين موقف استراتيجي مناسب ؛ يجب استخدامه على الفور للقيام بعملية التفاف تنفذها الأجنحة الداخلية من مجموعتي جيوش الوسط والجنوب . وليس ذلك بهدف طرد الجيش السوفييتي الخامس إلى ما وراء نهر الدنيبر بهجوم يشنه الجيش السادس فحسب ؛ وإنما بهدف تدمير العدو قبل أن يتحصن وراء خط دسنا ـ كونوتوب ـ قطاع سولا . ومن أجل ذلك تقوم مجموعة جيوش الجنوب بالتمركز إلى

الشرق من نهر الدنيبر الأوسط ؛ وبمتابعة العمليات على اتجاه روستوف ـ خاركوف ، بقواتها الرئيسة وجناحها الأيسر .

ثالثاً : تقوم مجموعة جيوش الجنوب ؛ وبدون الأخذ بأي اعتبار للعمليات المقبلة ؛ بزج قوات كافية لبلوغ هدفها وهو تدمير الجيش السوفييتي الخامس مع المحافظة على استعدادها لصد الهجمات المعادية في مواضع تسمح لها بالاقتصاد في القوى .

رابعاً : إن لاحتلال شبه جزيرة القرم أهمية كبيرة في تموين وحداتنا بالبترول الروماني. . . » .

وإستناداً لهذا الأمر ؛ أصدرت القيادة العليا للجيش البري يوم ٢٣ آب ـ أغسطس ـ (أي عندما كان غودريان يقابل هتلر) أمراً إلى مجموعة جيوش الوسط تضمن : « القيام بتحطيم القوات الرئيسة من الجيش السوفييتي الخامس ؛ والعمل بأقصى سرعة لفتح ممر على نهر الدنيبر ؛ تعبره مجموعة جيوش الجنوب . وتتكون لهذه الغاية مجموعة تعبوية ـ تكتيكية ـ بقيادة الجنرال غودريان ؛ على أن يندفع الجناح الأيمن إلى تشرنيغوف ؛ ويتجاوزها » .

وهكذا ؛ فعندما قابل غودريان هتلر ؛ كان على جهل تام بالتطورات المتسارعة التي اتخذتها القيادة ، وذهب إلى النوم بعد مقابلته ؛ وهو خاضع لهاجس العمليات القادمة .

وفي اليوم التالي (١٣ آب ـ أغسطس) ، استقل الطائرة عائداً إلى مقر قيادته بعد أن أجرى عدداً من المقابلات غير السارة مع القيادة العليا للجيش البري ؛ ورجع إلى قاعدة عملياته وقد حمل

معه الأمر القاضي ببدء العمليات على اتجاه أوكرانيا اعتباراً من يوم ٢٥ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤١ .

٨ ـ معركة كييف

إتخذ غودريان الاجراءات الضرورية للهجوم على اتجاه (كييف)[1] ، وأعاد تنظيم قواته ، وتوجه في الساعات الأولى من صباح يوم ٢٥ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤١ إلى فيلق البانزر السابع عشر ؛ والذي كان عليه العمل على محور الجهد الرئيسي . ورافق غودريان هذا الفيلق إلى ما بعد نهر (سودوست) ورافده (نهر روغ) الجاري نحو الجنوب . ولما كان غودريان مضطراً للسير على طرق رملية ؛ فقد اضطر لتبديل عدد من المركبات ؛ إلى أن عمل بعد الظهر إلى طلب عربات مدرعة للقيادة حتى يتمكن من متابعة التحرك في قيادة المقدمة . وهكذا مضى اليوم الأول للتحرك الذي لم يرافقه ، أو لم يحدث خلاله ؛ الا اشتباكات محدودة .

وفي اليوم التالي (٢٦ آب ـ أغسطس) توجه غودريان مبكراً إلى المرصد المتقدم لمدفعية الفيلق حتى يشاهد عملية التمهيد بالمدفعية والطيران ، ثم ليتابع عملية عبور قواته لنهر (روغ) . ولقد جوبه تقدم قوات غودريان بمقاومة ضارية (نظمتها الفرقتان السوفيتيتان ٢٦٩ و٢٨٢) غير أن قوات غودريان نجحت في التقدم بصورة بطيئة مما حمل غودريان على زج قواته كلها للتحرك على أرتال

---

(١) كييف : (KIEVE) مدينة في الاتحاد السوفييتي ؛ وهي عاصمة أوكرانيا UKRAINE تقع على القسم الأعلى من نهر الدنيبر DENIEPER . وهي مركز صناعي وتجاري هام .

متوازية بهدف إنجاز الواجب بالسرعة المطلوبة .

ولقد شعر غودريان بضرورة الحاجة لدعم قواته ؛ ولتأمين احتياط كاف من أجل مجابهة الهجمات السوفييتية المتصاعدة على جبهة قواته وعلى جناحيها ؛ خلال الأيام المتتالية ؛ فطلب إلى القيادة دعمه ؛ لكن القيادة تجاهلت طلبه ، كما تجاهلت إلحاحه المتكرر للحصول على قوات دعم إضافية ؛ ولم تقدم له إلا لواء المشاة (غروس دوتشلاند) يوم ٣٠ آب ـ أغسطس ـ ثم فرقة الدبابات الأولى (يوم ١ أيلول ـ سبتمبر) وبعض الوحدات الخاصة (داس رايخ) يوم ٢ أيلول ـ سبتمبر .

واضطر غودريان أمام قلة قوات الدعم التي وصلته إلى إرسال برقية لاسلكية إلى قيادة مجموعة الجيوش في اليوم الأول من أيلول ـ سبتمبر ـ طلب فيها توجيه الفيلق المدرع ٤٦ بكامله ، بالإضافة إلى توجيه فرقتي البانزر ٧ و١١ وفرقة المشاة الآلية ١٤ وذلك لإنهاء حملة كييف بسرعة . ولكن قيادة الجيش البري استمرت في عرقلة مخططات غودريان ؛ وأدى ذلك إلى عقد مؤتمر في مقر قيادة هتلر ، انتهى باتخاذ إجراءات قاسية ضد غودريان، ولكنه لم يتأثر بهذه الإجراءات ؛ وتابع عمله في قيادة قواته ؛ وتنسيق التعاون فيما بينها ، ودفعها باستمرار للتقدم نحو هدفها . وكان أقسى ما واجهه هو اضطراره لتوجيه معظم قواته في كل مرة لدعم التشكيل المقاتل الذي يجابه مأزقاً صعباً (على نحو ما حدث لفرقة المشاة الآلية العاشرة التي جابهت خلال أيام متتالية لواء الدبابات السوفييتي العاشر والفرق ٢٩٣ و٢٤ و١٤٣ و ٤٢) . كما اضطر غودريان في مرات كثيرة ؛ إلى تحويل المحور الرئيسي للجهد بين فرقه وفيالقه

المتقدمة ، تبعاً لما كانت تفرضه طبيعة المقاومات السوفييتية ؛ وتبعاً لطبيعة مسرح العمليات .

كان على قوات غودريان أن تعبر مجموعة متتالية من الأنهار (سودوست) و (دسنا) و (سيم)، كما كان عليها اجتياح عدد من المدن الهامة والتي نظمت فيها مقاومات ضارية مثل (أفديجفكا) و (سوسينتا) و (بورزنا) و (كونوتوب) و (كورووليوتس) و (كوروب) و (كراسنوبولج) و (رومني). وأثناء ذلك ؛ كانت القيادة السوفييتية تتابع زج قواتها على نحو ما فعلت يوم ٩ أيلول - سبتمبر - عندما زجت الجيش الأربعين بين الجيشين ١٣ و٢١ .

وكانت قوات غودريان تتناقص باستمرار . وكان الإجهاد قد أخذ في النيل من قدراتها وإمكاناتها ؛ بالإضافة إلى ما كانت تعانيه من صعوبات في الإمداد بالوقود . ولكن ما أذاعته القيادة العليا يوم ٨ أيلول - سبتمبر- عن اتخاذ قرار بالعمل من جديد على اتجاه موسكو اعتباراً من بداية تشرين الأول - أكتوبر - وعن تحديد يوم ٩ أيلول - سبتمبر - موعداً للهجوم على التحصينات الخارجية لمدينة لينينغراد ؛ قد أثار الحماسة لدى وحدات غودريان لإنجاز واجباتها بسرعة حتى تتمكن من العودة إلى قطاع عملها الرئيسي على جبهة موسكو .

هطلت أمطار غزيرة مساء يوم (٩ - ١٠ أيلول - سبتمبر) فأغرقت الطرقات ؛ وبدأت الصعوبات في التحرك تجابه كافة أنواع المركبات ؛ ولقد بذلت قوات غودريان جهوداً مضنية لزيادة سرعة

تحركها ، غير أن الطين وسوء حالة الطرق قد جعلا من المحال على الوحدات أن تصل إلى أهدافها في الأوقات المحددة لها .

استطاعت قوات غودريان رغم كافة العقبات أن تلتقي بقوات مجموعة جيوش الجنوب عند (رومني)(*)- اعتباراً من يوم ١٦ أيلول - سبتمبر - وأخذت في تطويق القوات السوفييتية . ودارت على أثر ذلك معارك ضارية ؛ استطاعت خلالها قوات غودريان تضييق دائرة الحصار يوماً بعد يوم ؛ ولكن الموقف تدهور بشكل خطير في (رومني) يوم ١٨ أيلول - سبتمبر - . فقد ترددت أصداء الاشتباكات بقوة وعنف منذ الفجر ؛ على الجناح الشرقي وتزايدت حدة القتال وضجيج المعركة في فترة بعد الظهر ، لأن القيادة السوفييتية زجت قوات جديدة تكونت من فرقة الفرسان التاسعة ؛ وفرقة أخرى مدعمة بالدبابات ؛ تقدمت على شكل ثلاث أرتال ؛ ووصلت حتى مسافة ثمانمائة متر من تخوم المدينة . وكان باستطاعة غودريان متابعة هجوم الأرتال السوفييتية بوضوح تام من مركز مراقبته في أعلى أحد أبراج مراقبة السجن داخل محيط المدينة (رومني) .

وعلى هذا ؛ أصدر غودريان أمره إلى الفيلق المدرع ٢٤ بالتصدي للهجوم ومواجهته ؛ وقد دعمت قوات هذا الفيلق بكتيبتين من فرقة المشاة الآلية العاشرة ؛ وببعض سرايا المدفعية

(*) رومني : هي المدينة التي أقام فيها ملك السويد شارل الثاني عشر بضعة أيام قبل معركة بولتافا الشهيرة التي خاضها ضد الروس في شهر كانون الأول - ديسمبر - سنة ١٧٠٨ .

المضـادة للطائرات . ولقـد تزايـدت خطورة المـوقف عنـدمـا قـامت الـطائرات السـوفييتية المتفـوقة ؛ والتي حـرمت الطيـران الألمـاني من الاستطلاع ومن العمل ؛ بإغارة قوية وكثيفة على رومني . وبـالرغم من ذلك كله ؛ نجحت قوات غـودريان بـالمحافـظة على مـواقعها ، والدفـاع عن مراكز قيادتها ومراكز رصدها المتقدمة . ولوحظ خلال هـذه الفتـرة أن قـوافـل القـوات الـروسيـة كـانت تتجــه عـلى خط (خاركوف ـ سومي) متقدمة إلى الجبهة ، وأن هـذه القوافـل انزلت القوات في (سومي) و (شورافكا) . فأسرع غودريان بنقل الفيلق المـدرع ٢٤ لمجـابهتهـا ؛ ودعم بـوحــدات من الفـرقــة الخـاصــة (داس رايـخ) وبفرقـة البانـزر الرابعـة ، وذلـك لحـرمـان القـوات السـوفييتية من فـرصة تـطويق القوات الألمـانية ولقـد أمكن تطويـر المواقف بسرعة .

وأخيراً أمكن تحقيق النجاح بإحباط الهجمات السوفييتية ، **ثم جاء تحقيق النصر الحاسم يوم ١٩ أيـلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤١ عندما أمكن الاستيــلاء عــلى كييف . وفي اليــوم ذاتــه استــولى الفيلق المـدرع ٤٨ من مجمـوعـة البـانـزر الأولى عـلى غـوروديستـه وعـلى بيلوسوفكا** . ولكن الصراع لـم يتوقـف ، وتحققت انتصـارات ألمانيـة بسيطة على جبهة الشرق في اليوم التالي ؛ بينما استمر الصراع المريـر في الجيب الذي حوصرت فيه القوات السوفييتية . ووقعت في قبضة قوات غودريان في هذا اليوم مجموعة من الأسرى بلغ عـدد أفرادها (١٣٠) ألفـاً . **وفي اليوم التـالي (٢١ أيـلول ـ سبتمبـر) ارتفـع العـدد إلى (١٦٣) ألفاً . ولم يلبث عـدد الأسرى في (كييـف) أن ارتفع إلى (٢٩٠) ألفاً ثم ارتفع هذا العدد يوم انتهت معركة كييف**

في ٢٦ أيلول ـ سبتمبر ـ حتى (٦٦٥) ألف جندي[*]وقتل قائد الجبهة الجنوبية الغربية العام مع ضباط هيئة أركانه في المعارك الأخيرة وهم يحاولون اختراق الجبهة ، كما وقع الجنرال قائد الجيش الخامس السوفييتي في قبضة قوات غودريان .

توجه (غودريان) يوم ٢٤ أيلول ـ سبتمبر ـ إلى مقر هيئة أركان مجموعة الجيوش الوسط في منطقة (سمولنسك) لحضور المؤتمر النهائي الذي ستقرر فيه خطة الهجوم الجديد . وحضر المؤتمر قائد القوات البريّة العام ورئيس هيئة الأركان العامة . وتم الاتفاق خلال هذا المؤتمر على أن تبدأ مجموعة البانزر الثانية (مجموعة

(*) بدأ الغزو الألماني لأقاليم الاتحاد السوفييتي يوم ٢٢ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤١ وانتهت معركة كييف يوم ٢٦ أيلول ـ سبتمبر ـ وخلال هذه الفترة أسر الألمان مليون ونصف المليون من مقاتلي الاتحاد السوفييتي . والتحق بهم مليون آخر حتى نهاية العام ١٩٤١ . وقد كتب القائد العام للجيش البولوني الحر ـ الجنرال اندرز ، في كتابه الذي صدر سنة ١٩٥٣ تحت عنوان (هزيمة هتلر في روسيا) ما يلي : « كان هناك عدد كبير من الجنود السوفييت يرون في الحرب فرصة لتغيير النظام في روسيا ؛ وكانوا يرغبون في انتصار ألمانيا ، ولهذا كانوا يستسلمون بأعداد كبيرة . وفر عدد كبير من الضباط السوفييت الكبار ؛ وانضموا إلى الألمان ؛ وعرضوا أن يقاتلوا ضد السوفييت » . فلو أن الألمان حملوا معهم إلى روسيا شيئاً مشابهاً للنقاط الأربع عشرة لعام ١٩١٨ والتي وضعها ويلسون ؛ لتجزأت روسيا كما تجزأت ألمانيا في ذلك الوقت . . . ولو فعل ذلك لما احتاج أبداً إلى نقل جيوشه من موسكو ليضمن أوكرانيا ؛ لأن الأوكرانيين في هذه الحالة سيقدمون له هذه الضمانة . غير أن هتلر أعلن أن سكان الإتحاد السوفييتي هم بشر أقل قيمة من الأجناس . وقرر القيام بحرب الإبادة . « إدارة الحرب ـ ج . ف . س . فوللر ـ ترجمة أكرم ديري ـ دار اليقظة العربية ـ ١٩٧١ ـ ص ٤١٤ ـ ٤١٨ » .

غـودريان) هجـومها في أقصى حـدود الجناح الأيمن اعتبـاراً من يوم ٣٠ أيـلول ـ سبتمبر ـ .

وقد حدد غودريان هذا الموعد ؛ بعد أن وضـع باعتبـاره سوء حالة الـطرق ـ المعدومـة عملياً ـ وضـرورة الإفادة من فتـرة تحسن الأحوال الجوية المتوقعة ـ قبل حلول فصـل الطين ـ والـوصول إلى طـريق (أورل) الجيد وتـأمـين الاتصـال العـرضـاني بـين (أورل) و (برينسك) مما يساعد على ضمان تأمين الإمداد والتمـوين بشكل جيد . كل ذلك علاوة على إمكانات الحصول على دعم جوي هائل قبل بدء هجوم سائر جيوش المجموعة الوسطى بمدة يومين .

وكان على (غودريان) وقواته الإفـادة من الأيام التـالية لإنهاء القتـال في (جيب كييف) ، وإعادة تجميـع وتنـظيم قـوات الفيـالق استعداداً للهجوم الجديد ؛ وحتى تتاح للقوات فترة من الراحـة بعد المعارك الضارية والحركة المستمرة التي عاشتها القـوات خلال أشهـر متتالية ، وحتى تتمكن من إصلاح وسائطها القتالية ؛ وصيانتها .

كان التقدم على اتجاه(أورل ـ برينسك) هو المرحلة الابتدائية والضـرورية للهجـوم عـلى مـوسكـو ـ ، ومن أجـل ذلـك أصـــدر (غودريان) أمره بتغيير تشكيل الوحـدات وتنظيمهـا . وقرر القيـام بـالهجوم عـلى اتجاه (أورل) وأن يجعـل مركـز ثقل الهجـوم (محـور الجهد الرئيسي) باتجاه غلوخوف ؛ بعد زج الفيلق المدرع ٢٤ ، وأن يـزج على يمينه الفيلق المدرع ٤٨ باتجاه بوتيفل ؛ وعلى يساره الفيلق المـدرع ٤٧ باتجـاه سوستكـا ، فيما يقـوم الفيلق ٣٤ بتغطيـة وحمايـة الجنـاح الأيمن ؛ بينما يقـوم الفيلق ٣٥ ومعه فـرقـة الفـرسـان الأولى

بتغـطيـة الجنـاح الأيسر . وقـد أصــدر غـودريـــان أمـره إلى الفيلق المدرع ٤٨ باحتـلال قاعـدة انطلاقـه للهجوم في مـوضع قـريب من (بـوتيفل) وأن يهـاجم القوات السـوفييتية المتجمعـة في (سـومي) و (ندريغايلوف) .

وبهذه الطريقة كان (غودريان) يأمل في تغطية جنـاحه الأيمن منذ بداية الهجوم . ولكن (غودريان) أهمل قضية هامة ؛ وهي أنـه لم يضع في اعتباره المقاومة الضـارية والمحتملة للقـوات السوفييتيـة ؛ اعتماداً منه على تجربة المقاومة داخل (جيب كييف) . ولقد نصحه بعض قادته بأن يجري تحركه خلف الجبهـة ، وأن يدفـع امامـه فيلق المشاة ٣٤ . ولكن مثل هذا التحرك كـان سيؤخر تحـركه لمـدة خمسة أيام . ولهذا لم يأخذ (غودريان) بهذه النصيحة التي ستظهر قيمتهـا عنـد الانطلاق للعمليـات . وقد وصلت إلى غـودريان مـائة دبـابـة جديدة لإكمال فرقـه المدرعـة ؛ وللتعويض عن خسـائرهـا . إلا أن خمسين دبابة منها ضاعت في ضواحي أورشا ووصلت إليه متـأخرة . كما أن كميات الوقود التي كان يحتاجها لم تصله إلا في وقت متأخر .

٩ ـ العمل على اتجاه موسكو

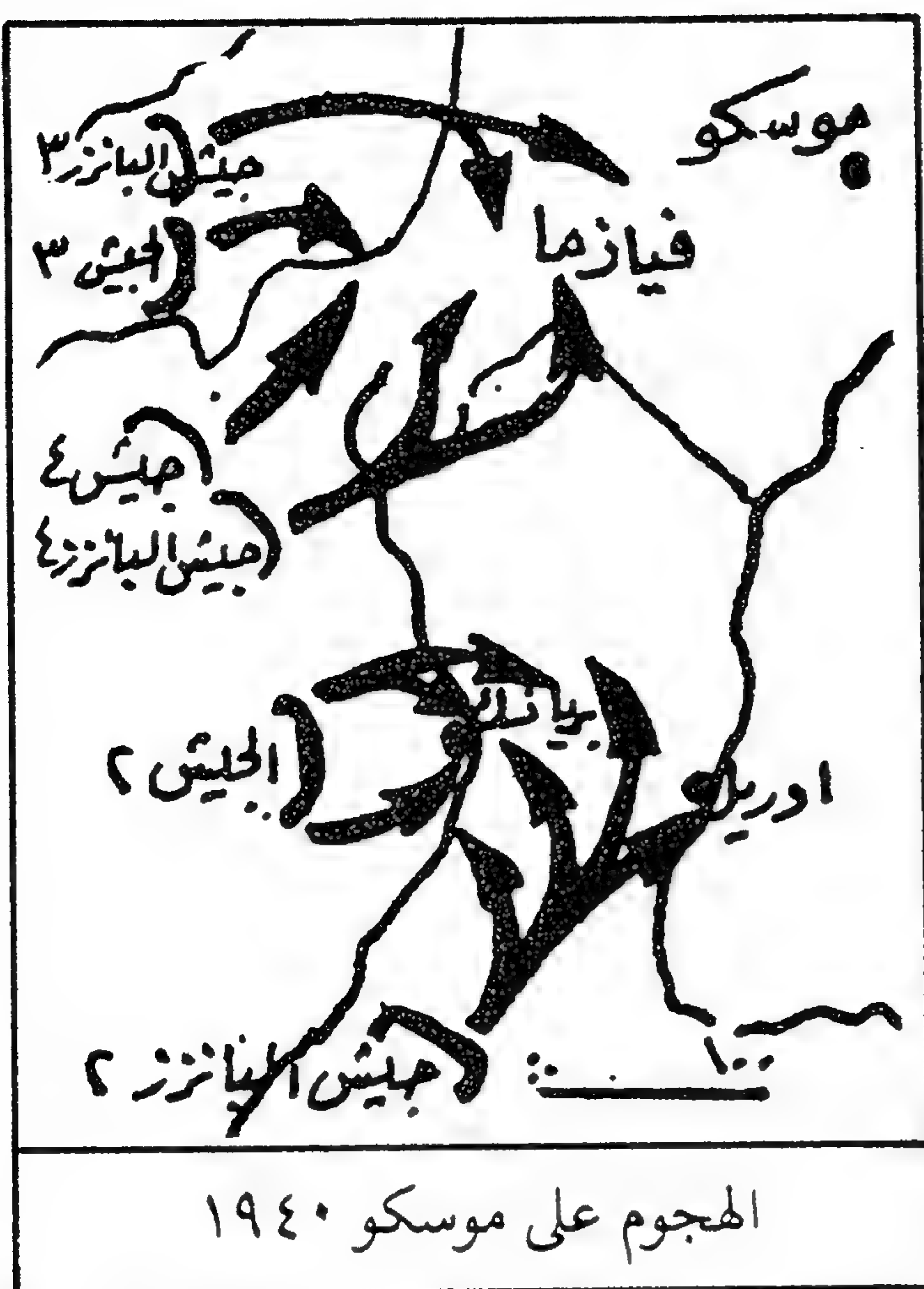
حشد (غـودريـان) معظم قـواته في منـطقة (روسـلافل) . وقام الفيلق المدرع ٤٨ بمحـاولة لـلاندفـاع المباشر نحـو (بوتيفـل) خلال يومي ٢٨ و٢٩ أيلول ـ سبتمبر ـ ، ولكن سرعان ما تبين فشل هذه المحاولـة بسبب المقاومـة الضاريـة للقوات السـوفييتية ممـا أرغم وحدات هذا الفيلق للعـودة إلى قاعـدة إنطلاقـه . غير أن وحـدات أخرى حققت نجاحاً عندما قامت بمنـاورة خداعيـة ؛ سـاعـدت لواء

المشاة ١١٩ بالوصول إلى (ستيبوفكا) .

وقامت قوات (غودريان) بهجومها الشامل يوم ٣٠ أيلول - سبتمبر - . وانتقل غودريان منذ الصباح المبكر إلى مقر قيادته الجديد في (غلوخوف) . وسرعان ما علم أن قوات سوفييتية قد باغتت كتيبتين من لواء المشاة ١١٩ في منطقة (ستيبوفكا) واستولت على عرباتها . وكانت خسارة محزنة ؛ اضطرت غودريان إلى دفع وحدات من فرقة البانزر التاسعة للعودة إلى الخلف من أجل السيطرة على الموقف . كذلك كان لغياب طيران الهجوم (شتوكا) بسبب سوء الأحوال الجوية في الإقليم دوره في إعاقة التقدم . وجوبهت قوات أخرى بمقاومات ضارية ؛ وظهر منذ البداية أن الهجوم سيتعثر بعقبات صعبة .

استطاعت قوات (غودريان) - الفيلق المدرع ٢٤ - الاستيلاء على (سيفسك) في اليوم الأول من شهر تشرين الأول - اكتوبر - ، فأمكن بذلك اختراق الجبهة السوفييتية . وتابعت القوات تقدمها بتصميم وعناد ؛ إلى أن تم استهلاك كل ما كانت تحتويه خزانات الوقود . فأمكن للفيلق المدرع ٢٤ في هذا اليوم التقدم لمسافة (١٣٠) كيلومتراً . وتابعت القوات تقدمها بعنف وقوة في اليوم التالي (٢ تشرين الأول - أكتوبر) ، فتم إنهاء الاختراق ، ودحر الجيش السوفييتي ١٣ ، ودفعه نحو الشمال الشرقي . وكانت خسائر القوات المتقدمة طفيفة نسبياً .

واستولت فرقة البانزر المدرعة الرابعة في هذا اليوم على (كرومي) ، ووصلت إلى الطريق المعبد المتجه إلى (أورل) ، وفي اليوم التالي (٣ تشرين الأول - أكتوبر) استولت على أورل .



الهجوم على موسكو ١٩٤٠


النازحون من أورل على نهر اوكا

وهكـذا تم الـوصول إلى طـريق جيد . وأمكن السيـطرة على عقدة مواصلات حديدية وأرضية هامـة ، تستطيـع تأمـين متطلبـات العمليات المقبلة .

ويظهر أن القوات السوفييتية قد بوغتت تماماً بوصول الدبابات إلى (أورل) حتى أن القـاطرات الحـديديـة كانت تسـير في المـدينـة عندما ظهرت دبابات البانزر . وتبين بوضوح أن القوات السوفييتيـة قـد بـذلت كـل جهـد مستـطاع لاخـلاء المصـانـع ؛ إلا أنها فشلت في ذلـك ؛ فقـد تكـدست بـين المحـطة والمصـانـع الآلات وصنـاديق الأدوات والمـواد الأوليـة ، وقـد تـوزعت عـلى جميـع الطرقات ؛ وانتشرت في كل مكان .

استولت الوحدات المتقدمـة من الفيلق المدرع ٢٤ عـلى موين (على طريق تولا) يوم ٤ تشـرين الأول ـ اكتوبـر ـ. وتقدمت فـرقتا البانزر الثالثة والثـامنة عشـرة باتجـاه كراتشيف في حـين قامت فـرقة البـانزر ١٧ ، بـاحتـلال رأس جسر عـلى نهر (نيـروزا)، وبـذلـك توافرت إمكانات متابعة التقدم على اتجاه الشمال .

لقد ظهر من جديد نقص خـطير في الإمداد بـالوقـود ، وبات هذا النقص يتهدد مستقبل مسيرة العمليات ؛ وكانت كميات الوقود التي استـولت عليها القـوات المتقـدمـة محدودة وقليلة . ولهـذا قـرر (غودريان) الإفـادة من مطار (أورل) الـذي تم الاستيلاء عليـه ، فطلب إلى قائد الأسطول الجوي الثاني نقل الكميات الضرورية من البترول ـ جواً ـ (وكانت هذه الكميات تعادل ٥٠٠ متر مكعب) .

وقـد أظهر الـطيران الـسوفييتي نشاطـاً أثار قلق (غـودريان)

فطلب الدعم . وتم إرسال ٢٠ طائرة مقاتلة إلى مطار (سيفزك) . ولم يلبث الطيران السوفييتي حتى قام بإغارة على المطار وعلى مقر قيادة غودريان ؛ ولكن الخسائر المادية كانت زهيدة ؛ واقتصرت على تكسير الزجاج . **فقرر الأسطول الجوي الثاني يوم ٦ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ إرسال طائرات مطاردة ، وفي هذا اليوم ذاته صدر أمر عن القيادة العليا بإطلاق اسم (الجيش المدرع الثاني) على مجموعة البانزر الثانية (مجموعة غودريان) .**

ولقد تعرضت فرقة البانزر الرابعة لمأزق صعب في هذا اليوم أيضاً (٦ تشرين الأول ـ اكتوبر) إذ قامت قوة من الدبابات السوفييتية بهجوم عنيف ، وأظهرت الدبابة (ت ـ ٣٤)) تفوقها الساحق على الدبابات الألمانية التي عانت من الخسائر الفادحة .

وتدخل (غودريان) لمعالجة الموقف ؛ فأصدر أمره بإيقاف التقدم السريع على (تولا) بصورة مؤقتة . وأثناء ذلك ؛ حققت فرقة البانزر ١٧ نجاحاً مثيراً عندما تمكنت من الاستيلاء على (برينسك) وجسورها القائمة على نهر (دسنا) ، فتحقق بذلك الاتصال مع الجيش الثاني الذي كان يتقدم من الغرب نحو دسنا ؛ مما ضمن استثمار شبكة الطرق البرية والحديدية بين أورل وبرينسك وذلك لتأمين الإمداد والتموين ؛ وأمكن بالتالي تطويق القوات السوفييتية التي كانت تقاتل في المنطقة الواقعة بين نهري دسنا والسودست ، كما تم الاستيلاء على رأس جسر على نهر نافلينا إلى الشمال من بورستسيف .

تساقطت الثلوج للمرة الأولى من فصل هذا الشتاء في ليل

٦ ـ ٧ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وعلى الرغم من قصر مدة هطولها ؛ فقد غمرت الطرقات بالسرعة المعروفة ؛ وحولتها إلى قنوات من الطين الذي يعيق تحرك العربات ، وكانت القوات تفتقر إلى الأحذية والقمصان والجوارب وسواها من الألبسة الشتوية . فأرسل (غودريان) طلباً جديداً تعجَّل فيه تأمين الطلبات السابقة . فأجابته القيادة ، بأن المواد المطلوبة ستصل في الوقت المناسب . وطلبت إليه الكف عن مثل هذه الطلبات المتكررة . ولكن غودريان تابع محاولاته لإمداده بالألبسة الشتوية التي لم تصله طوال فصل الشتاء من هذا العام (١٩٤١) .

استمر الصراع المرير خلال الأيام التالية ؛ التي أمضاها (غودريان) في تفقد جبهات القتال ؛ وسد الثغرات ؛ وتأمين حماية المجنبات ، وإحكام طوق الحصار في (جنوب برينسك) وجنوب شرقي (دسنا) مع متابعة تحسين الموقف ؛ حيث تم الاستيلاء على (بلخوف) يوم ٩ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ .

لقد كانت الواجبات كثيرة ؛ غير ان الظروف الجوية السيئة كانت تعترض باستمرار سبيل تحقيق هذه الواجبات .

تلقى (غودريان) تعليمات جديدة من قيادة مجموعة جيوش الوسط يوم ١٠ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ نصت على: «الاستيلاء على كورسك ؛ وتدمير جيب تروبتشفسك ؛ وإغلاق الجيب الواقع إلى الشمال الشرقي من برينسك ؛ والتقدم باتجاه تولا ـ على أن يتم ذلك كله بدون إبطاء ». وكان على (غودريان) وجيشه المدرع العمل تحت رحمة الطين الذي كان يعيق تحرك العربات ذات العجلات ؛ والاعتماد على العربات المجنزرة ـ ذات السلاسل ـ

وقد أصيبت محركات هذه العربات بالعطب والتلف نتيجة الضغط الكبير في العمل ؛ ونتيجة الافراط في زيادة حمولات هذه العربات .

ونتيجة للنقص في القضبان الحديدية (المخل) والسلاسل الخاصة بالقطر والجر ؛ فقد تم استخدام الطائرات لإسقاط الحبال والسلاسل على العربات . وأمكن بعد بضعة أسابيع الحصول على مئات العربات المفرزة مع سدنتها (طواقمها) بواسطة الطائرات . وبالإضافة إلى ذلك ؛ فقد ظهرت سيئة لعدم الاستعداد المسبق للعمل في الشتاء . وعلى سبيل المثال ؛ فإن السائل المانع للتجمد لمبردات المحركات لم يصل طوال ثمانية أسابيع ، كما لم تصل التجهيزات الشتوية للوحدات . لذلك فقد تزايدت آلام الجنود ومعاناتهم مع تزايد الصعوبات الكبيرة ؛ ومع الاستمرار في هذه الأوضاع تطورت الهجمات السوفييتية ؛ وزادت عنفاً ؛ سواء داخل الجيوب المحاصرة ؛ أو على الجبهات الخارجية . وتعاظمت الخسائر في القوات المدرعة الألمانية بنسبة مذهلة ؛ نتيجة عجز الأسلحة الألمانية عن التعامل مع الدبابات السوفييتية (ت ٣٤) مما حمل غودريان إلى رفع تقرير لقيادة مجموعة الجيوش ، وصف فيه نقاط تفوق الدبابة (ت ـ ٣٤) على الدبابة الألمانية (نموذج ٤) . واستخلص الدروس المستقاة من التجارب القتالية ؛ والتي يمكن لها تقييد الصناعة الألمانية في الانتاج القادم للدبابات .

وطلب (غودريان) في نهاية تقريره الإسراع بإيفاد لجنة من ممثلي القيادة العليا ووزارة التسليح والمهندسين واضعي المخططات في مصانع الدبابات ، لزيارة جبهة القتال ، حيث تستطيع هذه اللجنة دراسة الموقف على الطبيعة ؛ ومشاهدة الدبابات المدمرة في ساحة

المعركة ؛ ومناقشة المتطلبات والشروط التي يجب توافرها في النماذج الجديدة .

كما طلب غودريان صنع مدفع مضاد للدبابات ثقيل وذي قدرة كافية للاختراق من أجل التفوق على تصفيح الدبابة (ت ٣٤)، وقد وصلت هذه اللجنة يوم ٢٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وقامت بعملها على خير وجه .

كان للعواصف الثلجية دورها في إرغام القوات الألمانية على الانتقال للدفاع في قطاعات كثيرة من جبهات القتال . وتساقطت الثلوج بغزارة منذ يوم ١٢ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ . وعمل غودريان على نقل مقر قيادته إلى (أورل) يوم ١٤ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ . واستمر الصراع بقسوة حتى أمكن القضاء على المقاومة في جيب شمالي (برينسك) يوم ١٧ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وتم أسر (٥٠) ألف مقاتل سوفييتي والاستيلاء على ٤٠٠ مدفعاً ، وأمكن تدمير الكتلة الرئيسة من الجيش السوفييتي ٥٠ ـ .

اعتبرت معركة (برينسك) منتهية يوم ٢٥ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وأصبح باستطاعة الجيش المدرع الثاني (جيش غودريان) متابعة هجومه على اتجاه (تولا) . وظهر بسرعة أن طريق أورل ـ تولا هو طريق لا يساعد كثيراً على تلبية متطلبات قوافل العربات الثقيلة والدبابات .

وأظهرت القوات السوفييتية كفاءة عالية في أعمال التدمير ، وتخريب الجسور ، وإقامة حقول الألغام الواسعة في الأمكنة الملائمة ـ على جانبي الطريق ـ . وكان لزاماً على قوات غودريان

المتقدمة استخدام جذوع الأشجار لدعم الطرقات ولمسافة عدد من الكيلومترات حتى يتم نقل الإمدادات القليلة وبعض المواد التموينية للقطعات المتقدمة .

وكانت قدرة الوحدات على التقدم مرتبطة بإمكانات التموين بالوقود أكثر من ارتباطها بحجم وقوة هذه الوحدات . ومن أجل ذلك تم في الفيلق المدرع ٢٤ جمع كل الدبابات الصالحة ، ودفعت مع لواء المشاة غروس دوتشلاند للعمل مقدمة على اتجاه تولا .

وتحركت قوات (غودريان) خلف هذه المقدمة وكانت مضطرة لمجابهة الهجمات المضادة والمتتالية للقوات السوفييتية ؛ ولمعالجة صعوبات التحرك . وأمكن في يوم ٢٨ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ الوصول حتى (بيزاريغو) على بعد ثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب من تولا .

وفي اليوم التالي (٢٩ تشرين الأول ـ أكتوبر) حاولت قوات غودريان ـ وقد وصلت حتى مسافة ٤ كم من تولا ـ القيام بهجوم سريع ومباغت للاستيلاء على تولا ، لكن القوات السوفييتية تصدت بحزم للهجوم الألماني ؛ وأحبطته ؛ وأنزلت بالقوات الألمانية خسائر فادحة في الدبابات والضباط ، فنظم غودريان حركة استدارة للوصول إلى شرق المدينة ونجحت المناورة ؛ بعد مسيرة شاقة ومضنية ؛ وبوغتت القوات السوفييتية ، غير أنها قاومت قوات الهجوم ببطولة . واستمر الصراع طوال عشرة أيام (٣ ـ ١٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر) أصيب خلاله عدد كبير من الجنود الألمان بالتجمد ، وعانوا صعوبات لا توصف .

قام (غودريان) بجولة في الجبهة يوم ٦ تشرين الثاني - نوفمبر - على متن طائرته ، وأوضح شعوره بعد عودته بالرسالة الآتية : « تعيش الوحدات في حالة مؤلمة . وتسوء قضيتنا لأن العدو يكسب الوقت ليتقدم أكثر فأكثر في فصل الشتاء . لقد انتابني حزن شديد ؛ فأقوى الإرادات تتحطم أمام هذه العوائق ؛ وتتلاشى المناسبات الملائمة للقيام بضربة قوية يوماً بعد يوم ؛ ولا أعرف ما إذا كانت ستتاح لنا مناسبات مماثلة ؛ إن الله وحده يعرف ما قد يحصل . ينبغي ألا نفقد الأمل ؛ وألا ندع الشجاعة تتحطم ؛ لكن التجربة الحالية صعبة جداً . . . أتمنى أن أتخذ عما قريب لهجة أكثر تفاؤلاً وأكثر مرحاً . ليس اليأس من صفاتي ؛ وإنما من الصعب التظاهر بالسرور » .

انخفضت درجة البرودة يوم ١٢ تشرين الثاني - نوفمبر - حتى (- ١٥) درجة ووصلت في اليوم التالي حتى (- ٢٢) درجة . واستمرت في التدني حتى وصلت في يوم ٥ كانون الأول - ديسمبر - ١٩٤١ حتى (- ٥٠) درجة . ويمكن تصور معاناة الجنود في هذا المناخ الصعب ؛ وهم يرتدون (الثياب الصيفية) .

عقد مؤتمر لقادة الجيوش في أورشا يوم ١٣ تشرين الثاني - نوفمبر - حضره قادة مجموعة الجيوش الوسطى ورئيس هيئة الأركان العامة للقوات البرية ، وفيه تم الإعلان عن (أمر الهجوم الخاص المزمع شنه في الربيع لعام ١٩٤٢) وحددت مدينة (غوركي) هدفاً رئيساً لجيش غودريان (الجيش المدرع الثاني) .

وكانت هذه المدينة تبعد ٦٠٠ كيلو متراً عن أورل وكانت تسمى (نجني - نوفغورود) ، فما كان من غودريان ، الا أن رفع

تقريراً إلى قائد مجموعة الجيوش أعلمه فيه بأن الجيش المدرع ليس في وضع يتيح له الاضطلاع بتنفيذ هذا الأمر . ومضى لتفقد قواته ؛ فوجد أن تعداد سرايا المشاة قد انخفض حتى أصبح تعداد المقاتلين في كل سرية لا يزيد على خمسين رجلاً ، وأن عدد الدبابات في أحد الألوية (لواء ايرباخ) لا يتجاوز ستين دبابة، بينما يجب أن يكون عدد الدبابات ٦٠٠ دبابة (على أساس ما تضمه الفرق الثلاث التي جمعت دباباتها في لواء ايرباخ) .

وخلال ذلك ؛ كانت القيادة السوفييتية تزج باستمرار قوات كثيرة ؛ مجهزة بكل ما تحتاجه من الأعتدة والوسائط القتالية للعمل في ظروف الشتاء القاسية ، حتى إذا ما كان يوم ١٧ تشرين الثاني - نوفمبر - دخلت إلى الجبهة (القوات السيبيرية) في منطقة (أوزلوفايا) . وتعرضت القوات الألمانية لخسائر فادحة ؛ واستطاعت رغم ذلك السيطرة على الموقف .

وكتب غودريان رسالة في هذا اليوم (١٧ تشرين الثاني - نوفمبر - (١٩٤١) جاء فيها : « اقتربنا من هدفنا النهائي ؛ خطوة خطوة ؛ وفي البرد القارس ، وها أنذا في مركز من مراكز استراحة الجنود التعساء . لا تزال الصعوبات التموينية بواسطة الخط الحديدي تتزايد يوماً بعد يوم ؛ وهي السبب الرئيسي فيما نزل بنا من القصور . إن العربات لا تستطيع السير بدون الوقود ؛ ولو لم تعترضنا هذه الصعوبات لأمكن لنا تحقيق هدفنا . فالوحدات تتحلى بالشجاعة ، وتنتزع النصر تلو النصر ، وتقاتل بصبر عجيب ، وتتغلب على جميع الصعوبات . لنقدر جنودنا لأنهم جنود أقوياء » .

وكان غودريان قد وضع مع هيئة أركانه مخطط الهجوم على أورشا منذ يوم ١٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وحدد يوم ١٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ موعداً لانطلاق قوات جيشه (الجيش المدرع الثاني) لتنفيذ هذا الهجوم . وقام بتحديد الواجبات والأهداف لفيالقه الثلاثة (٤٧ و٥٣ و٢٤) . وانطلقت القوات إلى أهدافها في الموعد المحدد ؛ ولم يكن نصيبها من النجاح واحداً ؛ تبعاً للمقاومات السوفييتية التي كانت تصطدم بها ؛ وتبعاً لطبيعة الأرض وصلاحيتها للتقدم . وأمكن الاستيلاء على (ييبيغان) و (ديلوفو) و(بولوخوفو) و (اوزلوفويا) وكان الثمن الذي دفعته القوات غالياً .

وكتب غودريان رسالة (يوم ٢١ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤١) جاء فيها : « إن البرد القارس ؛ والثكنات القديمة ؛ والنقص في الألبسة ؛ والخسائر المرتفعة بالرجال والعتاد ؛ والتموين السيء بالوقود ؛ كل ذلك مما يقلق القيادة ، ويعيق إدارة الحرب . وأرى نفسي طوال هذه المدة وأنا مثقل بالمسؤوليات ، ولم يفكر أحد بحمل هذه الأعباء معي ولا شيء غير الأحاديث الطيبة التي توجه إلي . لقد قضيت الأيام الثلاثة الماضية في الجبهة لتكوين فكرة موضوعية عن ظروف الحياة فيها . وسأذهب في يوم الأحد القادم إلى قيادة مجموعة الجيوش ـ إذا ما أتاح الوضع القتالي هذه الفرصة ـ لأعرض ما أتوقعه من تحولات في المستقبل القريب الذي لم تصلنا عنه أية تعليمات . فما هي أفكار القيادة بشأن هذا المستقبل ؟ لا أعرف شيئاً عن ذلك ؛ ولا أدري إن كان باستطاعتنا إعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي عند حلول الربيع ؟ » . . .

توجه (غودريان) لمقابلة قائد مجموعة جيوش الوسط بعد ظهر يوم ٢٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وطلب تبديل مهمته التي بات من المحال تنفيذها . فأعلمه قائد مجموعة الجيوش (فون رونشتد) أنه رفع كافة التقارير التي أرسلها (غودريان) إلى القيادة العليا ، وأن هذه القيادة على اطلاع تام بالموقف من كل جوانبه (موقف القوات الصديقة والقوات المعادية والصعوبات المختلفة) .

وعاد غودريان من مقابلته وهو يشعر بالإحباط لفشل مسعاه . فتابع عمله في معالجة المواقف ؛ وإدارة الحرب ؛ وتنسيق التعاون بين القوات لإحباط الهجمات السوفييتية ؛ وأمكن تحقيق بعض الانتصارات الصغرى .

وكان الموقف العام لجيش غودريان مشابهاً لما كان عليه موقف الجيوش الأخرى ، مما أغضب القيادة العليا التي صبت جام غضبها على قيادات الجبهات والجيوش ؛ فصدر الأمر بعزل قائد مجموعة جيوش الوسط (فون رونشتد) واستبداله بالمارشال (فون ريشنو) يوم ٣٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤١ .

وكانت القوات الألمانية التي قدر عددها بثلاثة ملايين ونصف المليون مقاتل ، قد خسرت على الجبهة الشرقية ٧٤٣ ألف رجل ؛ أي ما يعادل ٢٣ بالمائة من قوتها الأساسية . وقد ظهر بوضوح صعوبة التعويض عن هذه الخسائر ، في حين كانت القوات السوفييتية تتمتع باحتياط ضخم من القوى والوسائل القتالية ؛ وتزج في كل يوم بقوات جديدة .

وأصبح جيش غودريان معرضاً باستمرار للتهديد على مجنباته

ومؤخراته. ووجد (غودريان) أن العلاج الأمثل للموقف هو في الانسحاب إلى الخط الدفاعي المحصن (بين زوسا ـ وأوكا) ، والذي تم دعمه وتنظيمه منذ شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ولكن القيادة العليا لم توافق على اقتراح غودريان .

وكتب غودريان رسالة يوم ٨ كانون الأول ـ ديسمبر ـ جاء فيها « نواجه الآن موقفاً خطيراً ؛ لقد طلبت القيادة تنفيذ واجبات تتطلب الكثير من الرجال ؛ ولم تصدق أن القدرة القتالية للقوات قد انخفضت كثيراً ؛ فاستمرت بطلب التضحيات بدون أن تهتم بصعوبات الشتاء . ولقد فوجئت الوحدات الآن بحلول البرد الروسي الشديد الذي أدى إلى انخفاض درجة الحرارة إلى ما دون ٣٥ درجة تحت الصفر . ولم تعد قوة التشكيلات كافية لإحراز النصر في الهجوم على موسكو . لذلك فقد اضطررت في يوم ٥ كانون الأول ـ ديسمبر ـ والحزن يملأ قلبي ؛ لإيقاف قتال لا جدوى منه ؛ والانسحاب إلى خط ضيق وقع عليه اختياري ؛ وإنني آمل التمسك به بما تبقى لدي من القوات . فالقوات السوفييتية تطاردنا باستمرار ؛ وعلينا توقع مواجهة الأنواع المختلفة من الصعوبات . كانت الخسائر فادحة ؛ لا سيما ما سببته الأمراض وتجلد الأصابع ؛ ولدينا أمل بإمكان اختيار بعض العناصر من الوحدات بعد حصولها على قسط من الراحة ، إلا أنه لا سبيل إلى الإفادة منها حالياً . كانت الأضرار التي سببها البرد في العربات والمدافع كبيرة جداً ، ونستخدم الزلاقات الآن ؛ وهي أفضل حل لمشاكلنا الحالية ؛ لكنها لا تقدم خدمات كبيرة . ولقد استطعنا لحسن الحظ الاحتفاظ بدباباتنا وهي تسير سيراً حسناً ؛ ولكن هل يمكننا استخدامها في

هذا البرد الشديد ؟ لا يعرف ذلك إلا الله . لقد بدأت تعاستنا في روستوف ، وكان ذلك تحذيراً من القدر ، وما زلنا نتابع هجومنا . ولم يؤد انتقالي بالطائرة إلى مجموعة الجيوش بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ إلى نتيجة ، فتابعنا الهجوم بدون اتجاه محدد ، عندئذ انهار الجار الشمالي ؛ وفقد الجار الجنوبي قدرته القتالية . وهكذا لم يبق أمامي سوى حل واحد . ولم يكن باستطاعتي التغلب بمفردي على الخصم في الجبهة الشرقية . . . لقد استقبلت مارشال القوات الجوية ـ ريشتوفن ـ وجرى بيننا حديث طويل ؛ فلاحظنا تشابهاً في أفكارنا وآرائنا . وبعد ذلك تحدثت إلى قائد الجيش الذي يعمل على يميني ـ الجنرال شميدت ـ فشاركني أيضاً في تفكيري . وكثيرون هم الذين اقتنعوا برأيي وشاركوني إياه ؛ ولكن ما قيمة ذلك إن لم يكن هناك من يسألنا رأينا ؟ . إنني لم أكن أتصور ـ أو أتخيل ـ أبداً انه بالمستطاع تخريب موقف جيد كهذا التخريب خلال شهرين فقط . فلو اتخذت القيادة قرارها بفك الاشتباك مع العدو في الوقت المناسب ؛ واحتلال خط يصلح للدفاع أثناء فصل الشتاء ؛ لما نشأ هذا الوضع الخطير ؛ ولما خيم الغموض على كل شيء طوال أشهر عديدة . لست قلقاً على وضعي الشخصي ، إنما أنا قلق لشيء ثمين : وطني ألمانيا ؛ مبعث شعوري بالمخاوف » .

تمكنت القوات السوفييتية من إحداث خرق في جبهة جيش غودريان يوم ٩ كانون الأول ـ ديسمبر ـ (في قطاع لفني) ، وأمكن معالجة الموقف بجهد كبير وتضحيات ضخمة . فرفع (غودريان) في اليوم التالي تقريراً إلى المعاون الأول لهتلر (شمندت) وإلى رئيس فرع الأفراد في القيادة العليا ؛ شرح فيه الموقف . وكتب في اليوم

ذاته (يوم ١٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١) رسالة إلى عائلته جاء فيها :

« بعثت برسالتين إلى ـ شمندت وكيتل ـ وأرجو أن تصلهما في الوقت المناسب ، فلا زالت هناك فرصة لإنقاذ أشياء كثيرة ؛ وللتخلص من المأزق ؛ إذا ما تم الاعتماد على الرأي السديد والإرادة الصلبة . إننا لم نقدر العدو حق قدره ؛ ولم نعرفه على حقيقته ؛ كما أننا لم نضع في تقديرنا اتساع الأقاليم وأخطار إقليمها ومناخها . وبدأت الحقائق الآن في فرض وجودها ؛ والثأر لتجاهلها . ولقد استطعت لحسن الحظ فك الاشتباك مع العدو يوم ٥ كانون الأول ـ ديسمبر ـ بدون الحصول على موافقة مسبقة ؛ ولولا ذلك لحلت بنا مصيبة لا يمكن تفاديها »

أمضى (غودريان) اثنتي وعشرين ساعة من يوم ١٤ كانون الأول ـ ديسمبر ـ وسط العواصف الثلجية وذلك للوصول إلى (روسلافل) والاجتماع بقائد القوات البرية (المارشال فون بروختش) وقائد مجموعة جيوش الوسط (المارشال فون كلاك) ، حيث طلب (غودريان) الموافقة على سحب قواته حتى خط (زوسا ـ أوكا) بعد أن عجزت قواته عن التمسك بخط (ستالينو ـ غورسك ـ شات ـ أوبا) . وحصل غودريان على الموافقة ، ولما عاد إلى مقر قيادته ؛ في تلك الليلة ؛ كتب ما يلي :

« أمضي الليل في غالب الأحيان وأنا متمدد على الفراش ؛ محروم من النوم ؛ ممعن التفكير في العثور على حل ينقذ جنودي البؤساء الذين ينامون في العراء ، لا يحميهم شيء من الجو الشتوي البارد . إنه أمر مخيف لا يمكن تصوره . لم يشاهد ضباط القيادة

العليا للجيش البري الجبهة ؛ ولهذا لم تتوافر لهم فرصة تكوين فكرة واضحة عن شروط الحياة فيها ، ولهذا أيضاً فقد استمروا في ارسال الأوامر التي لا يمكن تنفيذها ، وضربوا عرض الحائط بالطلبات التي رفعناها لهم ».

تلقى (غودريان) نداء هاتفياً من هتلر في مساء يوم ١٦ كانون الأول ـ ديسمبر ـ طلب فيه هتلر من الوحدات التوقف عن الانسحاب ؛ والصمود ؛ ووعد بإرسال امدادات (٥٠٠ رجل) عن طريق الجو . ولكن الوحدات كانت قد قطعت شوطاً بعيداً على طريق الانسحاب ؛ وبات من العسير إيقافها .

وقام (غودريان) في اليوم التالي (١٧ كانون الأول ـ ديسمبر) بزيارة لقادة الفيالق ؛ ولقادة الجيوش المجاورة ، وأجرى نقاشاً مع القادة ، وقرر في النهاية ـ وبموافقة القادة جميعاً ـ التوجه بالطائرة إلى المقر العام للفوهرر لتقديم تقرير شخصي .

وأجرى (غودريان) اتصالاً مع القيادة العليا ، وحدد يوم ٢٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١ موعداً للمقابلة . وقال القادة لغودريان وقد عرفوا تصميمه على مقابلة الفوهرر : « **أيها الكاهن ! أيها الكاهن الصغير ! إنك تسير في طريق وعر** ».

وكان غودريان يشعر بأنه ليس من السهل استمالة هتلر إلى وجهة نظره . ولكن كانت ثقته بالقيادة العليا ثقة كبيرة ، فكان يعتقد بأن هتلر سيرحب بالطلبات المنطقية التي حملها إليه قائد عاش طويلاً في الجبهة .

وهكذا ؛ وصل غودريان بطائرته إلى مطار (استنبورغ) في

الساعة ١٥,٣٠ ، واستقبله هتلر في الساعة ١٨,٠٠ بحضور عدد من كبار القادة ـ من مستشاري هتلر ـ .

وبدأ غودريان المؤتمر بوصف حالة جيشه ؛ وانسحابه إلى خط (زوسا ـ أوكا) على مراحل .

وكان غودريان يعتقد بأن هتلر على اطلاع بمسيرة الأحداث ، فبوغت عندما قال له هتلر : « **كلا ! لا أوافق على ذلك** » . وعندها قال له غودريان بأن القوات قد شرعت في تحركها نحو الخط الجديد ؛ وهو خط مناسب أمام النهر ؛ وأنه ليست هناك طريقة أخرى للمحافظة على القوات ؛ وللتمركز خلال فصل الشتاء على مواضع قوية .

ورد هتلر : « **يجب عليكم التمسك بالأرض والدفاع عن كل متر مربع فيها** »

وأجاب غودريان : « **من المحال التشبث في كل مكان من الأرض . فعمق الجليد يصل إلى المتر وإلى المتر والنصف ؛ وليست هناك أعتدة ميدانية تمكن من الحفر** » .

فقال هتلر : « **افتحوا مواقع على شكل حفر باستخدام مدافع الميدان الثقيلة . هكذا كنا نفعل في مقاطعة ـ فلاندر ـ خلال الحرب العالمية الأولى** » .

وأجاب غودريان : « احتلت فرقنا في الحرب العالمية الأولى قطاعاتها في فلاندر بعرض ٤ ـ ٦ كم ، وكانت تدافع عنها مجموعتان أو ثلاث مجموعات من المدفعية الثقيلة ؛ وكانت الذخائر متوافرة بكميات كافية . أما فرق جيشي فهي تدافع عن جبهات تمتد من

عشرين إلى أربعين كيلومتراً ، ولا تملك الفرقة الواحدة أكثر من ٤ مدافع ثقيلة مع خمسين قذيفة لكل مدفع ، فإذا استخدمتها للحفر ؛ فإن كل مدفع سيحفر خمسين حفرة مسطحة وغير عميقة مع بقعة سوداء حولها ، ولا يمكن تسمية موقع كهذا بالموقع الدفاعي ، ولم يبلغ البرد في الفلاندر ما نتحمله الآن . كما أنني أحتاج من ناحية أخرى للذخائر من أَجل مجابهة هجمات القوات السوفييتية ؛ وإننا لا نستطيع الآن أيضاً غرس الأعمدة المدببة في الأرض لتمديد خطوطنا الهاتفية عليها . وعلينا حفر الحفر بالمتفجرات وليس لدينا متفجرات لبناء موضع كهذا ».

لكن هتلر أصر على تنفيذ أمره : « التشبث بالأرض حيث نحن ».

فقال غودريان عندئذ : « هذا يعني إذن الانتقال إلى حرب المواضع في أرض غير ملائمة ؛ على نحو ما حدث في الجبهة الغربية خلال الحرب العالمية الأولى ؛ وعندها نعود إلى معارك العتاد ، ونتعرض للخسائر التي حملنا أعباءها بدون تحقيق النصر . وسنضحي في هذا الشتاء إذا ما أخذنا بهذا التكتيك بنخبة من ضباطنا وصف ضباطنا وبالإحتياط المخصص لوحداتنا . ولا جدوى من هذه التضحية . كما لا نستطيع من جهة ثانية تعويضها ».

وسأل هتلر : « هل تعتقد أن رماة فريدريك الكبير قد ماتوا طوعاً ؟ هم أيضاً أرادوا الحياة لكن الملك كان على حق عندما طلب منهم التضحية بحياتهم . وأعتبر نفسي على حق أيضاً عندما أطلب من كل جندي ألماني التضحية بحياته ».

فقال غودريان : « يعرف كل جندي ألماني أن عليه وضع حياته تحت تصرف وطنه في زمن الحرب . وقد برهن جنودنا حتى الآن أنهم مستعدون حقاً للقيام بهذه التضحية ، ولكن علينا ألا نطلب ذلك منهم ؛ إلا إذا كان الهدف ثميناً . إن الدروس التي استخلصتها تدل أننا سائرون على طريق الخسائر بدون أية نسبة معقولة بينها وبين النتائج التي تم بلوغها . وأعتقد أن القطعات لا تجد المواقع المحصنة التي أنشأناها في معارك الخريف إلا على خط (زوسا ـ أوكا) حيث تتوافر لها الحماية الكافية من البرد . وانني أطلب التفكير بالقضية الأساسية وهي أن البرد القارس قد قتل ضعفي ما قتلته نيران العدو وإن من شاهد المستشفيات المكتظة بالجنود المتجلدين ـ المتجمدين ـ يعرف معنى ما أقول . فليس العدو هو الذي سبب لنا الخسائر الفادحة ؛ وإنما هو البرد »

وهنا قال هتلر : « انني أعلم أنك عملت بجد ونشاط ؛ وأنك رافقت الوحدات . اعترف بذلك ؛ لكنك قريب من الحوادث ؛ وتتأثر بآلام الجندي ؛ وإنك تشفق عليه . فعليك أن تبتعد قليلاً عن الوحدات . صدقني ؛ سترى الأشياء من بعيد بوضوح أكثر » .

وأجاب غودريان : « يدعوني واجبي للتخفيف من آلام جنودي قدر المستطاع ؛ وهذا بدهي . لكن الأمر صعب بالنسبة للرجال وهم لا يملكون الألبسة الشتوية ، وتسير المشاة بكاملها وهي بألبسة العمل ؛ أما الأحذية والألبسة الداخلية والقفازات والقبعات الشتوية فهي مفقودة ، وما هو متوافر منها قديم وتالف ـ بال » .

قال هتلر بغضب : « هذا ليس صحيحاً . لقد أعلمني رئيس

الشعبة الرابعة أنه أرسل التجهيزات الشتوية ».

فأجابه غودريان : « لقد أرسل التجهيزات بكل تأكيد ؛ لكنها لم تصلنا . وأنا أتابع طريقها إلينا متابعة دقيقة . وهي الآن في محطة فارصوفيا منذ أسابيع ؛ وما تزال هناك لنقص القاطرات وازدحام الخطوط الحديدية . وقد رفضت طلباتنا فجأة في شهر أيلول وتشرين الأول ـ سبتمبر وأكتوبر ـ وقد فات الأوان الآن ».

تم استدعاء رئيس الشعبة الرابعة ، فأكد صحة سرد غودريان للحوادث ؛ لأن حملة الألبسة التي قام بها غوبلز في عيد الميلاد لسنة ١٩٤١ كانت نتيجة لهذا الجدال ؛ ولكن الألبسة لم تصل إلى الجنود في شتاء ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ .

وجرى الحديث بعد ذلك عن مسألة ملاكات الوحدات المقاتلة والإدارات ؛ اذ أن وحدات نقل التموين لم تعد كافية لا في الجبهة ولا في المؤخرات بسبب تعطل عدد ضخم من مركبات النقل في فصل الطين ؛ ولهذا لم يتم التعويض عن العتاد المفقود . وكان على الوحدات التغلب على العقبات بإمكاناتها المحدودة وبالوسائط المتوافرة لها ؛ وهي عربات الفلاحين والزلاقات ذات الحمولات المحدودة . وكان عليها استخدام عدد هائل من هذه الوسائط للتعويض عن مركبات النقل ؛ مع ما تتطلبه هذه الوسائط من عدد كبير من الرجال لاستخدامها . وقد طلب هتلر بإلحاح التخفيف من الذيل الإرادي لدعم الوحدات المقاتلة في الجبهة بالأفراد . وأخذ أكبر عدد من عناصر التموين والإمداد لزيادة عدد البواريد في الجبهة . ولم يكن قادة التشكيلات والوحدات بحاجة لمثل هذه (المواعظ والنصائح) ، فقد عملوا على تنفيذها بمبادأتهم ؛ ودون أن

يعرضوا التموين للخطر .

لقد كان هتلر وجهاز قيادته ومستشاروه يجهلون الكثير عن أوضاع الجبهة ؛ وعن المقاتل في الجبهة ؛ ولم تكن هذه هي كل المشكلة ؛ بل إن المشكلة الحقيقية هي في إصرار هتلر وجهاز قيادته على تجاهل الحقائق المتناقضة مع رغباتهم ومخططاتهم وأهدافهم .

ولقد حاول (غودريان) إزاحة الغشاوة عن عيون القيادة ؛ فاقترح إرسال القادة في هيئات الأركان العامة إلى الجبهة ؛ واستبدالهم بقادة ممن خدموا بالجبهة . وهنا كان غودريان كمن وضع نفسه في مواجهة خلية للنحل .

وانتهت المقابلة ؛ وكل طرف متمسك بقناعاته وأفكاره . ولم يبق على غودريان إلا تنفيذ رغبات القيادة العليا وأوامرها .

وهكذا عاد غودريان إلى (أورل) يوم ٢١ كانون الأول - ديسمبر - وشرع على الفور بإصدار الأوامر إلى الوحدات بالبقاء في مواقعها ؛ والدفاع عن الأماكن التي وصلت إليها . وكانت هذه بدقة هي الفرصة التي تريدها القيادة السوفييتية التي زجت قوات ضخمة ضد قوات غودريان المتقدمة .

واقتربت ليلة عيد الميلاد ، ومضى غودريان لزيارة قادة فيالقه وفرقه ليشرح لهم أوامر القيادة ؛ في محاولة لتنظيم خطوط دفاعية جديدة ؛ ولمواجهة القوات السوفييتية المتفوقة ، ولسد الثغرات الواسعة ؛ وتنظيم الهجمات المضادة .

وأمضى غودريان ليل عيد الميلاد مع جنوده المرضى في المستشفيات والمصحات . وأثناء ذلك (في ليل ٢٤ - ٢٥ كانون

الأول ـ ديسمبر) قامت القوات السوفييتية بهجوم عنيف فتمكنت من الاستيلاء على (تسرن) وإحداث ثغرة كبيرة في قطاع الجبهة وتطويق القوات (من فرقة المشاة الآلية العاشرة) ، فما كان من قيادة مجموعة الجيوش وقد أعلمها غودريان عن الموقف ؛ إلا أن وجهت إلى غودريان توبيخاً عنيفاً ؛ وكأنه هو المسؤول عن الفشل ؛ وعن التمسك بمدينة (تسرن) ، فما كان من غودريان إلا أن أعلم القيادة بأن تمسكه بمدينة (تسرن) لم يكن إلا تنفيذاً لأوامر هتلر الشخصية .

وحدث في اليوم التالي (٢٥ كانون الأول ـ ديسمبر) نقاش حاد بين غودريان وبين قائد مجموعة جيوش الوسط (فون كلاك) الذي اتهم غودريان بإرسال تقارير خاطئة عن الموقف ؛ وهدده برفع تقرير إلى الفوهرر . وهنا طفح الكيل بغودريان ؛ وطلب إلى القيادة إعفاءه من قيادته . وسرعان ما جاءت موافقة هتلر .

لقد تنكرت القيادة لجهود غودريان ؛ وتجاهلت كفاءته لمعالجة مواقف الجبهة . ولم يكن وحده على كل حال ممن كان لزاماً تحميله تبعات الفشل . فقد تم إعفاء عدد من كبار القادة في موجة من موجات الغضب التي كانت ـ أو أخذت ـ تنتاب هتلر . ولم يبق على غودريان إلا مغادرة مقر قيادته (يوم ٢٦ كانون الأول ـ ديسمبر) وودع قواته بكلمات قليلة ومؤثرة(*)، ومضى إلى برلين . فوصلها في اليوم الأول من العام الجديد ١٩٤٢ .

لقد ابتعد غودريان عن الجبهة ، لكن الجبهة لا زالت تعيش في وجوده .

(*) انظر قراءات ٣ ـ في آخر الكتاب .

« لا يمكن إحراز النصر إلا بحشد القوى المدرعة كلها في المكان الملائم ؛ وعلى الأرض المناسبة ؛ وتحقيق المباغتة المزدوجة بالعدد والعتاد » .

غودريان

الفصل الثالث

في مواجهة البلاء

١٠ ـ السيف في غمده .

١١ ـ من (القلعة) إلى (جبهة الغرب) .

١٢ ـ المؤامرة .

١٣ ـ رئاسة هيئة الأركان .

١٤ ـ الأيام الأخيرة .

١٠ ـ السيف في غمده

« لقد عومل هذا الرجل معاملة غير عادلة . إن جيشه يقف إلى جانبه ويرتبط به ارتباطاً شديداً ، وعلينا السعي إلى طريقة تعيد الأمور إلى نصابها » .

هذا ما قاله مندوب القيادة العليا الذي كلف باستيضاح الأمور عن غودريان ، ولكن هتلر لم يكن على استعداد لإنصاف القادة الذين شملتهم إجراءاته التعسفية . ولم يستجب لطلب غودريان الذي رغب ـ فور عودته إلى برلين ـ بإحالته إلى مجلس حربي ؛ لمناقشته في أعماله القيادية .

وهكذا ؛ وضع غودريان في منزله ؛ واحتسبت عليه جميع خطواته وأحاديثه وحركاته ؛ وكان يعرف ذلك ، فانزوى خلال الأشهر الأولى من العام ١٩٤٢ لا يغادر منزله إلا في مناسبات نادرة .

وأدت صعوبات الأشهر الماضية وما رافقها من ازعاجات ومضايقات إلى إصابته بنوبة قلبية حادة ؛ فقرر بناء على نصيحة طبيبه الحصول على استراحة لمدة أربعة أسابيع يقضيها في (مدينة بادن ـ ويلر) .

وهكذا انتقل في نهاية شهر آذار ـ مارس ـ ١٩٤٢ إلى منتجع توافرت فيه أسباب الراحة ؛ وحمامات المياه الساخنة ؛ والمناظر

الجميلة ، مما أعاد لغودريان بعضاً من الصفاء لذهنه وبعضاً من الشفاء لقلبه ، فعاد إلى برلين . ولكن القلق ما لبث أن عاوده بسبب مرض زوجته مرضاً ألزمها الفراش طوال أشهر متتالية (التسمم في الدم) . وفي الوقت ذاته ؛ عادت الزيارات المزعجة والمفروضة ؛ وعادت الأنظار الفضولية لترصد حركات غودريان وسكناته ، وأصبحت الحياة في عاصمة الرايخ أثقل من أن تحتملها نفس غودريان المتعبة ؛ فقرر الهرب من العاصمة واللجوء إلى إرث صغير يسمح له بشراء منزل بسيط على شواطىء بحيرة كونستانس . ولكن القيادة لم تسمح له بتحقيق رغبته .

وعاوده المرض مع إطلالة فصل الخريف ؛ وتدهورت حالته الصحية بسرعة حتى أصابه الإنهيار التام في نهاية شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢ . فكان يمضي أياماً وهو في حالة فقد للوعي وبدون طعام . وأشرف كبار الاختصاصيين على علاجه ؛ حتى تم إنقاذه ، فبدأ رويداً رويداً بالتماثل للشفاء .

لم يكن المرض ؛ ولا الظروف القاسية ؛ لتمنع غودريان عن متابعة تطورات الأعمال القتالية على كافة الجبهات . كما لم تكن الانتصارات المذهلة التي حققتها القوات الألمانية على الجبهة الشرقية (وصلت بالقوات الألمانية إلى القفقاس ونهر الفولغا) ، أو تلك التي كان يحرزها رومل في شمال أفريقيا ، لتحجب عن أنظار غودريان الاحتمالات الخطرة للتطورات القادمة . وكان يرى في كل عمل ناجح نتائجه السلبية. ولقد رأى على سبيل المثال في إغارة المغاوير البريطانيين ـ الكوماندو ـ على (دييب)[1] تجربة إنزال عبر المانش

---

(١) دييب : (DIEPPE) مدينة فرنسية في مقاطعة السين الأسفل ـ على بحر =

لقوات أكبر عدداً؛ وأشد بأساً .

لقد استخلص من تجربته السابقة بأن المشكلة تكمن أولاً في النهج الخاطىء لإدارة الحرب والذي يعتمده هتلر وجهاز قيادته . وثانياً في ضعف القوى والوسائط القتالية بالمقارنة مع ما يمتلكه أعداء ألمانيا على كافة الجبهات . ولهذا لم يكن غريباً ألا يشعر غودريان بالتفاؤل لما أحرزته القوات الألمانية على مسارح العمليات من انتصارات ؛ طالما أن الأسس الاستراتيجية للصراع بقيت ثابتة ولم تتغير .

لم ينقطع غودريان ـ وهو على ما هو عليه من مرض ومن عزلة ـ عن متابعة تطور السلاح المدرع ؛ بعد أن فرضت الدبابة السوفييتية (ت ٣٤) تحد ثقيل على السلاح المدرع الألماني . فوضع المهندسون والاختصاصيون مخطط صناعة الدبابة (النمر ـ تايغر ـ) لتكون بوزن ستين طناً ؛ ولدبابة (الفهد ـ البانثر ـ) لتكون أخف وزناً (بين ٣٥ ـ ٤٠ طناً) . وكان المعدل الوسطي للانتاج هو ١٢٥ دبابة شهرياً (في منتصف العام ١٩٤٠) فطلب هتلر رفع الإنتاج إلى ٦٠٠ دبابة شهرياً .

وفي الوقت ذاته عقد هتلر مؤتمراً في ٢٣ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٢ لبحث ادخال القنبلة ذات الحشوة الجوفاء في ذخيرة المدفعية ، كما أدخل محرك الديزل المبرد بالهواء إلى الدبابة ؛ بالإضافة إلى زيادة القدرة النارية للدبابات باستخدام مدفعية ثقيلة (عيار ٧٥ و ١٠٠ مم).

= المانش . قامت قوة بريطانية بالإغارة عليها في ١٩ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٢ ، وكانت من الأعمال الرائعة لوحدات المغاوير .

أخذت توقعات (غودريان) بالظهور تباعاً ؛ فقد بدأ الموقف بالتدهور سراعاً مع اقتراب سنة ١٩٤٢ من نهايتها . فعلى الجبهة الشرقية ؛ سقطت ستالينغراد في قبضة القوات السوفييتية ؛ وتم أسر الجيش الألماني السادس بكامله تقريباً . وعلى الجبهة الأفريقية ، قام الحلفاء بإنزال قواتهم في المغرب والجزائر (عملية مشعل) في ٧ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢ . وأعقب ذلك التقاء الرئيسين الأمريكي والبريطاني (روزفلت وتشرشل) في الدار البيضاء ـ كازابلانكا ـ من ١٤ إلى ٢٣ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٣ حيث صدر الإعلان عن مطالبة ألمانيا بالاستسلام (دون قيد ولا شرط) . وظهر واضحاً أن التيار قد بدأ في التحول ضد ألمانيا . **فهل سيبقى السيف في غمده ؟ وهل سيبقى (غودريان) في عزلته ؟**

لقد كان الموقف خطيراً وكبيراً ؛ لقد اهتزت الروح المعنوية بعنف وقوة على مستوى الشعب الألماني وقواته المسلحة ؛ وهيمنت الظلمة على أفق المستقبل الألماني ـ وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر ـ . وتلفت القادة نحو ذلك السلاح الذي حقق لهم الانتصارات الرائعة في بداية الحرب ـ السلاح المدرع ـ فوجدوه وقد تثلم ؛ وبدأ البحث عن الرجل المناسب الذي يستطيع انقاذ الموقف في اللحظة المناسبة . ووضع أعضاء القيادة من حاشية هتلر ـ أو بعضهم على الأقل ـ على طاولة هتلر ، ما كان قد كتبه غودريان من مؤلفات ـ قبل الحرب ـ عن السلاح المدرع ؛ وحصلوا منه على وعد بقراءة هذه المؤلفات . ثم عرضوا عليه استدعاء غودريان ـ وإخراجه من غمده ـ ومنحه فرصة الدفاع عن نفسه ولو مرة واحدة .

وهكذا ؛ وبينما كان غودريان يبحث عن قطعة أرض ليقيم عليها مشروعاً زراعياً صغيراً ؛ تلقى هاتفاً يوم ١٧ شباط - فبراير - ١٩٤٣ باستدعائه إلى القيادة ؛ وكانت مباغتة مذهلة . ترى ماذا يريدون منه ؟ إنه يعرف أن ألمانيا قد وقفت على شفا جرف حاد يتهددها بكارثة مرعبة . فماذا يستطيع أن يفعله ؟ .

مضى غودريان للمقابلة يوم ١٨ شباط - فبراير - ١٩٤٣ ، وهو رازح تحت الهواجس المختلفة ، فماذا يريدون منه ؟ لقد رافقه الملازم بك في القطار إلى (هاستنبورغ) في بروسيا الغربية ، والتقى في القطار بزميله القديم - الجنرال كمبف - الذي حدثه كثيراً عن مسيرة الأعمال القتالية خلال السنة الماضية . وعندما وصل إلى (هاستنبورغ) استقل الطائرة إلى (راستنبوغ) حيث استقبله في مطارها معاون كيتل (الرائد ويس) الذي لم يتمكن أن يذكر له بالتفصيل عن الهدف من استدعائه . ثم انتقل على الفور بالطائرة إلى (فينتزا) فوصلها بعد ظهر يوم ١٩ شباط - فبراير - وانتقل إلى الفندق العسكري (تل الصيادين) .

استقبل غودريان في صبيحة اليوم التالي (٢٠ شباط - فبراير) مساعد هتلر الأول (الجنرال شميدت) الذي حدثه باسهاب عن نوايا هتلر ؛ وعن إمكانات تنفيذها . ومما قاله له : بأن تفوق القوات المدرعة السوفييتية المتزايد قد وضع القوات المدرعة الألمانية أمام مأزق صعب ؛ فبات لزاماً تجديدها بسرعة . ونظراً للاختلاف الكبير بين نوايا هيئة الأركان العامة من جهة ؛ وبين نوايا وزارة التسلح والذخائر من جهة ثانية . ونظراً أيضاً لضياع ثقة القوات المدرعة بقيادتها ومطالبتها باسناد القيادة إلى رجال تتوافر لهم الكفاءة

والخبرة والحزم ؛ فقد قرر هتلر تسليمك قيادة في السلاح المدرع ، وهو يسألك عما تقترحه للنهوض بالسلاح المدرع من كبوته .

وأجاب غودريان : « إنني مستعد لتلبية نداء هتلر ؛ من أجل مجابهة الموقف السيء لشعبي وسلاحه المدرع ! » .

لقد أعطى غودريان إجابته ؛ وكان لا يزال في طور النقاهة من مرضه . فكان من المحال عليه بذل الجهد الذي كان يبذله في أعماله السابقة . وكان عليه تجنب الثغرات التي أدت إلى إحباط جهوده خلال قيادته الماضية ؛ فطلب ألا يكون مرتبطاً برئيس هيئة الأركان العامة للقوات البرية ؛ وألا يكون مرتبطاً بقيادة رئيس احتياط الجيش البري ؛ بل أن يكون مرتبطاً بشخص هتلر ارتباطاً مباشراً .

هذا من جهة ؛ ومن جهة ثانية فقد طلب غودريان إلى القيادة أن تمنحه السلطة الكاملة والحرية التامة لتطوير العتاد المدرع وللعمل مع فرع الأفراد وإدارة التسلح ؛ لأن تحقيق هذه الشروط هو الأساس لإعادة قوة الصدمة للسلاح المدرع .

كما طلب غودريان أيضاً الحصول على موافقة هتلر للإطلاع على تنظيم الوحدات المدرعة التابعة للطيران ؛ والوحدات الخاصة ؛ وتشكيلها ، وأن تخضع لقيادته أيضاً الوحدات المدرعة التابعة للجيش البري ، والمنشآت التعليمية .

وطلب (غودريان) إلى (الجنرال شمندت) عرض هذا

البرنامج على الفوهرر ، وعدم استدعائه لمقابلته إلا في حال موافقته عليه ، وإلا فإنه من الأفضل إعادته إلى برلين وإعفائه من تبعات المنصب الجديد ـ وقد دامت المحادثة زهاء ساعتين ـ .

ما كاد (شمندت) يصل إلى المقر العام ويقابل هتلر ؛ حتى عاود الاتصال بغودريان ـ هاتفياً ـ وطلب إليه إعداد تقرير لتقديمه إلى هتلر في الساعة ١٥,١٥ .

وفي هذا الموعد استقبل هتلر غودريان ؛ ولما كان غودريان قد انقطع عن رؤية هتلر منذ ٢٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١ ، فقد دهش لرؤية هتلر وقد بدت عليه ملامح الشيخوخة خلال هذه الفترة القصيرة . إنه لم يعد يمتلك اللهجة الحازمة التي كانت له من قبل ؛ بل كان يتكلم بتردد ؛ ويده اليسرى ترتجف ؛ وبدأ هتلر الحديث بقوله :

« لقد افترقت طرقنا منذ العام ١٩٤١ ؛ وحدث في هذه الفترة كثير من سوء التفاهم ؛ يؤسفني وقوعه . وإنني أحتاج إليك ! »

وأجاب غودريان : « انني مستعد ؛ وسأحاول القيام بعمل فعال إذا تمت الموافقة على شروطي » .

فرد هتلر : « اني أعتزم تعيينك مفتشاً عاماً للوحدات المدرعة . وقد أطلعني شمندت على رأيك في هذه القضية . وإني موافق عليه ، وأطلب إليك وضع أمر إداري على هذا الأساس ؛ وتقديمه إلي . لقد قرأت مؤلفاتك المكتوبة قبل الحرب ـ عن السلاح المدرع ـ . ولقد صدقت توقعاتك وعليك الآن تقديم البرهان

عملياً على صحة أفكارك ! » .

مضى (غودريان) بعد مقابلته التي استمرت ٤٥ دقيقة ؛ فقابل زملاءه القدامى في هيئة الأركان العامة ؛ واستوضح منهم عن كثير من النقاط والتطورات التي كان يجهلها بسبب غيابه عن مسرح الأحداث . ثم عكف على وضع تقريره بالتعاون مع القيادات المختلفة ؛ وحدد (التوجيهات الادارية) التي تحدد واجباته ومسؤولياته وسلطاته في منصبه الجديد (المفتش العام للوحدات المدرعة) .

وأصدر هتلر هذا التوجيه يوم ٢٨ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٣(*) . **وأصبح باستطاعة غودريان ممارسة واجباته وأعماله . لقد خرج السيف من غمده ؛ وهو أكثر مضاء ؛ وأكثر ألقاً . ولكن ماذا يستطيعه وقد تكاثرت السيوف المعادية ، وانهالت من كل مكان وهي متعطشة للدماء والثأر ؟ . . .**

كان على (غودريان) العمل لتحسين علاقاته مع كبار القادة ؛ ومع المقربين إلى هتلر ؛ حتى يضمن لنفسه فرصة النجاح في تحقيق أهدافه ؛ فقام بمجموعة من الزيارات والاتصالات شرح خلالها مخططاته للعمل ؛ وأهدافه من خلال تطوير السلاح المدرع . وأمكن له الحصول على وعود بالدعم والتأييد . ولم يلبث أن توجه يوم ٩ آذار ـ مارس ـ بالطائرة إلى (فينيتزا) حيث قدم تقريره إلى هتلر بحضور كبار القادة من كافة الأسلحة . وألقى غودريان محاضرته التي تضمنت ـ فيما تضمنته ـ :

(*) انظر نص هذا الأمر في نهاية الكتاب ـ قراءات ٤ ـ .

« يتلخص الهدف المحدد لسنة ١٩٤٣ باستخدام عدد معين من الفرق المدرعة التي تتمتع بقدرة قتالية كاملة للقيام بهجمات محدودة . أما في العام ١٩٤٤ فعلينا أن نكون قادرين على شن هجوم واسع . ولا تستطيع الفرقة المدرعة امتلاك القدرة القتالية الكاملة إلا إذا تناسب عدد دباباتها مع عدد سائر الأسلحة والعربات (المدافع ذاتية الحركة والمضادة للدبابات ، والمدافع المضادة للطائرات ؛ وعربات نقل الجند المدرعة) . وتنقسم الفرق المدرعة الألمانية من وجهة النظر هذه إلى أربع مجموعات تضم كل مجموعة منها ٤٠٠ دبابة . وإذا انخفض عدد الدبابات إلى أقل من ٤٠٠ دبابة فإن تجهيزها ـ بعدد الرجال والعربات ـ لا يعتبر متناسباً مع متطلباتها للقيام بهجوم قوي ، وهذا هو سبب عدم تمتع الفرقة في الظروف القتالية السابقة بقدرة قتالية كاملة . ويتوقف النصر في المعركة ؛ لهذه السنة ، وكما كان في السنة الماضية ؛ على تشكيل الفرقة . وإذا استطعنا حل هذه المسألة ، فسننتصر في الحرب بالتعاون مع سلاح الجو ومع سلاح البحرية ، أما إذا لم نتمكن من حل هذه المسألة فستكون المعركة البرية طويلة الأمد وستؤدي إلى خسائر فادحة . **وعلينا في الوقت الحاضر ؛ إذن ؛ تشكيل فرق مدرعة تتمتع بقدرة قتالية كاملة ؛ وعلينا أن نتخلى عن جميع المصالح الشخصية ؛ ويجب أن نكتفي بامتلاك عدد قليل من الفرق بشرط أن تكون قوية بدلاً من أن نمتلك فرقاً عديدة سيئة التجهيز تحتاج إلى عربات ذات عجلات وإلى محروقات ورجال لا يتناسب حجمها وعددها مع فعاليتها ونفعها لذلك ؛ فهي تربك القيادة ومصلحة التموين وتعرقل السير على الطرقات** .

وركز غودريان في محاضرته على ضرورة الاستمرار في

التدريب ؛ وتخصيص الوقت المطلوب والكافي له ؛ وتجنب نقل الوحدات الجديدة خلال فترة التدريب ، وعدم إبعادها عن منطقة تمركزها ، والامتناع عن ارسال الدبابات الجديدة إلى مسارح العمليات الثانوية ، والاكتفاء بتجهيز هذه المسارح بما تم الاستيلاء عليه من دبابات العدو . وجمع كل الوحدات المجهزة بالدبابات ـ بما فيها دبابات تايغر وبانثر ومارك ٤ ـ والمدافع المحمولة الخفيفة وتنظيمها في فرق وفيالق يتم اسناد قيادتها إلى قادة أكفاء ، ووضع العتاد الجديد في الاحتياط (التايغر والبانثر والمدافع المحمولة الثقيلة) إلى أن يضمن العدد الكافي من هذه الأسلحة نجاح المباغتة التامة مما يضمن بالتالي تحقيق النصر .

واقترح غودريان في محاضرته إسناد مهمة الدفاع ضد الدبابات إلى مدافع الاقتحام لأن فعالية بقية الأسلحة المضادة للدبابات ضئيلة أمام عتاد العدو الجديد ، وضم مدافع الاقتحام إلى مجموعات قانصات الدبابات ، ووضع هذه المدافع بكاملها تحت تصرف المدرعات . وكذلك تخصيص العربة المدرعة الخفيفة (٣ طن) للمشاة المحمولة ولوحدات المهندسين والوحدات المعاونة ولوحدات سلاح الإشارة ».

لقد تضمنت محاضرة غودريان مقترحات كثيرة ـ تنظيمية وإدارية وتسليحية ـ تمت الموافقة على معظمها ، إلا أن جدلاً عنيفاً دار بشأن تخصيص مدفعية الاقتحام للعمل مع المدرعات . وتمسكت المدفعية والمشاة بمواقفهما . ولم يكن باستطاعة غودريان مجابهة هذا التيار المضاد وحده . وما كان من هتلر إلا أن قال لغودريان : « انظر ـ الجميع ضدك » وأهمل اقتراح غودريان هذا ؛

وكان لذلك نتائجه الخطيرة التي لم يشعر بها هتلر والقيادة إلا بعد عام . ولقد استمر النقاش أربع ساعات ؛ بذل غودريان خلالها كل ما يختزنه من القدرة ، بحيث أصيب بعد انتهاء المحاضرة بالإغماء وفقد الوعي ـ ولكن لفترة قصيرة ـ .

١١ ـ من (القلعة) إلى (جبهة الغرب)

يحتاج العمل لكل ساعة من ساعات الضابط ؛ فكيف لمن كان مثل غودريان ؛ وفي ظروف مثل ظروفه ؛ حيث تتعلق حياة الأمة ومستقبلها بما يحققه لها جنودها من انتصارات .

وعلى هذا الأمل ؛ انطلق غودريان للعمل بكل ما يمتلكه من الثقة والحماسة . فقد رجع بعد محاضرته إلى برلين ـ بالطائرة ـ يوم ١٠ آذار ـ مارس ـ ١٩٤٣ . وبدأ بتفتيش مدرسة المدرعات في (ونسدورف) . ثم انتقل لزيارة معامل (هنتشل) في (كاسل) والتي كانت تنتج دبابة (تايغر) والأجزاء الرئيسة للدبابة (بانثر) والمدفع المضاد للدبابات ٤٣ (من عيار ٨٨ مم). وانتقل بعد ذلك لزيارة المجموعة المدرعة ٣٠٠ في مدينة (أيسنباخ) التي كانت تقوم بتجربة الدبابة بدون سائق ؛ ومن ثم قام بزيارة مدرسة صف الضباط الموجودة في هذه البلدة ، وانتقل إلى (روغنوالد) لإعداد تقرير عن المدفع المحمول (غوستاف) والمحمول على سكة حديدية . واتجه غودريان بعد ذلك بالطائرة إلى (سابوروج) يوم ٢٩ آذار ـ مارس ـ لزيارة الماريشال (فون مانشتاين) قائد مجموعة جيوش الجنوب ، والذي حققت مجموعته انتصاراً كبيراً باستعادتها لمدينة (خاركوف) بفضل استخدامها للوحدات المدرعة استخداماً صحيحاً .

وكانت التجارب التي حصلت عليها مجموعة الجيوش ؛ لا سيما في مجال زج دبابات تايغر التابعة لفرقة (غروس دوتشلاند) والوحدات الخاصة (أدولف هتلر) هي موضوع البحث بين غودريان ومانشتاين . ثم انتقل غودريان بالطائرة إلى (بولتافا) لتفتيش قوة من (جيش كمبف) وفرقة (غروس دوتشلاند) والوحدات الخاصة (آدولف هتلر) ثم فيلق الجنرال (كنوبلدورف) .

وحاول في هذه الزيارات كلها استخلاص أحدث الدروس الفنية والتكتيكية عن قتال الدبابة (تايغر) ، وذلك لتكون هذه الدروس أساساً في التنظيم القادم لوحدات الدبابات . وأنهى غودريان جولته التفقدية - التفتيشية - في اليوم الأول من نيسان - أبريل - بزيارة وداعية للماريشال - فون مانشتاين - . وكم شعر غودريان بالأسف لابقاء هذا القائد الرائع - مانشتاين - بعيداً عن دائرة هتلر وعن القيادة العليا ؛ وهو الذي توافرت له قدرات قيادية وكفاءة عليا ، لم تتوافر لسواه من القادة .

عاد (غودريان) من جولته لحضور مؤتمر في مقر هتلر (البرغوف) في مدينة برشتغادن وكانت هي المرة الأولى التي يدخل فيها مقر هتلر (منزله) يوم ١١ نيسان - أبريل - ١٩٤٣ .

ولاحظ غودريان وجود عدد كبير من الغرف المستقلة بعضها عن بعض لاستقبال الزائرين . أما القاعة الكبرى للمؤتمرات ؛ فكانت لها نافذة عريضة تطل على المناظر الطبيعية الخلابة . وكانت القاعة مزينة ببعض السجاد واللوحات الفنية الرائعة والثمينة . وخصص أمام المدفأة مكان مرتفع يقضي فيه هتلر الليل بين حاشيته

ومعاونيه الحزبيين والعسكريين والسيدات بعد أن يعرض عليه ما كان يسمى (بموقف المساء) ، ولم يكن غودريان أبداً في هذه المجموعة .

ظهرت لغودريان فائدة جولته بين القوات ؛ فخلال المؤتمر التقى بوزير التسلح والذخائر ـ سبير ـ وطلب إليه زيادة انتاج الدبابة تايغر والدبابة بانثر. ثم قام غودريان في اليوم ذاته (١١ ـ نيسان ـ أبريل) بزيارة (هملر)[١] وذلك بهدف تنسيق التعاون معه لإعادة تنظيم التشكيلات المدرعة في الوحدات الخاصة .

ومنيت جهود غودريان بالفشل ؛ إذ رفض هملر التوقف عن تشكيل وحدات جديدة ؛ على الرغم من إلحاح غودريان . **ولقد اعترف هتلر ـ يوم ٩ آذار ـ مارس ـ بمساوىء تشكيل وحدات مدرعة جديدة ؛ ولكنه كان متفقاً مع هملر ـ خفية عن العسكريين ـ على تشكيل جيش خاص بهما يكون مستقلاً عن الجيش النظامي الذي لم يثقا بقيادته أبداً . وكانا يريدان الحصول على ولاء أكيد من هذا الجيش الخاص ؛ الذي سيكون مستعداً باستمرار لتنفيذ أي عمل يسند إليه ؛ كما سيكون أكثر تمسكاً بالتقاليد البروسية ـ الألمانية ـ القديمة ؛ في حال رفض الجيش النظامي الانصياع لأوامرهما .**

---

(١) همـلر : (HIMMLER , HEINRICH) من مواليد ميونيخ (١٩٠٠ ـ ١٩٤٥) من كبار مساعدي هتلر ؛ ومن قادة الحزب الوطني الاشتراكي (النازي) عمل قائداً للوحدات الخاصة ـ الغستابو ـ ورئيساً للشرطة السرية للرايخ ، ثم وزيراً للداخلية .

وقد أدى ذلك إلى وضع الوحدات الخاصة في وضع حرج بعد انتهاء الحرب ؛ إذ تم تحميلها أوزار وسيئات الأعمال التي ارتكبتها وحدات المغاوير وسواها . كما أن منح الوحدات الخاصة امتيازات في التجهيز والتموين والتسليح والإمداد وسوى ذلك ؛ قد أثار غضب بقية قوات الجيش التي لم تحصل على مثل هذا الإمداد ؛ أو تلك العناية والرعاية . وبالرغم من ذلك فقد تغلب الشعور بالصداقة والواجب في الجبهة على سائر المشاعر ؛ مما برهن على عدم اكتراث الجندي الألماني بكافة الأشياء التي قد تؤثر على مفهومه (للواجب المقدس) .

أمضى غودريان ما بقي من شهر نيسان ـ أبريل في زيارات للقوى الجوية ؛ والقوى البحرية ؛ وحاول الافادة من العناصر التي دمرت آلياتها في معارك شمالي أفريقيا ؛ ولكنه فشل في محاولته أمام إصرار القيادة على إرسال وحدات مدرعة جديدة ـ بأعداد قليلة ـ فكانت هذه الوحدات تذوب كما يذوب الملح في الماء . كما أن بعضها لم يتمكن من مغادرة مسينا . وانتقل بعد ذلك إلى فرنسا ؛ للتعاون مع قائد جبهة الغرب ـ الماريشال فون رونشتد ـ .

وقام (غودريان) بزيارة بعض الوحدات المدرعة ، ولكنه لم يكد يبدأ جولته حتى تلقى أمراً من (هتلر) بالعودة إلى (ميونيخ) لحضور المؤتمر الذي عقد يومي ٣و٤ أيار ـ مايو ـ من أجل مناقشة خطة (القلعة) . ووصل (غودريان) في الوقت المحدد . وكان موضوع البحث في المؤتمر هو : « هل يجب على مجموعتي جيوش

الجنوب والوسط في الجبهة الشرقية الهجوم مع بداية فصل الصيف لعام ١٩٤٣ ، بهدف تدمير أكبر تجمع للفرق السوفييتية بحركة التفاف مزدوج ـ كماشة ـ تقوم بها القوات الألمانية على البروز المشكل في الغرب ؛ من قبل القوات السوفييتية في كورسك ؟ » .

لقد كانت القيادة العليا تأمل أن تتمكن من إعادة السيطرة على الجبهة الشرقية ، بواسطة هذه العملية ؛ وذلك بعد الكارثة التي نزلت بالقوات الألمانية في أعقاب الهزيمة في ستالينغراد . وقد افتتح هتلر المؤتمر بخطاب لمدة ٤٥ دقيقة ؛ عرض فيه الموقف على الجبهة الشرقية عرضاً موضوعياً ؛ ثم جرت مناقشة (**مشروع القلعة**)(*) . وأيد جميع القادة فكرة المشروع ؛ باستثناء غودريان الذي وقف معارضاً وقال :

« **ليس هناك جدوى من العملية ؛ ذلك أننا لم نكمل بعد**

(*) القلعة هو الاسم الرمزي الذي أعطته القيادة الألمانية لعملية الهجوم ضد تجمع القوات السوفييتية في (كورسك KOURSK) . وقد جرت هذه المعركة على مرحلتين : المرحلة الأولى هي مرحلة الهجوم الألماني ٥ ـ ٢٤ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٣ . والمرحلة الثانية هي مرحلة الهجوم المضاد السوفييتي ١١ ـ ٢٠ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٣ . وقد اعتبرت معركة كورسك من أكبر معارك الدبابات ـ في الحرب العالمية الثانية ـ فقد حشدت فيها القيادة السوفييتية (في جبهة فارونيج VORONEGE) ٦٢٥,٥٠٠ مقاتل و ٩٤٨٠ مدفعاً وأكثر من ١٧٠٠ دبابة مقابل ٢٨٠ ألف جندي ألماني ٢٥٠٠ مدفعاً و ١٥٠٠ دبابة . وقد مارس التفوق بالقوى والوسائط دوره في حسم الصراع لمصلحة القوات السوفييتية التي دمرت ٥٢١ دبابة ألمانية واستولت على ١٣٢ دبابة أخرى . ودمرت ٦٧٠ مدفعاً وغنمت ٤٨٥ مدفعاً ودمرت أيضاً ٢٣٢٧ عربة وأسقطت ١٤٠ طائرة وقتلت ٣٥ ألف جندي وضابط ألماني .

ملاك قواتنا في الشرق؛ وسيؤدي مشروع هيئة الأركان إلى تعرض الدبابات لخسائر ضخمة ـ بسبب قوة الدفاع المنظم للجيوش السوفييتية ـ مما سيؤدي بالتالي إلى إضعاف قواتنا . كما أننا غير قادرين على إكمال ملاك الوحدات ـ تنظيمها ـ في الجبهة الشرقية مرة أخرى خلال العام ١٩٤٣ ؛ إذ أننا ملزمون من الآن فصاعداً لدعم الجبهة الغربية بالدبابات الحديثة ؛ حتى يمكن مواجهة إنزال قوات الحلفاء الغربيين الذي سينفذ حتماً سنة ١٩٤٤ . وبالإضافة إلى ذلك كله ؛ فإن زج الدبابة الفهد ـ بانثر ـ على نحو ما يراه رئيس هيئة الأركان ـ زتزلر ـ لن يكون مفيداً ؛ لأن هذه الدبابة لا زالت قيد التجربة . . ».

لقد كان من الصعب على هتلر اتخاذ قرار بشأن مشروع القلعة بعد الحجج القوية التي أدلى بها غودريان .

ولم يقف (غودريان) عند هذا الحد ؛ ففي أعقاب المؤتمر الذي عقد في برلين يوم ١٠ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٣ ؛ لمناقشة انتاج الدبابات ؛ استوقف غودريان هتلر ـ بإمساكه من يده ـ وطلب إليه أن يسمح له بالتحدث بصراحة ؛ فرضي بذلك ؛ فطلب إليه بإلحاح العدول عن الهجوم في الجبهة الشرقية ، بسبب وفرة الصعوبات على كافة الجبهات وكان مما قاله له : « إن هذه العملية لن تكسبنا شيئاً ، وإن التحضيرات التي نقوم بها في الغرب ستتأثر منها بلا شك » . وسأله في النهاية : « لماذا تصر على الهجوم في الجبهة الشرقية هذا العام ؟ » وعندها تدخل كيتل في الحديث وقال : « علينا الهجوم لأسباب سياسية ! » . فرد عليه غودريان : « هل تعتقد أن هناك رجلاً في العالم يعرف أين تقع كورسك ؟ إن

العالم لا يهتم إذا انتصرنا في كورسـك أو لم ننتصر . وأعيد سؤالي : لأي سبب تنوي الهجوم هـذا العام في الجبهـة الشرقيـة ، مهما كـان الثمن ؟ . . . » .

فقـال هتلر : « أنت عـلى حق ؛ إن هــذه الفكـرة تؤلمني كلما ذكـرتها » فـأجاب غـودريان : « في هـذه الحـالـة ؛ يكـون شعـورك بالموقف صحيحاً . وباستطاعتك التخلي عن المشروع ». فـأكد هتلر لغودريان أنه لا زال غير مرتبط بأي وعـد لتنفيذ المشـروع . وانتهى الحديث مرة أخرى دون اتخاذ قرار حاسم .

إنصرف (غودريان)بعد ذلك لمتـابعة تـطور السلاح المـدرع ؛ وتنظيم الفرق الجديدة ؛ محاولاً تجاوز العقبات المتتالية . غير أن تيار الأحداث بدأ في التحرك سريعاً ضد ألمانيا . فقد انتهت المعارك على مسـرح أفريقيـا الشماليـة ؛ وذلك عنـدما سقـطت تونس في قبضـة الحلفاء يوم ١٢ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٣ . وشعر غودريان بالألم يعتصره لفقد عناصر كثيرة من الوحدات المدرعـة ؛ كان بـاستطاعتـه الإفادة منهـا ؛ ومن خبراتهـا ؛ لتشكيل الفـرق الجديـدة ـ لـو أن القيـادة العليا استجابت لطلباته المتكررة ـ . وتبع ذلك إنزال قوات الحلفـاء في صقليـا (في ١٠ تمـوز ـ يـوليـو) . وفي ٢٥ منــه ، تم إسقـاط موسوليني مما زاد من أعباء القوات الألمانيـة على هـذا المسرح البعيـد من مسارح العمليات .

وبينما كانت هـذه التطورات تـأخذ خط مسـارها ؛ أمـر هتلر بتنفيذ مخطط عمليات (القلعة) . وأسرع (غودريان) لزيـارة جبهة القتال (من ١٠ ـ ١٥ تموز ـ يـوليو) ، وتـأكد من صحـة توقعـاته ، فقد استهلكت (معركة كورسك) قدرة الجيوش الألمانية على الجبهـة

الشرقية . وكان من الصعب على (غودريان) إعـادة تنظيم القـوات المدرعة على هذه الجبهة ، فانتقل إلى فرنسا بعد ١٥ تموز ـ يوليـو ـ وبعد جولة قصيرة ؛ أرغمه المرض على التوقف عن متابعة نشاطه ؛ وأصيب خـلال ذلك بنكبـة إذ دمرت الـطائرات المعـاديـة منزلـه في برلين ، ولكن القيادة منحته سلفة لشراء منزل آخر (اشتراه في دبين مقاطعة هوهنسالزا) .

ما إن رجع (غودريان) من إجـازة النقاهـة التي منحت له ؛ حتى أثـار من جديـد مسألـة العربـات المـدرعـة المخصصـة للدفـاع الجوي . ووافق هتلر على انتاج المدافع المزدوجة ـ الثنائية ـ من عيار ٣٧ مم .

وفي ٢٠ تشـرين الأول ـ أكتـوبـر ـ ١٩٤٣ ـ حضر هتلر إلى معسكر (أريس) لمشاهدة العرض الذي نظمـه غودريـان ؛ وعرض فيه نموذج دبابة (تايغر ٢) وهـو طراز جـديد ونـاجح جـداً ، أطلق عليـه الحلفاء بعـدئذ اسم (تـايغـر رويـال) ، وقـانص الـدبـابـات (فـومـاغ) ودبـابـة تـايغـر للمـطاردة (جاغـد تـايغـر ـ مـزودة بمدفع ١٢٨ مم)، وقذاف قصير جداً عيار ٣٨٠ مم مضاد للدبابات ومركب على هيكل دبابة تايغر ، وبعض الأسلحة المدرعة الأخرى.

عملت القوات السوفييتية على تطوير هجماتها بعـد انتصارهـا في (كـورسك) وتعـرضت القوات الألمـانية لخسـائر فـادحـة بسبب تـدخل الـدبابـات السوفييتيـة بأعـداد ضخمة ؛ وبصـورة متـزايـدة باستمرار .

وعقـد هتلر مؤتمراً في مسـاء يوم من أيـام شهر كـانـون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٣ ، وأظهر هتلر غضبه أثناء عرض الموقف . وبـدأ

بحديث عنيف من جراء عدم تجهيز القوات بالأسلحة المضادة للدبابات والتي تستطيع تأمين نوع من الوقاية ضد شر السلاح المدرع .

وبينما كان هتلر مستمراً بلهجته المزمجرة وقع بصره على غودريان ـ وكان يجلس في مواجهته ـ وقرأ على وجهه أمارات التهكم ؛ فصمت برهة . ثم تابع حديثه بهدوء أكثر وهو يوجه حديثه إلى غودريان :

« كنت على حق عندما قلت لي منذ تسعة أشهر إنك تريد تجهيز الدبابات بوحدات من الأسلحة المضادة للدبابات ، ولم أوافق على رأيك مع الأسف . وأستطيع أخيراً تنفيذ رغباتي ولو بعد فوات الأوان . زود ثلث سرايا قانصات الدبابات فقط بالعتاد الجديد ؛ قبل بداية الهجوم السوفييتي في شتاء العام ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ » .

عمل غودريان ـ بعد كارثة ستالينغراد ـ على إعداد وتنظيم مجموعة من الفرق المدرعة ـ لم يتذكرها أحد هناك ـ واستخدم في هذه الوحدات بعض العناصر التي افلتت من الأسر بسبب اصابتها بجراح أو بسبب المرض أو لأسباب أخرى . كما قام غودريان بعمل مماثل بعد ضياع أفريقية ، فجمع الوحدات التي أمكن انقاذها ، وشكل الفرقة ٢١ في فرنسا من وحدات الاحتلال التي جهزت بأسلحة الغنائم . وشكل أيضاً فرقة البانزر ٢٥ في النروج بالطريقة ذاتها . واقترح غودريان على هتلر جمع كل الوحدات التي تم تدريبها في المدارس لتشكيل فرقة تدريبية مدرعة يتم تدريبها في فرنسا وذلك بهدف دعم جبهة الغرب . ووافق هتلر بقوله :

« تشكل هذه الفرقة قوة دعم غير متوقع ». وتلقت هذه الفرقة عتاداً جديداً ، ونقل إليها ضباط أكفاء .

لقد أصيبت القيادة العليا للجيش البري بالذهول نتيجة معارك الشتاء القاسية والدامية على جبهات الشرق ، ولهذا لم تحاول هذه القيادة بذل أي جهد لإعداد القوات للحرب على جبهة الغرب ؛ أو لاتخاذ الاجراءات الوقائية ضد الإنزال المحتمل وقوعه في ربيع سنة ١٩٤٤ ، لذلك رأى غودريان أن من واجبه العمل باستمرار لسحب الفرق المدرعة في الوقت المناسب من الجبهات ؛ وإعادة تنظيمها وتجهيزها وتدريبها . وكان ينبغي على القيادة العليا للجيش البري أن توجه اهتماماً بالغاً إلى مسرح العمليات الحربية في الغرب ؛ والذي سيصبح بعد برهة من أهم مسارح القتال . ولكن غودريان لم يحصل من هذه القيادة على أية مساعدة ، مما حمله على اللجوء إلى هتلر ؛ الأمر الذي أثار غضب بعض أعضاء هيئة القيادة ؛ ولكن غودريان لم يكن مستعداً للتهاون في قضية الاستعداد إرضاء لبعض أعضاء هيئة القيادة . واستمر في عمله بحيث استطاع دعم الجبهة الغربية بعشر فرق مدرعة بالإضافة إلى ثلاث فرق احتياطية تم تشكيلها بواسطة سحب عناصرها من المستودعات والمدارس ، وأرسلت إلى فرنسا .

كان الموقف خلال ذلك يتدهور من سيء إلى أسوأ ؛ على جبهات الشرق . وقد تابعت القيادة زج قوات متفرقة كانت المعارك تلتهمها بسرعة . ولم تنتفع القيادة بتوجيهات غودريان وتحذيراته واقتراحاته . ولقد طالب مرات بسحب القوات حتى خط دفاعي محصن على حدود ألمانيا للقيام بأعمال هجومية على جبهة الغرب

عندما يحين الوقت المناسب ؛ واختزان قدرة كامنة تكفي للدفاع على جبهة (الشرق) وتستطيع الهجوم على جبهة (الغرب) .

١٢ - المؤامرة

ما كاد (غودريان) يعود لعمله بعد تعيينه مفتشاً للمدرعات ؛ حتى زاره صديق قديم هو (الجنرال فون رابنو) يصحبه (الدكتور غوردلر) الذي تحدث إلى غودريان بحديث غريب إذ قال له : « إن هتلر لا يليق بمنصبه رئيساً للرايخ وقائداً أعلى للقوات المسلحة الألمانية ، لذلك فإنه من الضروري تقليص صلاحياته وتحديدها » ووصف له بالتفصيل برنامجه المتعلق بالتحسينات المفروض إدخالها في الدولة والحكومة ؛ وحمل هذا البرنامج طابع الكمال . وقد أخذ بعين الإعتبار الطرق التي ينبغي اتباعها في حل المسائل الاجتماعية التي كان ينتظرها الجميع . وإن كانت طريقة عمل الدكتور غوردلر قد اربكت الحل ؛ إذا لم يتمكن من إعطاء غودريان البرهان الكافي عن مساندة الدول الأجنبية الأخرى له في حال نجاح مشاريعه . ولقد أظهرت الدول الأجنبية في الحقيقة فتوراً واضحاً عندما حاول الاتصال بها منذ زمن بعيد . كما أنها لم تتخل عن مبدأ (الاستسلام دون قيد ولا شرط) ، والذي أعلنت فرضه على ألمانيا حتى في حال نجاح غوردلر في مشاريعه . وسأله غودريان عن الطريقة التي يتصور بها تحديد صلاحيات هتلر . فأجابه بأنه من المحتمل أن تصبح سلطته القيادية للرايخ رمزية أو شكلية ومن الممكن اعتقاله في مصح (أوبر سالزبورغ) أو في أي مكان أمين آخر . وعاد غودريان فسأله

عن إمكان إزالة قادة الحزب الوطني الإشتراكي ـ النازي ـ وضمان الظروف للنجاح في حال الإقدام على تنفيذ مشاريعه . فأجاب غوردلر بأن ذلك يتعلق بالقوات الألمانية . وذكر (غورلدر) لغودريان أنه لم يتمكن من أن يضم إليه أي قائد من قادة الوحدات العاملة ـ المقاتلة ـ وطلب من (غودريان) الإفادة من زياراته للجبهة لإقناع القادة العاملين بالإنضمام إليه ؛ وإعلامه عن أسماء هؤلاء القادة الذين يقبلون بآرائه ويوافقون على العمل معه . وسأله غودريان عن قائد المشروع ، فذكر له (غوردلر) بأن جنرال الجيش (بيك) هو قائد المشروع . وذهل غودريان ؛ ذلك أنه يعرف (بيك) معرفة شخصية ويعرف فيه الاتزان في التفكير ، والتردد ، والبعد كثيراً عن إدارة مشروع خطير ـ مثل مشروع الإنقلاب هذا ـ . لا سيما وأنه رغم كفاءته فإنه قائد تجهله القوات ولا تعرف الكثير عنه ؛ وهو إلى ذلك كله أقرب للفيلسوف منه إلى الثوري .

كان غودريان يعرف الكثير من أخطاء الحزب الوطني الإشتراكي ـ النازي ـ وسيئاته ؛ ويعرف الكثير أيضاً من أخطاء هتلر الواضحة ؛ إلا أن وضع الرايخ في تلك الفترة من سنة ١٩٤٣ لم يكن هناك ثمة مجال للتفكير في إجراء تغيير حاسم للقضاء على هذه الأخطاء وإزالتها ـ عن طريق الإنقلاب ـ ، لا سيما بعد كارثة ستالينغراد ، وبعد أن أعلن الحلفاء صراحة عن تمسكهم بشرط استسلام ألمانيا بلا قيد ولا شرط ، وكان من الصعب على الكثير من القادة الألمان ـ ومن بينهم غودريان ـ الاستسلام للقوات السوفييتية ـ خاصة ـ بلا قيد ولا شرط . ولهذا فإن تفكير غودريان قد اتجه نحو اختيار طريق ينقذ ألمانيا والرايخ من الانهيار من

العواقب الوخيمة التي تنتظرهما .

لم يكن من الغـريب إذن أن يستخلص غـودريـان ضـرورة إحباط مشروع الدكتور غوردلر ؛ وأن يستشعـر الخطر عـلى المصلحة العليا لألمانيا من مثل هذا المشروع الذي يصعب تنفيذه ؛ وبالإضافة إلى ذلك ؛ فقد كان غودريان ؛ شأنه شأن كل جندي ألماني ؛ ملتزم بقسمـه لهتلر ، ولهـذا فقـد طلب إلى (غـوردلـر) التخـلي عن مشروعه . ولكن (غوردلر) لم يكترث لاعتراضات غودريان ؛ وعاد فطلب إليه موافاته بالمعلومات التي كان يـرغب في الحصول عليهـا ، فوعده غودريان بذلك ؛ حتى يبرهن له بصورة حاسمة على أن سائر القادة ـ الجنرالات ـ يفكرون بمثل ما كان يفكر به ؛ وفي نيته تحويـل (غوردلر) عن الطريق البغيض الذي لم تدفعه إليه إلا أهداف نبيلة هيمنت على تفكيره .

وعندما التقى مرة ثانية (بغوردلر) أقنعه بأنه ما من قائـد قبل الانضمام إليه ، وأن جميـع القادة والشخصيـات ممن استشارهم قـد أظهروا التزامهم بالقسم الذي أقسموه لهتلر ؛ وأنهم جميعاً قد اتخذوا مواقفهم على أساس خطورة الموقف على جبهات القتال .

وعاد غودريان فطلب إلى غوردلر التخلي عن مشروعـه . وهنا طلب غـوردلـر إلى غـودريـان ـ بـرجـاء ـ ألا يبـوح بهـذا السر إلى أحـد . ووفى (غـودريـان) بـوعـده . حتى إذا مـا كـان عام ١٩٤٧ ؛ بوغت غودريان ـ وهـو في السجن ـ بما تضمنـه كتاب (الضبـاط ضـد هتلر) والـذي أصـدره المحـامي (فـابيـان فـون شـلابرندورف) بما حمله هذا الكتاب من افتـراء ضده ؛ ومن اتهـام

بأنه أفشى السر إلى هتلر ؛ وهو اتهام لا أساس له من الصحة(*) .

بينما كان غودريان يستعد للقيام بجولة في فرنسا لتفتيش الوحدات المدرعة فيها ؛ في بداية شهر تموز - يوليو - قام بزيارته رئيس عمليات الماريشال فون كلاك (الجنرال فون تريشكوف) وأعلمه برغبة الماريشال فون كلاك بالتعاون معه للعمل ضد هتلر من أجل تحديد صلاحياته وسلطاته . وكان (غودريان) يعرف فون كلاك ؛ ويعرف فيه تردده؛ بقدر ما يعرف فيه عدم قدرته للاضطلاع بمثل هذا المشروع ؛ بالإضافة إلى شعوره العدائي ضده . ولهذا أعلم (فون تريشكوف) رفضه لمشروعه ؛ وعدم استعداده للتعاون معه .

أصدر غودريان أمره يوم ١١ تموز - يوليو - بنقل الوحدات المدرعة القادرة على القتال من (ونسدورف) و (كرمبنيتز) القريبتين من برلين إلى قطاع حصن (لوتزن) في بروسيا الشرقية وذلك في محاولة لمجابهة الخطر السوفييتي المتعاظم الذي بات يتهدد بروسيا الشرقية والتي كانت شبه محرومة من القوات الاحتياطية .

(*) تضمن كتاب (الضباط ضد هتلر) ص ١١٥ - والذي ترجم إلى الفرنسية وصدر بالعنوان ذاته ما يلي : « لم يقبل غودريان الانضمام إلى المؤامرة إلا إذا كان النجاح مضموناً . فخشي أطراف المؤامرة أن يفضح غودريان مخططاتهم ؛ فأرسلوا إليه - فون رابنو - الذي قال له : عليك أن تنضم إلينا ؛ ولا تنسَ أن أول من يعلن عن انتشار الحريق في الرايخ الثالث ؛ سيعاقب كما لو كان هو الذي أشعله .
وهكذا فعندما فشل الانقلاب ليل ٢٠ تموز - يوليو - وصدر أمر هتلر بتعيين غودريان رئيساً لهيئة الأركان العامة للقوات البرية ؛ أدرك المتآمرون جيداً ما قام به غودريان للوصول إلى هذا المنصب ؟ » .

وبوغت غودريان بعد ظهر يوم ١٨ تموز ـ يوليو ـ عندما وصل لزيارته جنرال كان يعرفه من القوات الجوية ، وأبلغه أن (المارشال فون كلاك) القائد العام للجبهة الغربية ؛ ينوي توقيع هدنة مع الدول الغربية خفية عن هتلر ؛ وسيجري مفاوضات مع الحلفاء لتحقيق هذه الغاية .

ووقع النبأ على رأس غودريان وقوع الصاعقة ، فقد ارتسمت فوراً أمام ناظريه النتائج المتوقعة لعملية (فون كلاك) وتأثيرها على الجبهة الشرقية المنهارة تقريباً ؛ وعلى ألمانيا كلها ؛ مما سيؤدي بالتالي إلى انهيار الدفاع في الغرب وفي الشرق ؛ والسماح للقوات السوفييتية لاجتياح ألمانيا دون مقاومة .

ولم يكن يخطر في مخيلة غودريان ؛ أو تفكيره ؛ أن قائداً ألمانياً يقدم على عمل كهذا ، ضارباً بهيبة الرايخ العليا عرض الحائط . ولم يكن باستطاعته تصديق هذا النبأ ؛ فطلب من محدثه إعلامه عن مصدر معلوماته فرفض ، كما لم يذكر له السبب الذي دفعه لإعلام (غودريان) بهذا النبأ المدهش ؛ ولا ما ينتظره منه . وعندما سأله غودريان ما إذا كانت تلك المحادثات ستجري في مستقبل قريب ؛ أجابه محدثه ـ ضابط القوى الجوية ـ بالنفي . وشعر (غودريان) ببعض الراحة ، فقد كان لديه متسع من الوقت للتفكير بهدوء عما يجب عليه عمله تجاه هذا النبأ الغريب .

ولما كانت الزيارات والمحاضرات المستمرة تمنعه ـ وهو في المقر العام ـ من التفكير بهدوء ؛ فقد قرر يوم ١٩ تموز ـ يوليو ـ لتفتيش الوحدات في (اللنستين) و (ثورن) و (هوهنسالزا) ، وقد وضع

في اعتبـاره ضرورة اتخاذ قرار واضـح وهو في طـريقـه للقيـام بهـذا التفتيش .

لقد كان غودريان يعرف عن يقين أنه إذا ما أبـاح إلى هتلر بما علمه ؛ ولم يخبره بمصدر النبأ ؛ فانه يعرض (فون كـلاك) إلى شك خطير ؛ وخاطىء ؛ بسبب نبأ قد يكون كاذباً أيضاً ، وستقع نتائجه على المارشـال (فون كـلاك) . كما أن تكتمـه على هـذا النبأ إذا مـا تبينت صحتـه ، إنما يعني مشـاركته للنتـائـج السيئـة التي لا بـد من وقوعها ؛ وهكـذا كان من الصعب على (غودريـان) اتخاذ المـوقف السليم لمجابهة هذا المأزق .

بينـما كان (غـودريـان) يقـوم بتفتيش وحـداتـه (قـانصـات الـدبابـات في اللنستين) صبـاح يوم ١٩ تمـوز - يوليـو - ، دعي إلى استقبـال مخـابـرة هـاتفيـة ، حيث تحدث إليـه رئيس هيئـة أركـانـه (الجنرال تومال) وطلب إليه تـأجيل تنفيـذ الأمر الـذي سبق له أن أصدره بنقل الوحدات المدرعة من برلين إلى (بـروسيا) لمـدة ثلاث أيام فقط . وذكر (الجنرال تومال) أن قائـد قطاع بـرلين (الجنـرال أوليـريخت) هو الـذي طلب إليه ذلـك من أجل الاشتـراك بمنـاورة أطلق عليها اسم (والكيري) وتقرر تنفيذها يوم ٢٠ تمـوز - يوليـو - في ضـواحي برلـين ؛ وأنـه لا يمكن إجـراء المنـاورة بـدون اشتـراك وحدات التدريب المدرعة .

وكـان غودريـان يعرف أن اصـطلاح (والكيـري) إنمـا يعني التمارين الدفاعية لمواجهة إنزالات معاديـة محمولـة جواً ، ولمـواجهة الاضـطرابات الـداخلية . وعنـدما طمـأنه (الجنـرال تـومـال) عن استقرار الموقف في جبهة بروسيا الشرقيـة ؛ وأن تأجيـل التنفيذ لمـدة

ثلاثة أيام لن يلحق ضرراً بالموقف ؛ فقد وافق على تأجيل تنفيذ عملية النقل ، وذلك على الرغم من المقاومة النفسية الداخلية التي كانت تدفعه لرفض التأجيل .

بينما كان (غودريان) بعد ظهر يوم ٢٠ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٣ يسير متنزهاً في الحقول محاولاً الترويح عن نفسه من عناء الجهد الذي بذله طوال الأيام الماضية ، وإذا براكب دراجة نارية يلحق به (حوالي الساعة ١٩,٠٠) ليعلمه عن تلقيه مكالمة هاتفية من المقر العام للفوهرر .

وأسرع غودريان بالعودة إلى منزله ، حيث علم من أقاربه خلاصة ما أذاعه المذياع ـ الراديو ـ عن محاولة اغتيال الفوهرر . واستطاع غودريان الاتصال برئيس هيئة أركانه (الجنرال تومال) في منتصف الليل تقريباً ؛ فنقل إليه (تومال) أمر هتلر بالتقدم في اليوم التالي إلى مقر الفوهرر ؛ وأن الطائرة التي ستنقله إلى بروسيا الغربية ستقلع في الساعة ٨,٠٠ من صباح يوم ٢١ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٣ ، لتنقله إلى مطار (هوهنسالزا) . وأن الفوهرر يرغب في تعيينه رئيساً لهيئة الأركان العامة (بدلاً من زتزلر) . ولقد نشرت مقولات كثيرة بشأن هذا التعيين ـ كلها افتراء على غودريان ـ إذ اعتبر بأنه (غدر بأعضاء المؤامرة)(*) لقاء تعيينه في هذا المنصب . ولقد جرت الوقائع لتعيينه على النحو التالي :

(*) يمكن الإشارة إلى ما ذكره رئيس المخابرات الأمريكية (آلن ـ و ـ دالس) في كتابه (الحرب السرية الألمانية) والذي صدرت ترجمته الفرنسية عن دار النشر ـ التلال الثلاثة ـ تروا كولّين ـ جنيف ١٩٤٧ ص ٢٤٨ . حيث ورد ما يلي : « وجه غوبلز =

كـان هتلر قد اتخـذ قـراره بتعيـين (الجنـرال بـوهـل) خلفـاً للجنرال (زتزلر) في منصب رئاسة هيئة الأركان ؛ غير أن (بوهل) أصيب بجراح بالغة خلال المؤامرة ؛ وكان مـن الصعب تقدير المـدة الضرورية لشفائه .

ولما كان هتلر خلال تلك الفترة أحوج ما يكون لقائـد برهنت مسيرة الأحداث على كفاءته وصحة توقعاته ؛ فقد اتخذ قراره بتعيين (غودريان) الذي كان يجهل كل شيء عن المؤامرة ـ سوى ما سبقت الإشارة إليه من معلومات عامـة ـ . ولقد سئـل (غودريـان) مرات كثيـرة وفي مناسبـات مختلفة عن سبب قبـوله لهـذا المنصب وفي تلك الظروف ؛ فكانت إجابته واحـدة دائماً : « **القضيـة ببساطـة هي أني تلقيت أمـراً بذلـك . وكانت مسيـرة الأحـداث تبـرهن أن الجبهـة الشرقية هي على حافة هاوية . وكان علينا إنقاذ الملايين من السكان المـدنيين والجنـود الألمان . وكنت سـأعتبر نفسي جبـاناً وقـذراً لو لم**

= نداء في نهاية ٢٠ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٣ ـ إلى غودريان ، حتى يعمل على إيقاف جميع الوحدات المتجهة إلى برلين . كان غودريان يعرف بالمؤامرة وقد أيدها سـراً . وأقنع نداء غوبلز إلى غودريان بأن المؤامرة قد أخفقت وهو يعـرف أن كثيرين من أصـدقاء غودريان قد اشتركوا فيها . وكان باستطاعة غودريان انقاذ الموقف بتوجيه الـوحدات المدرعة ومقاتلة الوحدات الخاصة (س . س) غير أنه عوضاً عن ذلك ، اتجـه إلى الطرقات المؤدية إلى برلين ، وأمر الوحدات المتقدمة بالعودة إلى حيث أتت . والتقى في ساحة ـ فهنربلينر ـ بكتيبـة دبابـات الرائـد وولف الذي كـان يستعد لقصف مقـر قيـادة الوحـدات الخاصـة ؛ فصرخ قـائلاً : « أيهـا الرائـد : هـل جننت ؟ مـا زال الفـوهرر حيـاً ! عد من حيث أتيت والـزم ثكنتك . انت معـرض للقتـل ». ونفـذ الرائد أمر غودريان ؛ وأعاد دباباته إلى ثكناتها في (كرامبنتر) وبذلك قضى غودريان على الانقلاب ».

أبـذل أية محـاولة لحمـاية الجيش الشـرقي ؛ ووطني الصغير ـ ألمـانيا الشـرقية . ؛ وإني سـأشعر بـالبؤس والتعاسـة حتى مـوتي إذ أنني لم أتمكن من انقاذهما . وما من رجل يشعر بالألم الـذي نزل بي لمصـير شرقنا الألماني ؛ ومصير سكانه المخلصـين والأمناء والشجعـان . إني لست إلا مواطناً بروسياً مخلصاً لوطني ! » .

وصل (غودريان) إلى مقر القيادة العليا صباح يوم ٢١ تموز ـ يـوليو ـ ، فعـرف من رئيس هيئـة أركـانـه (الجنـرال تـومـال) ومن الماريشال كيتل والجنرال جـودل ، والجنرال بـرغدورف تفـاصيل مـا جـرى . وعرف من أصيب من كبـار القـادة وأسماء من قتـل ؛ ثم توجه بعـد الظهـر لمقابلة الفـوهرر ، فشـاهده وقـد علق ذراعه عـلى صدره ، وظهر لـه أن هتلر قد أصيب إصـابة بـالغة ، وتمـزق غشاء السمع في أذنيه ؛ إلا أنـه ظهر هـادئاً ، فتحـدث إلى غودريـان عن مهام منصبه الجديد ، وتقدم غودريان باقـتـراحاتـه لإجراء تبـديل في عناصر جهاز القيادة . وإجراء تعديل في صلاحيات وسلطات القادة العـاملين في رئاسـة شعب هيئة الأركـان ؛ ووافق هتلر على طلبـات غودريان واقتراحاته .

لقد أصبح (غودريان) من حاشية هتلر ؛ فانصرف للتعـرف عـلى بناء المقـر العام للفـوهرر . ثم انتقـل إلى المقر العـام للقيادة ؛ وبدأ عمله على الفور بإصدار الأوامر لإعادة تنظيم القيـادة ؛ وتعيين قادة جدد ممن عرفتهم جبهات القتال وعرفوها .

لم يكن تعيين (غودريان) في منصب رئيس هيئة الأركـان هو تشريف ؛ وإنما كان تكليفاً إلزامياً ـ ألـزمه هتلـر على قبـوله عنـدما قـال له : « ليس هنـاك من يستطيـع قبول التكليف ؛ فقـد استقال

(زتـزلـر) خمـس مرات متتـاليـة ، ورفضت استقـالتـه ؛ ففي زمن الحرب ، لا يمكن للقادة ذوي الرتب العالية ـ الجنرالات ـ الحصـول عـلى امتيـازات اكـثر من الجنـود في الجبهـة . ولا يستـطيـع هؤلاء الجنرالات الاستقالـة أو طلب الإحالـة على المعـاش عندمـا لا يروق لهم العمل ». وقد تسببت المؤامرة في إصابة هتلر إصابـات خفيفة لم يلبث أن تمـاثل منهـا للشفاء بسـرعة . ولكن النتـائـج كـانت سيئـة جداً ، فقد تحـطم التوازن النفسي ـ المعنـوي ـ لهتلر ، وانطلقت من الداخل إلى الخارج جميـع ميوله السيئـة ونزعـاته المـدمرة ؛ ولم يعـد يشعر بتبكيت الضمير ، وزاد شكه بقادة الجيش وكرهه لهم ؛ ولهـذا لم يستطع غودريان العمل في الظروف الجديدة .

١٣ ـ رئاسة هيئة الأركان

كان الموقف سيئاً للغايـة علـى الجبهة الشـرقية يـوم أن تسلم غـودريـان عـمـله رئـيـسـاً لهـيئـة الأركـان الـعـامـة في ٢١ تمـوز ـ يوليـو ـ ١٩٤٣ . فقد كـانت القـوات السـوفييتيـة تـطور أعمـالها القتـالية بـاستمـرار ، ولم يكن لـدى القيـادة العليـا للجيش البـري أية قـوات احتياطيـة . وكانت القـوات الـوحيـدة التي يمكن استخدامها هي المنتشرة في رومانيا ، غير أن نقـل تلك القوات كـان يتطلب وقتاً طويلا .

ولمـا كانت القـوات السوفييتيـة قـد نجحت في إحـداث ثغـرة واسعة بين مجموعتي الجيوش الشمـالية والـوسطى ؛ وانـدفعت نحو فارصوفيا ؛ فقد تقدم غودريان إلى هتلر وطلب إليه سحب مـا يمكن الاستغناء عنه من رومـانيا لـزجها في القتـال من أجل سـد الثغرة ؛

وإعادة الاتصال بين مجموعتي الجيوش الشمالية والوسطى . ووافق هتلر ؛ وبذلك أمكن إيقاف الهجوم السوفييتي في منطقة (دوبلن ـ توكوم ـ مينافا) . ثم بدأ غودريان بوضع خطة للانسحاب (من أستونيا وليفونيا وسيؤلى) .

ولهذا فعندما قامت القوات السوفييتية بهجومها في شهر تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ووصلت إلى بحر البلطيق بين مدينتي (ميمل وليتافا) ، نشأ صراع عنيف بين غودريان وهتلر ؛ زاد من حدته تطور الأحداث على الجبهة البولونية ؛ فقد عملت القوات الألمانية خلال قمعها للثورة (والتي اندلعت منذ اليوم الأول من شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٣) على ممارسة أعمالها بوحشية مرعبة ؛ مما حمل غودريان على طلب سحب اللواءين اللذين قاما بممارسة الأعمال الوحشية وإرسالهما من بولونيا إلى الجبهة الشرقية . ولم يوافق هتلر إلا بعد أن تأكد بأن أعمال هذه القوات قد أساءت إلى العلاقات البولونية ـ الألمانية إساءات لا توصف .

وأمكن إنهاء الثورة البولونية في ٢ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٣ ـ بعد أن أكد غودريان للثوار البولونيين ـ وبموافقة من هتلر ـ على معاملتهم معاملة (أسرى الحرب ـ ووفقاً لقوانين جنيف) .

كان على (غودريان) التفكير بإجراء يضمن لألمانيا قدرة الدفاع عن حدودها . فقد تعرضت الجيوش على جبهة الشرق لخسائر فادحة ؛ وضاعت كثير من المناطق الشرقية ؛ واقتربت الجبهة من حدود الرايخ . فعرض غودريان على هتلر (في كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٤) إعادة بناء الحصون الألمانية القديمة في الشرق ،

ودعم الاتصالات الرئيسة بين هذه التحصينات ؛ ودعم مجاري الأنهر الكبيرة والموانع المائية . ثم عمل على إعداد مشروع للتحصينات ؛ ودعم مجاري الأنهر الكبيرة والموانع المائية . ثم عمل على إعداد مشروع للتحصينات الدفاعية ، وأمر بإعادة تنظيم (فرع التحصينات) . ووافق هتلر مكرهاً على الاجراءات الدفاعية . وبدأت أعمال التحصينات التي اضطلع المتطوعون من النساء والشيوخ والأطفال بتنفيذ معظم أعمالها الهندسية ؛ لأن ألمانيا لم تكن تملك سوى هذه الأيدي العاملة . وقدر (غودريان) ما تحتاجه هذه التحصينات في حالة الدفاع من القوات والأسلحة والمؤن المختلفة . لذلك أصدر أمره بتشكيل وحدات تحصينات تضم الشباب المدعوين للخدمة الإلزامية ؛ ومن غير القادرين على الخدمة في الميدان .

وأمكن تشكيل مائة كتيبة من المشاة للتحصينات ، ومائة سرية مدفعية ؛ ووضع مخطط لتشكيل وحدات أخرى بعد أن تتوافر لها الأسلحة الضرورية (الرشاشات وقانصات الدبابات والمعدات الهندسية وأجهزة الإشارة) . ولكن وقبل أن تنهي هذه الوحدات تدريبها القتالي ، تم ارسال ثمانين بالمائة من قوتها لدعم الجبهة الغربية بدلاً من إرسالها إلى الجبهة الشرقية . وعندما علم غودريان بذلك بعد التنفيذ ، واحتج على الإجراء ؛ لم يكن لاحتجاجه أي صدى . ولقد زجت هذه الوحدات غير الجاهزة في ظروف مضطربة ، فتعرضت للتدمير دون أن تتاح لها فرصة الإفادة منها .

جابهت (غودريان) في قضية التسلح مشكلة أكثر خطورة من مشكلة الأفراد . فعندما عرض على هتلر اقتراحه الأول بوضع جميع المدافع التي تم جمعها من غنائم الحرب لتكون تحت تصرفه ،

جابهه (كيتل وجودل) بسخرية ؛ وقالا : «إنه لا توجد في ألمانيا مدافع غير مستخدمة » . ولكن رئيس هيئة الإمداد في القيادة العليا - الجنرال بوهل - أعلمه أن هناك آلاف المدافع والأسلحة الثقيلة الأخرى والتي مضى على تخزينها في المستودعات سنوات متتالية ؛ ولم يستخدمها أحد . فأصدر غودريان أمره بتسليمها ، ونقلها إلى التحصينات الشرقية ؛ وتدريب السدنة على استخدامها . لكن (جودل) أسرع فأصدر أوامره بإرسال جميع المدافع من عيار ٥٠ مم فأكثر ومعها ما يزيد على خمسين قذيفة لكل مدفع إلى الجبهة الغربية ولم يبق إلا المدافع الرشاشة والمدافع من عيار ٥٠ مم فأقل ، وهي أسلحة عاجزة عن التعامل مع الدبابات السوفييتية (ت - ٣٤) .

وهكذا لم تتحقق الفائدة من هذه الأسلحة لأن ما هو صالح للجبهة الشرقية قد وصل إلى الجبهة الغربية بعد فوات الأوان ، وما وصل إلى الجبهة الشرقية لم يكن قادراً على تلبية متطلبات القتال على هذه الجبهة .

استطاع (غودريان) رغم هذه الإحباطات المتتالية ؛ تنظيم الدفاع عن التحصينات ؛ وامداد هذه التحصينات بامدادات كافية لمدة ثلاثة أشهر ، وتأمين الوقود بكميات كافية في المستودعات ، وربط التحصينات بشبكة من الإتصالات . ثم وضع مخططاً لتشكيل (جيش شعبي) في الأقاليم الشرقية من ألمانيا وذلك بعد أن قضى على (كتائب التحصينات) .

ووافق هتلر على الفكرة ، لكنه أسند قيادتها إلى (بورمان) الذي تمهل في البداية رغم استعجال غودريان وإلحاحه المتكرر ؛ ثم أصدر (بورمان) أوامره بتعميم (الجيش الشعبي) فتشكل جيش

كبير ، لم تتوافر له الأسلحة ولا التدريب . فتم تدريبه على التحية الهتلرية بدلاً من تدريبه على السلاح . وزاد الأمر سوءاً باستخدام أفراد هذا الجيش لرفع تقارير عن الجيش العامل ؛ مما أدى إلى صدامات متتالية مع (غودريان) الذي كان يعتبر نفسه مسؤولاً عن حمايته والدفاع عنه ؛ وإتاحة الفرصة له للعمل بحرية في مواجهة العدو .

أنزل الحلفاء الغربيون قواتهم في النورماندي يوم ٦ حزيران - يونيو - ١٩٤٤ ، ووقع ما كان متوقعاً . وبات لزاماً على ألمانيا مجابهة تطورات الحرب على جبهتين رئيستين ؛ بالإضافة للجبهات الثانوية (إيطاليا والبلقان) . ولم تكن إمكانات ألمانيا ووسائطها المحدودة قادرة على تلبية متطلبات الجبهات كلها (بالقوى والوسائط) .

وأخذت المواقف بالتدهور بصورة متسارعة . فقد انفصلت بلغاريا التي توفي ملكها في ظروف غامضة يوم ٢٨ آب - أغسطس - ١٩٤٤ ، وانسحبت من حلفها مع ألمانيا وانضمت إلى الإتحاد السوفييتي يوم ٨ أيلول - سبتمبر - . وتحولت بلغاريا من دولة صديقة إلى دولة معادية . وعقدت فنلندا هدنة مع إنكلترا والإتحاد السوفييتي في ١٩ أيلول - سبتمبر - هذا فيما كانت القوات السوفييتية تجتاح المجر ، بحيث أنها وصلت إلى بوخارست في نهاية شهر آب - أغسطس - وأخذت في التقدم في إقليم ترانسلفانيا . وعلى جبهة الغرب كانت قوات الحلفاء ، قد توغلت في فرنسا ووصلت إلى باريس يوم ٢٥ آب - أغسطس - .

عقد هتلر مؤتمراً في مقر قيادته يوم ١٥ آب

ـ أغسطس ـ ١٩٤٤ ، وقام غودريان بتقديم عرضه عن الموقف ؛ إستناداً للتقارير الواردة من الجبهة الغربية ؛ وأظهر في العرض عجز الوحدات المدرعة عن مجابهة الموقف . وكان مما قاله : « لا تكفي شجاعة الوحدات المدرعة لتعويض نقص سلاحين من أسلحة الجيش الألماني ؛ وهما الطيران والبحرية ». عند ذلك غضب هتلر ؛ وطلب إلى غودريان اللحاق به إلى غرفة مجاورة وتتابعت المناقشة بين الرجلين ، واحتدت ؛ وارتفعت الأصوات إلى أن اندفع أحد مساعدي هتلر ـ الرائد فون أمسبرغ ـ واقتحم الغرفة وقال : « أنتما تتحدثان بصوت مرتفع ، ويسمع من بالخارج كل كلمة تقولانها ؛ فهل تسمحان لي بإغلاق النافذة ».

كان على هتلر وجهاز قيادته العمل باستمرار ؛ والبحث عن الحلول المناسبة ؛ أو المقبولة ؛ لمجابهة آلاف المشكلات .

كان الجنود الألمان يقاتلون بعناد وضراوة بعد أن اقترب لهيب الحرب من حدود بلادهم . وكان القادة الألمان يبحثون عن الوسائل الممكنة لإطالة أمد الدفاع قدر المستطاع . ولم يكن هناك مجال للتفكير في حل آخر سوى (الحرب) بعد أن اتفق الحلفاء على التمسك بشرط (استسلام ألمانيا بدون قيد ولا شرط) .

وكان بدهياً أن تختلف وجهات النظر في تقويم المواقف ؛ وتقدير درجة الخطر . وقد أدت مجموعة الظروف المحيطة بهتلر إلى دفعه نحو التمسك بمواقفه الخاطئة . وأصبح ينفر من كل نصيحة فكان يردد عندما يحاول غودريان وسواه من القادة اقناعه بوجهة نظر معينة : « **لا حاجة لكم إلى إلقاء الدروس علي . لقد مضت خمس سنوات وأنا أقود الجيوش الألمانية في الحرب ، وجمعت في هذه**

الفتـرة الخبـرة العمليـة التي لم يحصـل عليهـا ضبـاط هيئـة الأركـان العـامة ، ودرست كـلاوزفيـتز ومـولتكـه ، وقـرأت خـطط شليفن المتعلقـة بالانتشـار ، وأرى الأمور والأحـداث بـوضـوح أكبـر من وضوح رؤيتكم لها » .

وهكذا ؛ وبينما كان غودريـان يفكر بـاتخاذ المـواقف الدفـاعية عـلى جبهة الغـرب ، عند حـدود (نهر الراين) ، كـان هتلر يـريـد القيـام بهجوم كبـير على قـوات الحلفاء لقـذفهم بالبحـر ؛ متجاهـلاً حجم القوى والوسائط على مسرح العمليات الغـربي . ولقد اقتـرح القادة تحديد هدف يتنـاسب مع حجم القـوى الألمانيـة مثل احتـلال ضفـة نهر المـوز الشـرقيـة وتـدمـير قـوات الحلفـاء (بـين اكس لاشـابيل ـ ومـدينة لييـج) وهو الاقتـراح الذي قـدمه قـائـد الجبهـة الغربية (فـون رونشتد) وقـائد مجمـوعة الجيـوش ـ ب ـ (المارشـال مودل) ، مما يتيـح فرصـة تجميد الجبهـة الغربيـة لفترة تسـاعد عـلى إيقاف التدهور الخطير عـلى جبهة الشـرق . ولكن هتلر رفض كافـة الاقتراحات مما أدى إلى (كارثـة الأردين)(*)التي استنزفت قـدرة ما بقي من القدرة الألمانية .

(*) الأردين : (ARDENNES) سهـل تغطيـه الغابـات والمستنقعـات ؛ وهـو إقليم صعب وتضاريسه قاسية ، يقع بين فرنسا وبلجيكـا واللوكسمبورغ وألمـانيا . كـان مسرحاً لأعمال قتالية ضاريـة في الحرب العـالمية الأولى ، وشهـد في الحرب العـالمية الثانية الهجوم الأخير للقوات الألمانية بقيادة فـون رونشتد ؛ وهـو الهجوم الـذي بدأ يوم ١٦ كانـون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٤ وسط الغيـوم والضباب ؛ مما أعاق عمـل طيران الحلفاء ، وساعد على تحقيق نجاح رائع خلال اليومين الأولـين من الهجوم . ولكن أيـزنهاور وقادة جيـوشه استـطاعوا السيطرة على المـوقف بعد عشـرة أيام من المعـارك الضاريـة . ومـا لبث الحلفـاء أن بـدؤوا هجومهم المضاد اعتبـاراً من يـوم =

ولقد تابع (غودريان) بحزن عميق تطور الهجوم على الجبهة الغربية ؛ حتى إذا ما كان يوم ٢٣ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٢ وظهر له بشكل واضح عجز الهجوم عن تحقيق نصر كبير ؛ قرر التوجه إلى المقر العام للفوهرر ؛ وطلب إيقاف هذا الجهد الذي يهدر بدون جدوى ؛ وتحويله على الفور إلى الجبهة الشرقية ؛ والإفادة من القوات التي يمكن الاستغناء عنها .

فقد كان (غودريان) يتوقع أن تبدأ القوات السوفييتية هجومها الثاني عشر في كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٥ . وكان يعرف أن القوات السوفييتية تتفوق على القوات الألمانية في المشاة بمعدل ١١ إلى ١ ، وتتفوق في المدرعات بمعدل ٧ إلى ١ ، وتتفوق في المدفعية بمعدل ٢٠ إلى ١ . وأن التفوق السوفييتي بالقوات البرية يصل بصورة عامة حتى ١٥ ضعفاً وبالقوات الجوية بعشرين ضعفاً على الأقل .

لقد كان الدفاع عن شرق ألمانيا هو كل ما يشغل تفكير غودريان ؛ شأنه في ذلك شأن كل جندي ألماني . وقد ذكر ذلك بوضوح عندما قال : « كان الملايين من الجنود الألمان يفكرون بحماية القسم الشرقي من ألمانيا ضد الكارثة المرعبة التي باتت

= ٣ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٥ ، وأمكن حتى ١٦ منه إعادة الموقف لمثل ما كان عليه قبل الهجوم الألماني . وخسر الألمان في هذا الهجوم ١٢٠ ألف جندي و٦٠٠ دبابة ومدفع و ١٦٠٠ طائرة و٧ آلاف مركبة . ومقابل ذلك خسر الحلفاء ٤٠ ألف جندي و٧٣٠ دبابة . ولم ينجح الهجوم الألماني إلا في إيقاف هجوم الحلفاء ـ وتأخيره ـ لمدة ست أسابيع . وكان باستطاعة الحلفاء التعويض عن خسائرهم ، في حين كانت ألمانيا عاجزة عن هذا التعويض .

تتهـدده . ألا يدل تـدفق الوحـدات السـوفييتيـة عـلى أنها ستجتـاح بروسيا الشرقية ؟ لقد أدرك الجنود ما أدركته أنـا ؛ وعرفـوا كما كنت أعرف هذه الحقيقة . إننا جميعاً من العرق الألماني ؛ وإن ما أنجـزناه طـوال قرون من العمـل الألماني سـوف ينهـار . إن الـرهـان يشمـل سبعمـائة عـام من الحضارة الألمـانية والمعـارك الألمانيـة والانتصارات الألمانية أيضاً ؛ وأخيراً إنه صراع يشمـل أرض الوطن . وأمـام هذه العـوامل التي تنتـظرنا في المستقبـل ؛ ارتكب الحلفاء عمـلاً وحشيـاً وجريمة بحق الإنسانية عندما طلبوا إلى ألمانيا (الاستسلام بـدون قيد ولا شرط) . وكان ذلـك بالنسبـة للجنود الألمـان عاراً لا سبيـل إلى تحمله . فـلا بد من تعبئـة الإمكانـات والطاقـات وزجها في معـركة أخيرة للحصول عـلى السلام . ولا يمكن الحصـول على سـلام ممكن آخر إلا إذا توصلنا إلى إيقاف الهجوم السوفييتي بـأية وسيلة ممكنـة . ولهذه الغايـة كان من الـواجب نقل الـوحدات المنتشـرة على الجبهـة الغـربية إلى الجبهـة الشرقيـة على الفـور ؛ وتشكيل جيش احتيـاطي قوي في منطقة ـ لودز ـ إينـوروكلاو (هـو هنسلزا) وزجه في القتـال من الحركة ليقابل جيوش الاختراق السوفييتية . ولقد تفوقت القيادة الألمانية وقواتها على العدو في اسلوب زج القـوات ، على الـرغم من سنوات الحرب الطويلة والمنهكة » .

ولكن هتلر ووزيـر داخليته هملر ومعهم بعض حـاشية هتلر ؛ كان لهم رأي مختلف . فعندما قدم غودريان تقريره عن المـوقف يوم ١٩٤٤/١٢/٢٤ ، وذكـر حجم القـوات السـوفييتيـة عـلى جبهـة الشرق ؛ انتفـض هتلر غاضباً ؛ وقال : « **هذه أكبر خـدعة عـرفها التـاريـخ منـذ أيـام جنكيـز خـان . من أين لكم هــذه المعلومـات**

التافهة ؟ إن فرق المشاة السوفييتية لا تضم أكثر من سبعة آلاف رجل . وإن الفرق المدرعة السوفييتية لا تمتلك الدبابات ؟ » .

ومثله قال هملر وهو يوجه حديثه لغودريان : « أيها الجنرال إنني لا أصدق أن هناك هجوماً سوفييتياً . وكل ما يقال هو مجرد خدعة ضخمة . إن أرقام فرعك عن جيوش الشرق الأجنبية هي أرقام مبالغ فيها ؛ ولذلك تسبب لك الهموم الواهية . إنني أعتقد كل الاعتقاد أنه سوف لا يجري أي شيء على جبهة الشرق » .

ولما حققت بعض القوات الألمانية انتصارات بسيطة في اليوم الأول من العام ١٩٤٥ ، أفاد غودريان من هذه المناسبة ليعود فيطالب بنقل قوات إلى جبهة الشرق ، فرد عليه جودل ـ : « لا نملك حتى التخلي عن المبادأة التي نمسك الآن بزمامها » . وأيده هتلر بقوله : « يمكننا في الشرق الاستغناء عن الأرض ، ولا يمكننا التخلي عن أية قطعة أرض في الغرب » .

لقد كان من شأن هذه العقبات أن تدخل اليأس إلى قلب أي إنسان ؛ ولكن غودريان استطاع التغلب على مشاعر اليأس ؛ ومضى إلى الجبهة ؛ وجمع الحقيقة على الطبيعة ، وعاد إلى تدقيق المعلومات التي جمعتها له هيئة أركانه . وتقدم إلى هتلر يوم ٩ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٥ ، وطرح أمامه نتيجة دراسته فغضب هتلر غضباً شديداً وقال له : » **إنها معلومات سخيفة ، وعليك أن تضع الضابط الذي قدمها لك فوراً في مستشفى الأمراض العقلية** » . واستشاط غودريان غضباً ، فأكد صحة المعلومات ، وبعد فترة من الصمت الثقيل ؛ حاول هتلر تهدئة غضب غودريان فقال له : « لم يسبق أن حصلت الجبهة الشرقية مطلقاً على قوات احتياطية بمثل

هـذا الحجم . لقد منحتـك إياهـا لأنـك أهـل لهـا . أشكـرك عـلى جهودك » .

وأجاب غودريان : « **تشبه الجبهة الشرقية قلعة من الورق . فإذا اخترقها العدو في مكان ما فإنها تنهار بسرعة ؛ لأن الجبهة ممتدة جداً ، ولا تكفيها اثنتي عشرة فرقة ونصف لحمايتها** » .

وكان كل ما خرج منه غودريـان هو تـوجيه هتلر الـلاذع : « ينبغـي عـلى الجبهة الشـرقية أن تكتفي بمـا لـديهـا ؛ وأن تتـدبـر أمورها بنفسها » .

١٤ ـ الأيام الأخيرة

مضـى (غودريـان) لمتـابعـة عمله وسط دوامـة مـرعبـة من الأحداث المتسارعة . ولم يكن مباغتاً لغودريان أن تنطلق آلة الحرب السوفييتية بكل ثقلها لتسحق في طريقها كـل مقاومـة تتصدى لهـا ، وإن كان ذلك مباغتاً لهتلر وحاشيته . فقد حشدت القيادة السوفييتية قـوات ضخمة عـلى امتداد الجبهـة ، وخصصت ٣٠٠ مـدفعـاً لكـل كيلومـتر من خط الجبهـة ، وانـطلقت يـوم ١٢ كـانـون الثـاني ـ يناير ـ ١٩٤٥ بعد إعداد دقيق ومحكم .

وهكذا أمكن اختراق الجبهة الألمانية في عدد من النقاط (عند جسر بـرانـوف ؛ ورؤوس الجسـور عـلى نهر الفستـول ؛ وجبهـة نـاريف ؛ وجبهة أوستنسبـورغ ؛ وشمـال فـارصـوفيـا ؛ وبـروسيـا الشـرقية) . ونجـح الخرق ؛ واقتحمت القـوات السوفييتيـة حـدود ألمـانيـا ، وبـدأت في التـوغـل نحـو العمق الاسـتـراتيجي ـ قلب الراين ـ . وأمكن لهذه القوات بعد يـومين من المعـارك الضاريـة أن

تقذف بثقل هجومها نحو المنطقة الصناعية في (سيليزيا العليا) . ولقد حدث ذلك كله؛ ولا زال هتلر متمسكاً بموقفه: «**على الجبهة الشرقية أن تتدبر أمرها بنفسها**» .

وأدرك هتلر بعد أربعة أيام (أي في يوم ١٦ كانون الثاني - يناير - ١٩٤٥) خطورة الموقف فأمر بنقل القوات المتوافرة من الجبهة الغربية إلى المجر ، وهدفه قذف القوات السوفييتية إلى ما وراء نهر الدانوب، وإعادة الاستيلاء على (بودابست) ، في حين كان غودريان يريد استخدامها للدفاع عن بروسيا الشرقية .

وكان لا بد مرة أخرى من الصدام العنيف بين الرجلين . وكان أعنف تلك الصدامات هو ما حدث يومي ١٧ و١٨ كانون الثاني - يناير - فبينما كان غودريان يقدم تقريره عن الموقف في اجتماع يوم ١٧ /١/١٩٤٥ وصلته رسالة لاسلكية من قائد قلعة فارصوفيا تقول بأن المدينة ما تزال في أيدي الألمان ؛ ولكن سيتم الانسحاب منها ليلاً ، وغضب هتلر غضباً شديداً ؛ وأمر بالتمسك بفارصوفيا .

وكان من المحال تنفيذ هذا الأمر إذ لم تكن الحامية المدافعة عن فارصوفيا تزيد على قوة أربع كتائب من المشاة مع بعض وحدات المدفعية والهندسة ؛ وكلها ذات قدرة قتالية متدنية . فكان تنفيذ أمر هتلر يعني تركها لتقع في الأسر . ولهذا قرر قائد الحامية الانسحاب مع قوته الضعيفة . وعندها بلغ غضب هتلر أوجه .

وفي اليوم التالي ؛ وبينما كان غودريان يقدم تقريره ؛ قاطعه هتلر وأمره باعلام ضباط هيئة الأركان المكلفين بكتابة التقارير

والأوامر المتعلقة بقطاع فارصوفيا أن يستعدوا للتحقيق والاستجواب .

فقال له غودريان : « انني أنا المسؤول الوحيد عن أحداث اليوم الفائت . وما عليك إلا استجوابي أنا ؛ ولا ضرورة لاستجواب المرؤوسين وإلقاء القبض عليهم » .

وأجاب هتلر على الفور : « كلا ! لا أود أن أنال منك ، بل أقصد هيئة الأركان . لا أستطيع تحمل رؤية مجموعة من المثقفين الذين يفرضون آراءهم على رؤسائهم . هذه طريقة هيئة الأركان التي أريد أن أحطمها .

وفي الليل ؛ تم اعتقال الضباط القادة في هيئة أركان غودريان . فلما علم غودريان بعد ذلك بساعات ، توجه في الصباح إلى مقر قيادة الفوهرر ؛ وأبلغه احتجاجه ، وطلب إحالته إلى هيئة التحقيق ، ووافق هتلر . وأمضى غودريان ساعات ثقيلة ومرهقة ـ كادت تفقده أعصابه ـ وأنتهى التحقيق باتخاذ قرار عقوبة ضباط هيئة أركان غودريان واستبدالهم بآخرين . هذا فيما كانت ألمانيا تجابه الكارثة الحقيقية ؛ وفيما كان جنود ألمانيا يبذلون كل جهد مستطاع للدفاع عن وطنهم .

كان الجيش الألماني الرابع المدافع عن سيليزيا العليا قد تعرض يوم ٢١ كانون الثاني ـ يناير ـ لخطر التطويق المزدوج . فقرر قائده ـ الجنرال هوسباخ ـ التصرف بمبادأته ؛ ودون إعلام القيادة ، وأمر وحدات جيشه بالقتال التراجعي للانسحاب نحو الخلف ؛ وشن هجوم نحو الغرب لفتح الطريق أمامه ؛ والوصول إلى نهر

الفستول وحدود بروسيا الشرقية ، والاتصال بالجيش الثاني الذي كان يقوده الجنرال ويس . ولم تعلم القيادة العليا للجيش البري ولا هتلر بما قرره هوسباخ ونفذه ؛ إلا بعد أن تم التخلي دونما قتال عن حصن لوتزن ـ وهو أقوى حصن في بروسيا الشرقية ـ فانفجر غضب هتلر (يوم ٢٤ كانون الثاني ـ يناير) وقال : « إن هوسباخ وويس قد اتفقا مع العدو »، وأمر بإحالتهما إلى المجلس العسكري مع ضباط هيئة أركانهما .

وحاول غودريان تهدئة غضب هتلر الذي فقد السيطرة على نفسه . وأكد له أن تصرف القائدين قد جاء نتيجة ضغط العدو ؛ واستبعد اتهام (الخيانة والاتصال بالعدو) . ولكن هتلر أصر على استبدالهما بقادة لم تكن لديهم أية خبرة قتالية ؛ أو أية معرفة بقيادة القوات في الميدان .

لقد حاول غودريان العثور على الحل لانقاذ بلاده من المأزق الذي كانت تجابهه ؛ وجرب الاستعانة بزملائه ورفاقه في السلاح لإيجاد الحلول المناسبة ؛ وكانت له مواقفه التي يصعب تعدادها في تعاونه مع قيادة هتلر أحياناً وفي مجابهته لها في أحيان أخرى . ويمكن في هذا المجال الإشارة إلى محاولته مع وزير الخارجية (روبينتروب) للبحث عن المخرج .

ففي يوم ٢٥ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٥ توجه غودريان لمقابلة (روبينتروب) في شقته الأنيقة التي خصصت له في مبنى الوزارة ؛ وأطلعه على الموقف بصورته الواقعية وسأله في النهاية ما إذا كان مستعداً لمرافقته للاجتماع بهتلر واقتراح عقد هدنة مع الحلفاء

الغـربيين ؛ من أجـل تركيـز الجهد عـلى الجبهة الشـرقية . وأجـاب روبينتروب :

« لا أستطيع ذلك ؛ إنني من أنصار الفـوهرر الأوفيـاء وهو لا يقبل مبدأ المباحثات الديبلوماسية بيننا وبين العدو ؛ وأنـا على يقـين مما أقول ، لذلك من المحال مفاتحته بهذا الموضوع الذي تقترحه » .

عندئذ سأله غودريان : « ماذا تقول إذا وصل الروس في ثلاثة أسابيع أو أربعة إلى أبواب برلين ؟ » .

وأجـاب روبينتروب وقـد ظهرت عـلى وجهه أمـارات الخوف الشديد : « هل تعتقد ذلك ممكناً ؟ » .

وعندها أكد له غودريان بأنه مـا دامت القيادة الحـالية عـلى ما هي عليـه فـإن الأمـر ليس ممكنـاً بـل إنـه حتمي أيضـاً . وفقـد روبينتروب هدوءه لفترة من الوقت .

أعاد عليه غودريان السؤال ما إذا كان مستعداً لمرافقته ومقابلة هتلر ، فـأجـاب بـالـرفض . وقبـل أن ينسحب غـودريـان قـال لـه روبينتروب : « سيبقى هذا الحديث بيننا سراً ، أليس كذلـك ؟ » . ووعده غودريان خيراً . وعاد من حيث أتى .

لاحظ غـودريـان عـنـدمـا حضر في المسـاء لـتـقـديـم تقريره ـ كالمعتاد ـ أن هتلر متأثر جداً ؛ وكان يتحدث بصوت مرتفع ومضـطـرب ، وكان يـطلب بإلحـاح تنفيذ (أمـره الأسـاسي رقم ١) والقاضي بمنع أي شخص كان من نقل المعلومات التي تصله بحكم علمه إلى أي شخص آخر ؛ إلا إذا كانت هذه المعلومـات ضروريـة لما يضطلعون به من أعمـال وواجبـات مشتـركة . ثم تـابع حـديثه

ورفع صوته قليلاً : « عندما يذهب رئيس هيئة الأركان العامة إلى وزير الخارجية ليعلمه عن الموقف في الجبهة الشرقية ؛ وهو ينوي الوصول إلى هدنة مع الدول الغربية ؛ يكون قد ارتكب خيانة عظمى ». وعرف غودريان عندها أن روبينتروب لم يكتم السر . وقال في نفسه : حسناً على كل حال ؛ لقد عرف هتلر على الأقل الموقف الذي يجب عليه اتخاذه .

لم تتمكن كافة الجهود والتضحيات من إيقاف الكارثة . واستولت القوات السوفييتية على سيليزيا العليا . وجاء وزير التسلح والذخائر ، ليقدم تقريره وقد استهله بعبارة (لقد خسرنا الحرب) .

وقدم هذا التقرير إلى غودريان ليقرأه ، فوافق غودريان على مضمونه ، وعندما قدمه إلى هتلر ، وقرأ هتلر العبارة الأولى ؛ أمر بوضعه في خزانته الحديدية .

وحضر وزير التسلح والذخائر في الليلة التالية ليقدم تقريره ، فرفض هتلر استقباله ، وقال لغودريان : « انه سيقول لي مرة أخرى اننا خسرنا الحرب وعلي انهاءها ». ولكن الوزير أصر على مقابلة هتلر - على انفراد - ليطلعه على الموقف ؛ وأرسل له مذكرة مع مساعده . فأمر هتلر هذا المساعد بقوله : « ضع هذه الوثيقة في خزانتي الحديدية » واستدار نحو غودريان ليقول له : « هل عرفت الآن لماذا لا أستقبل أحداً وأنا بمفردي ؟ إن كل من يود التحدث إلي بلا شهود يريد التصريح بأشياء مزعجة . وهذا ما لا أستطيع تحمله ».

كان (غودريان) في عمل مستمر ؛ لإعادة تنظيم الخطوط

الدفاعية المتتالية ؛ وإعادة تنظيم القوات ؛ وتأمين متطلبات القتال ؛ ثم حضـور المؤتمرات اليـومية في مقـر الفـوهـرر وهي المؤتمـرات التي أظهـرت عقمهـا وعـدم جـدواهـا ـ من وجهـة نـظر غـودريـان عـلى الأقل ـ .

وفي هذه الظروف ، وبينما كانت قـوات الحلفاء عـلى الجبهتين تقترب من قلب ألمـانيـا ، بقي هتلر مصمـماً عـلى متـابعـة تنفيـذ مخططاته ؛ ومنها الهجوم على المجر . ووجد غودريان نفسه مرغماً من جديد على مجابهة هتلر ، فأوضح له أنه لا فائـدة ترجى من الهجـوم في المجر ؛ وأنه بدلاً من ذلك ؛ يمكن شن هجـوم آخر عـلى القوات السـوفييتية التي كـانت تتقدم بـين (فرانكفـورت) و (كـوسـتـرين) والاندفاع على مجنبتيها الضعيفتين ، مما يتيـح الفرصـة لدعم الـدفاع عن عاصمة الرايخ وأراضيه ؛ ريثما تتسنى ظروف مناسبة لمفاوضـات الحلفاء الغربيين على شروط الهدنة .

كان الشرط الأساسي لتنفيذ هذه العملية هو الجلاء عن البلقان وإيطاليا والنروج وكورلاند بسرعة . فتقدم غودريان إلى هتلر بطلب الجلاء عن هذه الأراضي في بداية شهـر شباط ـ فبـراير ـ ١٩٤٥ لكن هتلر رفض الـطلب . فعاد غـودريان لـلإلحاح بـطلبه وقـال لهتلر : « لا تظن أن العناد هو الذي يدفعني لتقديم اقتراحاتي المتتالية بالجلاء عن منطقة كورلاند ـ خاصة ـ فـأنا لا أرى حـلاً آخر للحصـول على قوات احتياطيـة . ولن نستطيـع الدفـاع عن عاصمـة الرايـخ إذا لم تتوافر هذه القوات الاحتياطية . إنني لا أعمل إلا لصالح ألمانيا » .

وهنا انتفض هتلر وصرخ غـاضباً : « كيف تجرؤ على التفـوه بهذه الكلمات ؟ هل تعتقد أنني لا أقاتل من أجل ألمانيـا ؟ إن حياتي

كلها ما هي إلا قتال من أجل ألمانيا ! » ثم صب جام غضبه على غودريان ؛ واهتاج بشكل غير عادي ؛ مما حمل غورينغ على الامساك بغودريان من يده ومرافقته إلى غرفة مجاورة حيث شربا معاً القهوة لتهدئة أعصابهما المتوترة .

وعاد غودريان إلى قاعة المؤتمرات بعد أن طلب إليه هتلر العودة لمتابعة بحث الموقف . ورفع هتلر صوته عالياً من جديد ؛ وارتفع صوت غودريان وهو يطلب إجلاء القوات عن كورلاند . وتقدم هتلر في النهاية نحو غودريان وقد رفع قبضته ،وتدخل رئيس هيئة غودريان ـ الجنرال تومال ـ فسحب غودريان من سترته في محاولة لتجنب الصدام الذي أوشك على الوقوع .

وتكررت مثل هذه المشاهد ؛ ولكن بشكل أكثر عنفاً ؛ في اجتماع ١٤ شباط ـ فبراير ـ حتى خشي القادة من غضب هتلر على غودريان ؛ وحتى تملك الخوف أفراد حاشية هتلر تحسباً من إصابته بنوبة تودي بحياته خلال تلك الفترة الصعبة .

وحدثت بعد ذلك مصادمات مشابهة . وكان أصعب ما واجهه غودريان بعد ذلك هو التصدي لقرار هتلر : « بتدمير جميع المصانع وشبكات توزيع المياه ومراكز توليد الطاقة ـ الكهرباء ـ والخطوط الحديدية والجسور ؛ وكل ما يفيد العدو » . وتقدم غودريان بمذكرة مضادة لمنع القيام بكل عمل تخريبي يزيد من بؤس المواطنين الألمان وشقائهم بعد كل ما نزل بهم من الدمار . فرد هتلر معقباً : « إذا خسرنا الحرب سيفقد الشعب كل ما يملك ؛ ولا يمكن التملص من هذا المصير . ليس من الضروري أن نتيح له القواعد الضرورية حتى يعيش حياة بدائية ، بل على العكس ،

علينا أن ندمر نحن هذه المنشآت لأن هذا الشعب قد برهن على ضعفه أمام الشعب الشرقي القوي الذي سيتمتع وحده بالحياة في المستقبل . وعلى كل حال ؛ فلن يبق على قيد الحياة سوى الضعفاء ؛ لأن الأقوياء قد استشهدوا » .

وقال غودريان : « سيبقى الشعب الألماني حياً ؛ وفقاً لقوانين الطبيعة الثابتة حتى لو تم تدمير المنشآت . ولكن هذا التدمير سيعرض الشعب لآلام لا يمكن تجنبها ولا يمكن وصفها » .

وأصدر هتلر تعليماته بتدمير كافة المنشآت يوم ١٩ آذار - مارس - وكلف الحزب وتنظيماته بالتنفيذ . ولكن الجيش قاوم أعمال التخريب . واستطاع غودريان بالتعاون مع وزير التسلح والذخائر ؛ وبالتعاون مع القادة ؛ منع وصول المتفجرات للحزب ، مما أحبط أمر هتلر التخريبي ؛ فلم تحدث أكثر من أعمال تدميرية محدودة .

أصبحت الحياة قاسية في عاصمة الرايخ إلى درجة لا تطاق ولا تحتمل . ونزل الدمار في كل بناء ؛ فيما كان الجنود الألمان يتابعون صراعهم المرير في ظروف بالغة الصعوبة ؛ وأدرك الجميع أنه : « ضياع كل شيء » . وكأن كل ذلك لم يكن كافياً ؛ فزاد هتلر من معاناة قاداته بتحميلهم أوزار ما هم منه براء من الفشل ؛ لقد كان يبحث باستمرار عن الضحايا للدفاع عن فشله . وكان لا بد من أن يطال غضب هتلر القادة من ضباط هيئة أركان (غودريان) والقادة العاملين معه . وكان لزاماً على غودريان بالتالي الدفاع عن مرؤوسيه ومعاونيه وقد عرف فيهم الإخلاص الذي لا حدود له ؛

لـوطنهم وجيشهم ؛ وتـابــع مـا بــذلـوه من جهــد تجاوز حــدود الاستطاعة .

ووصل الأمر إلى ذروته يوم ٢٨ آذار ـ مارس ـ ١٩٤٥ . لقد انهارت مقـاومة القـوات انهياراً كـاملاً ، ولم تعـد قـادرة عـلى تنفيـذ الهجمات المضادة الكبرى التي كان يريدهـا هتلر . وأراد هتلر انزال العقـاب ببعض القادة ، وجـابهه غـودريان ، وغضب هتلر ؛ فـأمـر القادة بالخروج من قاعة الاجتماعـات ؛ واستبقى هملر وغودريـان ، ثم وجه حديثه إلى غودريان قائلا : « تتطلـب صحتـك أيها الجنرال إجازة نقاهة مدتها ست أسابيع ؛ ارجو أن تهتم بصحتك . سيصبح الموقف حرجاً بعد هذه الأسابيع الستة . وسأكون بحـاجة إليـك ». وودعه هتلر وداعاً ودياً .

ومضى غودريان إلى منزله . فـزف لزوجتـه نبأ عـزله ؛ ومضى معها إلى مصح قرب ميونيـخ حيث أمضى شهراً . وانتقـل في بدايـة شهـر أيـار ـ مـايـو ـ إلى التيـرول حـتـى أسـره الأمريـكيـون يــوم ١٠ أيـار ـ مـايـو ـ ١٩٤٥ ، ومعـه هيئـة الأركـان العـامـة لتفتيش المدرعات . وكان لديه متسع من الوقت ـ وهو في سجنه ـ للتأمل في قصة (مذكـرات جندي) ولم يعمـر بعد ذلـك طويـلاً . فتوفي يـوم ١٤ أيــار ـ مايو ـ ١٩٥٤ .

بذل غودريان كل مـا يستطيعـه من جهد للدفـاع عن بلاده ؛ وللمحـافـظة عــلى وحـدة بـلاده ، لكن جهـده ذهب ســدى مـع (الانتصارات الضائعة) .

لقد عاش (غـودريان) حيـاته للحـرب ومن أجل الحـرب . وأبدع فيها أيما إبداع ؛ وقد حفظ له تـاريخ فن الحـرب كل أعمـاله

ومنجزاته . وسيبقى تطور السلاح المدرع في القرن العشرين مرتبطاً باسم (غودريان) .

لكن ما حفظه التاريخ أكثر هو (قصة غودريان الإنسان) الذي رفض باستمرار حرمان الحرب من طابعها الإنساني ؛ وتجريدها من فضائلها ، وتحويلها إلى (مجزرة وحشية بربرية) .

لقد كانت أوامر هتلر الصريحة ؛ وتوجيهاته الواضحة ؛ تريد إبادة الشعوب السوفييتية ، وسواها من الشعوب . ولكن غودريان ـ النبيل البروسي ـ رفض تنفيذ هذه الأوامر ، وعمل على مقاومتها ؛ شأنه في ذلك كشأن عدد كبير من القادة الألمان (رونشتد ومانشتاين ورومل وسواهم) .

لقد كان مفهوم غودريان للحرب هو أنه صراع بين القوات المسلحة لتحقيق هدف معين هو تحقيق النصر على أرض المعركة . ومن هنا كان تقويمه للتوازن بين (هدف الحرب) و (غاية السلم) . فالسلم هو الهدف النهائي الذي تبحث عنه السياسة العليا . ولا يمكن تحقيق هذا السلم إلا بالتعاون مع الشعوب المغلوبة . ولهذا لم يكن غريباً أن يحاول غودريان مناشدة الحلفاء بإيقاف قصفهم الوحشي والمدمر للشعب الألماني . ولكن الحلفاء لم يستجيبوا لنداءاته ؛ بل أرادوا الانتقام من الشعب الألماني ومعاقبته على ما فعلته قيادته النازية ـ الهتلرية ـ التي كان غودريان على خلاف مستمر معها .

لقد دمر هتلر وجهاز قيادته عدداً كبيراً من القادة العسكريين والرجال السياسيين ، وأزال من الوجود مجموعات بشرية لا حصر

لها ، ولم يهتز له جفن ؛ حتى بات رمزاً للرعب ؛ وحتى لم يعد هناك ثمة من يجرؤ على معارضته أو مناقشته . فلماذا استبقى غودريان ؟ ولمذا لم يعمل على إزالته من الوجود ، أو ابعاده على الأقل والاستغناء عن خدماته ؟ .

لقد فرض غودريان وجوده بفضل كفاءته العليا وحافظ على وجوده بفضل صدقه وإخلاصه ورجولته . لم يحاول أبداً أن يطعن هتلر في الظهر رغم وفرة المتآمرين والطاعنين . ولم يكن صدقه وإخلاصه إلا التزاماً منه بكلمة (الشرف) ، ووفاء (للعهد) وهي قيم فقدت مضامينها في عصر (هيجان الحروب) فلا غرابة إن وجد هتلر في (غودريان) إنساناً فرداً لا منافس له في فضائله وفي كفاءته ، فرغب في الحفاظ على (انسان الفضائل والقيم) في عصر (ضياع الفضائل والقيم) .

وتبقى هناك أسئلة كثيرة ؛ لعل من أبرزها السؤال التالي :

- لقد اصطدم غودريان بهتلر مرات لا حصر لها ؛ من أجل تأمين الدفاع عن ألمانيا والمحافظة على قدرتها ووحدتها . فهل كان باستطاعته تحقيق ذلك لو استجاب له هتلر ؛ وأخذ بمخططاته ؟

يقيناً لا . فلقد وضع الحلفاء مخططاتهم وحددوا أهدافهم بالقضاء على ألمانيا وتمزيقها . وكان ميزان القوى والوسائط في غير صالح ألمانيا . ولهذا كان من المحال إيقاف الكارثة أو منع وقوعها ؛ وكان لا بد بالتالي من حدوث ما حدث .

لم يكن غودريان رجل السياسة ؛ وكانت اجتهاداته بعيدة عن

الواقع . إلا أنه كان رجل الحرب وقائدها الظافر حتى في أصعب الظروف . وهذا ما يفسر استمرار المقاومة الألمانية بضراوة وعناد حتى آخر يوم من أيام الحرب .

بسام العسلي

قراءات

قراءات
١

وداع الفيلق المدرع التاسع عشر

كان الفيلق المدرع التاسع عشر (فيلق غودريان) هو الكتلة الرئيسة في اجتياح الغرب (فرنسا) . وقد أنجز هذا الفيلق مهمته بنجاح رائع . ووجه غودريان كلمة إلى قوات فيلقه **يوم ٢٦ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠ ؛ تضمنت ما يلي :**

يا جنود الفيلق التاسع عشر .

لقد أمضينا سبعة عشر يوماً من المعارك في بلجيكا وفرنسا ؛ وابتعدنا مسافة ستمائة كيلومتراً عن حدود الرايخ ؛ ووصلنا إلى شواطىء المانش والمحيط الأطلسي . ولقد اخترقتم عبر هذه المسافة التحصينات البلجيكية ؛ وتجاوزتم نهر الموز ؛ واخترقتم خط ماجينو أثناء معركة سيدان الشهيرة . لقد استوليتم على مرتفعات ستون الاستراتيجية الهامة ؛ ثم قمتم بعمل حاسم وسريع باتجاه (سان كوانتان) و (بيرون) فاستوليتم على منطقة (السوم الأسفل) في (أميان) و (آبفيل) وتوجتم انتصاراتكم بالاستيلاء

على شواطىء المانش والتحصينات البحرية في (بولون) و (كاليه) .

لقد طلبت منكم التخلي عن النوم لمدة ثمان وأربعين ساعة ؛ فتخليتم عنه لمدة سبعة عشر يوماً . لقد حملتكم على قبول التهديد ضد مجنباتكم - أجنحتكم - ومؤخراتكم ؛ فلم يظهر منكم أي ضعف على الإطلاق . إنكم تتمتعون بثقة مثالية في أنفسكم ؛ وأنتم على قناعة تامة بأنكم قادرون على تنفيذ مهمتكم ؛ لقد نفذتم كل أمر صدر إليكم ، بتفان وبنكران للذات ، وإن ألمانيا لفخورة بفرقها المدرعة ؛ وأنا فخور بقيادتكم .

سنذكر باحترام رفاق السلاح الذين استشهدوا ؛ وهم على ثقة بأن تضحياتهم لن تضيع هباء ؛ فلنستعد للقيام بمآثر جديدة من أجل ألمانيا ؛ ومن أجل قائدنا : **أدولف هتلر** .

غودريان

قراءات
٢

كلمة تقدير وعرفان بالجميل

انتهت معركة فرنسا ؛ ووقعت الحكومة الفرنسية (حكومة بيتان) الهدنة مع ألمانيا يوم ٢٢ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠ . وأصدرت القيادة الألمانية العليا أمرها بحل مجموعة غودريان المدرعة ؛ تمهيداً لإعادة التنظيم الشامل للقوات الألمانية . وأصدر غودريان أمره اليومي بهذه المناسبة والذي تضمن ما يلي :

مجموعة غودريان   بوزانسون ٣٠ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠

أمر إداري

يتبدل الآن تشكيل مجموعة البانزر غودريان ؛ وأغتنم هذه الفرصة لأعبر عن وداعي الودي لهيئة الأركان ؛ والتشكيلات المنقولة إلى وحدات أخرى .

سيدوِّن التاريخ المسيرة الظافرة للقوات ما بين نهر الآين والحدود السويسرية ؛ وحتى جبال الفوج ؛ وستظل هذه المسيرة

نموذجاً بطولياً لعمليات الاختراق التي نفذتها هذه الوحدات السريعة .

أشكركم لهذا العمل العظيم الذي كان تتويجاً جميلاً للقتال ، وثمرة للجهود التي بذلتها منذ أكثر من عشر سنوات .

فإلى الأمام في سبيل تنفيذ واجبات جديدة ؛ ولتحقيق انتصارات أخرى حتى الانتصار النهائي لألمانيا العظمى .

عاش الفوهرر

غودريان

قراءات
٣

وداع الفشل لا وداع النصر

توقفت وحدات الجيش المدرع الثاني بقيادة غودريان ؛ أمام أبواب موسكو ؛ وكان على هذه الوحدات مواجهة عدوين في آن واحد ، البرد وهجمات القوات السوفييتية . وكان من نتيجة ذلك ظهور اختلاف بين غودريان والقيادة الألمانية العليا في موضوع التعامل مع هذين العدوين ؛ فكان من طبيعة الأمور أن يتقرر نقل غودريان وابعاده عن قواته . وشعر غودريان بالألم يعتصره وهو يغادر هذه الوحدات والقوات التي عاشت معه حلاوة الانتصارات ومرارة الهزائم ؛ فأصدر إليها أمره اليومي .

الجنرال قائد الجيش المدرع الثاني

المقر العام لقيادة الجيش ٢٦/١٢/١٩٤١

أمر إداري

يا جنود الجيش المدرع الثاني .

إن الفوهرر القائد العام للقوات الألمانية قد فصلني عن قيادتي .

وإني ؛ وفي اللحظة التي أفترق بها عنكم ؛ أذكر الأشهر الستة الماضية التي قضيناها في المعارك المشتركة التي خضناها من أجل شرف بلادنا ؛ وانتصار سلاحنا ، واذكر بخشوع أولئك الذين ضحوا بحياتهم ودمهم من أجل ألمانيا .

يا رفاق القتال ! أشكركم من أعماق قلبي لوفائكم ولنكرانكم للذات ولصداقتكم الحقيقية التي برهنتم عليها طوال هذه الفترة المديدة . لقد ارتبط مصيرنا في جميع الأحوال ، وكان سروري كبيراً عندما كنت أضحي في سبيلكم ؛ أو أساعدكم قدر استطاعتي. وداعاً .

إنني أعلم أنكم ستقاتلون بالشجاعة التي قاتلتم بها دائماً ، وستنتصرون على الرغم من شدة الشتاء وتعداد الخصم . سترافقكم أفكاري في طريقكم الشاق . وتذكروا أنكم تسيرون على هذا الطريق من أجل مجد ألمانيا . **يحيا هتلر** .

غودريان

قراءات
٤

أصدر هتلر أمراً بتعيين غودريان مفتشاً عاماً للوحدات المدرعة ، وحدد له مسؤولياته وواجباته بموجب هذا الأمر يوم ٢٨ شباط - فبراير - ١٩٤٣ .

توجيهات إدارية
إلى المفتش العام للوحدات المدرعة

١ - إن المفتش العام للوحدات المدرعة مسؤول أمامي عن تطور السلاح المدرع في الاتجاه الملائم لدوره الحاسم في قيادة الحرب . والمفتش العام للوحدات المدرعة أصبح تابعاً لي مباشرة ، وهو يتمتع برتبة جنرال قائد جيش وصلاحياته ، وهو القائد الأعلى للوحدات المدرعة .

٢ - تقع مسؤولية تنظيم السلاح المدرع وتدريبه وتنظيم التشكيلات الكبرى السريعة في الجيش البري على المفتش العام للوحدات المدرعة ، بالإتفاق مع رئيس هيئة الأركان العامة للقوات البرية . وله الحق من جهة أخرى بإصدار التعليمات إلى

القوات الجوية والقوات البرية باسمي ؛ فيما يتعلق بتنظيم القوات المدرعة وتدريبها ؛ وتبقى القرارات المبدئية منوطة بي ؛ وسيعرض علي الطلبات المتعلقة بتطوير أسلحته فنياً ؛ وبمشاريع الصنع ، حتى أوافق عليها وذلك بالتعاون الوثيق مع وزارة الرايخ للتسليح والذخائر .

٣ ـ بصفته القائد المباشر للوحدات المدرعة ؛ فإن قيادته تشمل أيضاً الوحدات والقوات الاحتياطية لسلاحه ؛ ويقع على عاتقه العمل من أجل تبديل العناصر والعربات المدرعة التابعة للقوى البرية في الميدان ؛ سواء كانت عربات فردية أو ملاكات وحدات ينبغي استكمالها ؛ أو تشكيل وحدات جديدة . وهو مسؤول عن توزيع الدبابات والعربات المدرعة في الوحدات الميدانية ؛ ويتقيد بتعليماتي .

٤ ـ يحرص المفتش العام للوحدات المدرعة على تنفيذ الأوامر المتعلقة باستكمال الوحدات المدرعة والوحدات السريعة والتشكيلات الجديدة ؛ وفقاً للمخططات الموضوعة ؛ وفي الوقت المناسب . وهو يعمل بالاتفاق مع هيئة الأركان العامة للقوى البرية على استخدام الطواقم ـ السدنة ـ التي ليس لها دبابات في الجيوش الميدانية .

٥ ـ على مفتش الوحدات المدرَّعة الإفادة من خبرات الحرب فيما يتعلق بالتكتيك والتسليح وتشكيل الوحدات المدرعة وتنظيمها . ولهذه الغاية ؛ يحق له زيارة جميع الوحدات المدرعة ؛ في القوات البرية ووحدات المشاة وتفتيشها . وتقدم الوحدات المدرعة للجيش الميداني تقريراً عن جميع الخبرات التي

تم اكتسابها إلى مفتش الوحدات المدرعة ؛ فيدوِّن عليها المفتش ملاحظاته واستنتاجاته ، ويرفعها إلى السلطات المسؤولة ومنها وزير الرايخ للتسلح والذخائر . ويضع مفتش الوحدات المدرعة جميع أنظمة الوحدات المدرعة، ويتأكد من موافقة رئيس هيئة الأركان العامة عليها قبل نشر النصوص المتعلقة بقيادة الوحدات الكبرى وتعاونها مع بقية الأسلحة .

٦ ـ تكون الوحدات والمؤسسات التالية بأمرة مفتش الوحدات المدرعة بوصفه القائد الأعلى في السلاح المدرع :

آ ـ الوحدات الاحتياطية ووحدات تدريب التشكيلات السريعة التي تجمع تحت قيادة خاصة (ما عدا الفرسان ووحدات الدراجات الاحتياطية) .

ب ـ مدارس الوحدات السريعة في الجيش الميداني واحتياطات الجيش البري مع وحدات التدريب التابعة لها (عدا منشآت الفرسان ووحدات الدراجات التدريبية) .

٧ ـ من صلاحيات مفتش الوحدات المدرعة في جميع المستويات ؛ وفي فروع القوى البرية ؛ إعطاء التعليمات التي لها قوة الأوامر . كما توضع على جميع المستويات والفروع تحت تصرف المفتش العام للوحدات المدرعة العناصر الاستعلامية التي يحتاج إليها .

مقر القيادة العام للفوهرر

٢٨ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٣

التوقيع

أدولف هتلر

المراجع الرئيسة للبحث

١ ـ مذكرات جندي ـ الجنرال هنز غودريان ـ ترجمة العميد الركن كاستون فاتول . دمشق ـ ١٩٧٤ .

٢ ـ تاريخ الجيش الألماني ـ تأليف بينوا ـ ميشان ـ ترجمة العميد الركن محمد سميح السيد دمشق ١٩٧٦ .

٣ ـ الانتصارات الضائعة ـ أريك فون مانشتاين ـ ترجمة أمين النفوري . هيئة التدريب ـ دمشق ـ ١٩٧٧ .

٤ ـ القادة الألمان في عهد هتلر وبعده ـ الإدارة السياسية ـ دمشق ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

٥ ـ تاريخ فن الحرب ـ الجنرال ستروكوف ـ ترجمة العميد الركن صباح الدين الأناسي ـ وزارة الدفاع ـ دمشق ـ ١٩٦٨ .

٦ ـ إدارة الحرب ـ الجنرال ف . س . فوللر ـ ترجمة أكرم ديري ـ دار اليقظة العربية ـ بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

٧ ـ عهد الحرب الخاطفة ـ آري ـ آش ؛ أرنكتون . ترجمة رياض شاهر التقي ـ مركز الدراسات العسكرية ـ دمشق ـ ١٩٨١ .

٨ ـ المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية ـ بيتر يانغ ـ ترجمة المقدم المتقاعد بسام العسلي ـ الإدارة السياسية ـ دمشق ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٣ .

٩ ـ تطور فن الحرب ـ الجنرال جيلين ـ ترجمة محمد حسن حافظ ـ مركز الدراسات العسكرية ـ دمشق ١٩٨١ .

١٠ ـ الدبابات (ظهورها ؛ تطورها ؛ مستقبلها) تأليف العميد الركن محمد وليد الجلاد ، اللواء أحمد يوسف ـ مؤسسة بكار للطباعة ـ دمشق ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

الفهرس

مشاهير قادة
الحرب العالمية الثانية

الحرب العالمية الثانية، التي ما زالت كابوساً يؤرق حياة الناس، وعقلاء القادة، حتى يومنا هذا، أبرزت قادة عظاماً يجدر بعسكريينا ومثقفينا وجميع شبابنا أن يدرسوها، ويستفيدوا من خبراتها...

فقديماً قيل: «إذا أردت أن تكون عظيماً فاقرأ حياة العظماء».

لقد اختار مؤلف هذه السلسلة الجديدة، وهو المحلل العسكري الشهير والكاتب المبدع، أشهر قادة هذه الحرب، فكتب عن كل واحد منهم كتاباً، حلل فيه شخصية القائد موضوع البحث، وشرح المعارك التي خاضها، في إطار بحث شائق للظروف التي أحاطت بكل معركة من تلك المعارك وأدت إلى النصر أو الهزيمة.

الناشر

